

جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

## حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي

إعداد

بلقيس محمد محسن المرقب

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2021م/1442هـ

©2021. بلقيس محمد محسن المرقب. جميع الحقوق محفوظة.

## لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة بلقيس محمد محسن المرقب بتاريخ الاثنين، 26 أبريل

2021م، وُفِّقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه. وحسب

معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءاً

من امتحان الطالب.

د. عز الدين معميش

المشرف على الرسالة

---

الاسم

د. عبد القادر بخوش

مناقش

---

الاسم

د. عزيز البطيوي

مناقش

---

ملاحظة: عند الانتهاء من كتابة أسماء المشرفين، الرجاء إزالة الحقول الفارغة الزائدة من الصفحة.

تمّت الموافقة:

---

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

## المُلخَص

بلقيس محمد محسن المرقيب، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات:

يونيو 2021.

العنوان: حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي.

المشرف على الرسالة: الدكتور عز الدين معميش.

الحمد لله الذي علم بالقلم فعلم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، من أُعطي جوامع الكلم فكان دينه هداية للعرب والعجم.

يعتبر مالك بن نبي أحد رواد الفكر الإسلامي فهو من الشخصيات ذائعة الصيت، ولذلك فقد أسأل أحابار الكثيرين من الدارسين، والذي جعلني أضرم قلمي إلى أقلامهم فقد وقع اختياري في بحثي هذا لاستلهاهم فكر مالك بن نبي في حوار الحضارات، ورغبتني في معرفة ما قدّمه من خدمات للفكر والأدب الغربي قبل العربي، مستفيدين من تجاربه الثقافية والشخصية، فهو فيلسوف ومهندس الحضارة، فقد نظر للحضارة ودعا إلى حل مشكلاتها ودورها في التقارب والتعايش والحوار مع الآخر، وعليه كان عنوان هذا البحث:

### (حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي)

فهناك العديد من الأعمال الفكرية لمالك بن نبي، وصياغاته الفكرية كان في اتجاهين الارتباط بالإسلام وتراثه ومنهجه من جهة، والانفتاح على الحضارات الأخرى وعلومها من جهة أخرى، فيعتبر التراث الإسلامي والغربي ومنابعها هما الباعث الروحي والمؤسس لفكر مالك بن نبي، وبرغم قدم المعطيات والأمثلة التي استشهد بها مالك بن نبي في عصر الخمسينات والستينات، فإنني أظن أن رؤيته قد سبقت زمانها؛ فقد كانت رؤى مالك بن نبي استشرافيه للمستقبل، فنحن نقرأ

كتبه اليوم فنراها نتحدث عن الماضي، وفي نفس الوقت نتحدث عن ما يدور في العالم الإسلامي اليوم، وها هي أفكاره اليوم في هذا البحث تُسهم في تبني حوار الحضارات، وعمق مسألة فكر مالك بن نبي يتمثل في إخراج العالم الإسلامي مما يمر فيه من تأزم واندثار وتأخر وتخلف وانعزال إلى ركب التقدم والرقي بمشاركة إنسانية، وبإيجاد الوسائل العملية للتقدم والرقي والانفتاح الاقتصادي والحضاري.

ومن خلال العنوان السابق تبرز أهمية هذا البحث وتتمثل الأهمية في التعرف على الطريقة الحضارية التي تنقل المسلم من سلبى ومتفرج إلى ممثل وشاهد في الحوار الحضاري؛ فعبقرية الأمم بحضورها الحضاري ويتجلى بالتخلص من كل عوائق الحوار الحضاري لكل الأطراف. ثم بتسليط الضوء على آفاق الحلول الاستشرافية في فكر مالك بن نبي؛ لإيجاد بواعث النهوض الحضاري، والانفتاح على العالمية والحوار الحضاري البناء بتبني منهج ونظرية بن نبي وتفعيل تجربته وتبني رؤاه المستقبلية لمد جسور التفاهم بين الحضارات.

وعليه يتبادر للذهن عدة تساؤلات عن:

ماهي مشكلات الحوار الحضاري في وجهة نظر مالك بن نبي؟ وكيف تصور علاجها؟

ومن خلال ذلك يتولد عدة تساؤلات عن شخصية مالك بن نبي وأهم مؤلفاته؟

ولماذا اهتم مالك بن نبي بالحوار مع الآخر وخاصة بمشكلات الحضارة وتحقيق النهوض

الحضاري؟

وكيف تمثلت مقومات الحوار الحضاري عند مالك بن نبي وكيف تبني الحلول للمعوقات؟

وكيف نظر مالك بن نبي لآفاق الحلول الاستشرافية لإيجاد بواعث الحوار الحضاري

الحقيقي والمنهج الصحيح للانفتاح على العالمية؟؟

وقد جاء الجواب عن هذه التساؤلات وغيرها مفصلاً في مقدمة وثلاثة فصول.

وقد تضمنت المقدمة: إشكالية البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة حوله، والمنهج

المتبع في هذه الدراسة، والصعوبات، ثم خطة البحث.

وبعد المقدمة ذكرت فصلاً تمهيدياً جعلته مدخلاً لمفهوم حوار الحضارات: حيث تناولت

فيه مفهوم الحضارة في المبحث الأول، فعرفت لغة واصطلاحاً، وفي أثناء ذلك وللإحاطة بمفهوم

الحضارة أكثر تم التطرق لمفهوم الحضارة في الفكر الغربي والإسلامي، ووصلت للشق الثاني من

عنوان الرسالة وهو الحوار وإعطاء تصور لمفهوم الحوار وخاصة حوار الحضارات، وعرض بعض

أقوال العلماء فيه (الحوار) ثم بيّنت أهميته؛ فذكرت حقيقة حوار الحضارات، مع نقل بعض أقوال

المؤيدين له ومناقشة آراءهم، ثم انتقلت إلى وجه من وجوه البحث إلا وهو المصطلحات والمفاهيم،

وربط كل مصطلح بالإشعاع الحضاري والانفتاح مع الآخر.

وأما الفصل الأول: فجاء بعنوان مفهوم الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي، فابتدأته

بنبذة عن حياة مالك بن نبي وأهم مؤلفاته وملح الحوار والآخر في ثنايا كتبه وفكره من واقع تجربته

الاجتماعية والواقعية والفكرية، التي تبلورت أثناء حياته في الجزائر وتجربته في فرنسا ومحاولته

لرسم معالم الطريق إلى الحضارة الإنسانية المنشودة، وتصنيف الحضارات في كتاباته، ودعوته

للحوار مع الغرب دون أي عقدة نقص، واعتبره الوسيلة المجدية؛ لتحقيق الأهداف الكبرى والتقدم

الحضاري؛ بفاعلية الإنسان والوقت والتراب وبتبني مبادئ الفكر الحضاري في تصور مالك بن

نبي.

وأما في الفصل الثاني: فقد تعرضت لذكر مقومات الحوار الحضاري ومنطلقاته ثم معوقات

حوار الحضارات في كتابات مالك بن نبي، وكيفية تفعيل دور الثقافة والمثاقفة في حوار الحضارات؛

لتخطي أسباب وأنواع صراع الحضارات التي صاغها بن نبي في مؤلفاته من خلال ما شهده

وعايشه، ودور المسلم في الشهود الحضاري ورسالته العالمية؛ لمد جسور التفاهم والتشارك العالمي

من خلال فهم صور الغرب المتعددة.

وأما الفصل الثالث: فقد ذكرت فيه كيفية ذلك التشارك والتواصل بين الشرق والغرب وبينه وبين الأمم الأخرى؛ بفتح آفاق الحوار الحضاري والحلول الاستشرافية التي وردت في فكر مالك بن نبي عن طريق تفعيل فكرة الكومنولث الإسلامي وفكرة الافرو اسيوية؛ للوصول السلام والتعايش العالمي.

وأما الخاتمة فعرضت فيها أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها من هذا البحث المتواضع والتي من بينها أنكر:

مالك بن نبي هو أحد أعلام الفكر الإسلامي الذي ساهم في حلول لمشكلات الحضارة وقد ساهم في تكوين فكره الثقافة العربية الإسلامية من البيئة الأسرية وتأثره بالحركات الإصلاحية، والثقافة الفرنسية الغربية.

إن الحضارة في تصور مالك بن نبي هي الركيزة الأساسية لدراسة حركة التاريخ في المجتمعات وهذا يمكننا من التعرف على المتغيرات العمرانية والاجتماعية، وفهم السنن التاريخية في إطار حركتها التاريخية.

يرى مالك بن نبي أن دراسة تجارب الحضارات الأخرى مهم جداً؛ لتخطي أزمة العالم الإسلامي الحضارية.

الحوار في فكر بن نبي هو عبارة عن ظاهرة إنسانية تميز المجتمعات البشرية، وهو يرى أنه ضرورة للتعامل بين الشعوب والأمم، إذ يقتضي اعتراف المسلم بوجود الآخر والاعتراف بأن غيره لا يقل شأنًا عنه؛ فالحوار أخذ وعطاء وطريق للتفاهم والتخاطب بين الناس، كما أنه يجعل الإنسان منفتحاً على الحضارات الأخرى.

في ظل أحداث القرن العشرين وخاصة في الثلث الأخير منه كما يرى مالك بن نبي

والتطورات التكنولوجية والرقمية وتطور الصناعة، ووسائل التواصل الحديثة لا يمكن للمسلم أن يعيش في عزلة عن حركة التطور الحضاري في العالم، وإنما عليه المبادرة في مد جسور الاهتمامات الحضارية بين شعوب العالم، والوسيلة المجدية للوصول لذلك هو حوار الحضارات، ولعل أزمة كورونا من أكثر الأزمات الكارثية التي أثبتت وجوب التواصل والتشارك.

يأخذ الزمن والتراب عند مالك بن نبي أهمية كبرى، ومالك بن نبي يعتبرهما عاملان مهمان من عوامل بناء الحضارة، ويدعو بن نبي وضمن أطر كبرى توظيفهما في الصالح العام، ولا يمكن للعناصر الثلاث أن تتمازج إلا بوجود العامل الروحي (الفكرة الدينية).

يؤكد مالك بن نبي على أهمية عامل الثقافة في تفعيل الحوار الحضاري الإنساني، لهذا أولى الثقافة والمثاقفة أهمية بالغة في المشروع الحضاري، وأن موضوع الثقافة من أهم المواضيع التي يجدر بالمتقف أن يشتغل وأي إخفاق للمجتمع في موضوع الثقافة ينم عن أزمة ثقافية، وأن الثقافة التي ينشدها الفكر الإسلامي لا بد أن تكون ثقافة إنسانية شاملة.

كانت الصلة بين الغرب والعالم الإسلامي من أهم الأزمات التي واجهت جهود الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي والذي يسبب اضطراب وتعثر في كل الاتجاهات الإصلاحية، ولذلك رأى مالك بن نبي وجوب التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تماشيًا مع المتغيرات التي يشهدها العالم.

وأن الجديد الذي جاء به مالك بن نبي أنه جعل من الحضارة إطار كلي وتفسيري لكثير من القضايا التي تبحث في القانون العام دون أن ينسى القضايا الأخرى بل جعلها تحت المنظور الحضاري على المستوى الاجتماعي والسياسي وحتى الاقتصادي الذي رأى أنه يمكن للكتلة الأفريقية والآسيوية و(فكرة الكومنولث) من السير في اتجاه العالمية بإعادة صياغتها في البقاء كمصدر ومحور للمواد الأولية مع الاهتمام بالعنصر البشري (الإنسان).

ووصي البحث: يوصي البحث بأن يتم تخصص بحوث في موقف مالك بن نبي من المسيحية واليهودية، حيث إن فكره في اليهودية يحتاج لتحليل أكثر وكذلك المسيحية؛ لإمكانية ربط ذلك بالحوار الحضاري من منطلق موقف واضح لهما؛ فاليهودية والمسيحية مكوّنين في الحضارة الغربية ليتم وضع تصور واضح للآخر في الغرب.

وأن يتم استثمار فكر بن نبي في الرد على المستشرقين وتصنيفه لهم؛ فردوده اعتمدت البراهين العقلية وتستحق الاهتمام أكثر من الجانب الأكاديمي، حيث إن فكر المستشرقين لهم دور مؤثر في الأحداث العالمية والوقائع في العالم الإسلامي.

وأن استثمار فكر مالك بن نبي في النظرية الاقتصادية وربطها بجوهر اجتماعي عام، فالحرفي والتاجر والمعلم والفلاح والمتقف والمرأة ودور كل ذلك الجهد العقلي الروحي اليدوي؛ لبناء لبنة في حضارة جديدة، تحييها نهضة إسلامية مرتبطة بالنسق الحضاري العالمي.

وضع خطط اقتصادية مستقبلية في توجيه ثلاثية رأس المال والوقت والجهد واستثمار فكره في النقد الرأسمالي والشيوعي والذي كان نقدًا موضوعيًا، وتقويم المسار الاقتصادي على مستوى الأفراد وعلى المستوى الإقليمي، لتبني فكر اقتصادي إسلامي متوازن وتفعيل فكرة التكامل والتعاون الاقتصادي بين أقاليم العالم الإسلامي.

يوصي البحث بتبني فكر مالك بن نبي التربوي والثقافي والحضاري بتربية إنسان ما بعد الحضارة بمقرر جديد أو ضمن مادة التاريخ في المدارس، فيؤخذ التاريخ بطريقة تجعل في الفكر الإسلامي قابلية للتداول والتواصل والانفتاح على الآخر والقيم العالمية عمومًا والتخلص من القابلية للاستعمار، وتبني حلول المشكلات الحضارية التي جاء بها مالك بن نبي في مؤلفاته.

والحمد لله الذي فضله تتم الصالحات.



## ABSTRACT

### **"Dialogue among Civilizations in Malek Bennabi's Thought"**

Praise to Allah who taught by the pen, taught man that which he knew not and may the peace and blessings of Allah be upon Muhammad, the messenger of Allah, who has been given short rich expressions (pithiness of speech), so that his religion has been guidance for the Arabs and the non-Arabs.

Now then,

Malek Bennabi is considered as one of the leaders of the Islamic thought, as he is well-known person, so that he has inspired a lot of researchers to research his thought and that made me join them in researching his thought, whereas I chose him in my such research in order to ask from inspiration of Malek Bennabi's thought in dialogue among civilizations and my wish in knowing what he introduced of services for thought and the Western literature before the Arab literature, taking advantage of his cultural and personal experience. He is a philosopher and engineer of civilization, as he viewed the civilization and called for solving its problems and its role in convergence, coexistence, and dialogue with other, therefore the title of this research is as follows:

### **"Dialogue among Civilizations in Malek Bennabi's Thought"**

There are a lot of intellectual works of Malek Bennabi and his intellectual formulations have been in two sides; the first one has been the connection with Islam, its heritage as well as its approach and the second side has been openness to other civilizations and their knowledge. The Islamic and Western heritage and its original source are the spiritual motivation and the establishing factor of Malek Bennabi's thought. In spite

of oldness of data and examples cited by Malek Bennabi in the period of 1950s and 1960s, I think that his view has preceded its time, as Malek Bennabi's views were looking to the future. When we read his books in the present, we find that his books deal with the past and at the same time deal with what is going on in the Islamic world in the present. Today here are his ideas in this research contribute to adopting the dialogue among civilizations and the depth of Malek Bennabi's thought represents in getting the Islamic world away from what it going through a period of aggravation, obliteration, retrogression, backwardness and isolation, to the progress and development with a humanitarian participation, and by finding practical ways for the progress, development, and the economic and civilized openness.

Through the previous title, the importance of this research is highlighted, and it is represented in identifying the civilized method through which the Muslim is transferred from negative factor and a passive onlooker to an active player and witness in the civilized dialogue. The genius of the nations is in their civilized presence and this is reflected by getting rid of all the obstacles of the civilized dialogue for all parties. Then, by shedding light on the perspectives of the forward-looking solutions in Malek Bennabi's thought in order to find the motivations of the civilized advancement and openness to universality and the constructive civilized dialogue by adopting the approach and theory of Malek Bennabi and executing his experience and adopting his future views in order for building bridges of understanding among civilizations.

**Accordingly, it comes to mind many questions about:**

**What are the problems of the civilized dialogue in point of view of Malek Bennabi? How did he perceive their remedy?**

Through that, many questions arise about the character of Malek Bennabi and the most important of his books?

Why did Malek Bennabi care of dialogue with other, particularly the problems of civilization and achievement of the civilized advancement?

How were the elements of the civilized dialogue represented by Malek Bennabi and how did he adopt the solutions for the obstacles?

How did Malek Bennabi see the perspectives of the forward-looking solutions in order to find the motivations of the real civilized dialogue and the correct approach of the openness to universality?

The answer to these and other questions are in detail in an introduction and three chapters.

The introduction includes the problem, the importance and goals of the research, the previous literature about it, the approach taken in this research, difficulties, and then the research plan.

I mentioned after the introduction an introductory chapter, which I have made it an explanatory section of the concept of the dialogue among civilizations. In this chapter, I have dealt the concept of the civilization in the first topic and I have defined it linguistically and idiomatically. In the meantime, and to come to know more about the concept of the civilization, it has been dealt with in the Western and Islamic thought and the second part of dissertation title which is the dialogue, giving the perception of the concept of the dialogue, particularly the dialogue among civilizations and presenting some scholars' sayings about it (the dialogue), then I indicated its importance. I mentioned the reality of the dialogue among civilizations with presenting some sayings of its supporters and discussing their views, after that I have transferred to a side of the research which is the terms and concepts as well as the linking of each term to the civilized enlightenment and openness with other.

As for the first chapter, it has been entitled as the concept of civilized dialogue in the Malek Bennabi's thought, so I began it with an overview of Malek Bennabi's life, his most important books, the feature of dialogue and

the other in his books and his thought on the basis of his social, realistic and intellectual experience, which has been shaped during his life in Algeria, his experience in France and his trial to map the way to the intended human civilization, the classification of civilizations in his writings, and his call for dialogue with the West without any inferiority complex, and he considered it as an effective method in order to achieve the major goals and civilized progress with the effectiveness of man, time and territory, and by adopting the principles of civilized thought in Malek Bennabi's perception.

As for the second chapter, I have dealt with the elements and principles of the civilized dialogue, and then the obstacles to the dialogue among civilizations in Malek Bennabi's writings, and how to activate the role of culture and acculturation in the dialogue among civilizations in order to overcome the causes and types of the clash of civilizations that Bennabi drew up in his writings through what he witnessed and lived by, the Muslim's role in the civilized existence and his universal message in order to build bridges of global understanding and participation through understanding the multiple forms of the West.

As for the third chapter, I have dealt with how this participation and communication between East and West, and between it and other nations would be by opening up the perspectives of the civilized dialogue and the forward-looking solutions set out in the Malek Bennabi's thought by executing the idea of the Islamic Commonwealth and the Afro-asiatic idea in order to reach the global peace and coexistence.

As for the conclusion, I have dealt with the most important **results and recommendations** that I reached from this modest research, among these **results**, I mentioned the following:

- Malek Bennabi is one of the leading figures of Islamic thought, who contributed to solutions of the problems of civilization, and he

contributed to the formation of the idea of the Arab Islamic culture from the family setting, as well as his influence by the reform movements and the Western French culture.

- the civilization in Malek Bennabi's perception is the basic foundation for examining the movement of history in societies and this enables us to identify the urban and social variables and understand historical norms in the framework of their historical movement.
- Malek Bennabi has believed that the study the experience of the other civilizations is very important in order to overcome the civilized crisis of the Islamic world.
- the dialogue in Malek Bennabi's thought is a humanitarian phenomenon characterizing the human societies and he has believed that it is a necessity for dealing between the peoples and nations, whereas it requires the Muslim's acknowledgement of the other's existence and his acknowledgement that the other is not less than him in his value, whereas the dialogue is give and take and way of understanding as well as communication among people. It also makes human open minded to the other civilizations.
- In consideration of the events of the twentieth century, particularly in the last third of it, as Malek Bennabi believes, the technological and digital developments, the development of industry, as well as the modern means of communication, a Muslim cannot live in isolation from the movement of civilized development in the World, but he should take the initiative to build bridges of the civilized interests among the peoples of the World and the viable method in order to reach this would be the dialogue among civilizations. The Corona crisis may be one of the most catastrophic crises that have proven the obligation of communication and participation.
- For Malek Bennabi, territory and time have great importance and he has

considered them as two important factors for building the civilization. He has called for their utilization in the public interest within major frameworks and the three components can be integrated only by presence the spiritual factor (the religious idea).

- Malek Bennabi has reaffirmed the importance of the culture factor in activating the civilized humanitarian dialogue, so he has given great importance to the culture and acculturation in the civilized project. The matter of the culture is one of the most important topics which the intellectual person should work with and any failure of society in culture matter reflects a cultural crisis. The culture that the Islamic thought seeks should be comprehensive humanitarian culture.
- The link between the West and the Islamic world is one of the most important crises that faced the efforts of reform and renovation in the Islamic world and which caused a trouble and faltering in all of the reform trends. Therefore, Malek Bennabi has believed the obligation of the social, political and economic change in line with the changes that take place in the World.
- The new thing that Malek Bennabi came is that he made civilization a holistic and explanatory framework for a lot of issues that are examined in Common Law without forgetting the other issues, but he made them under the civilized prospective on the social, political and even economic level that he has believed that the African and Asian bloc and (the idea of the Commonwealth ) can move towards the direction of universality by reformulating it to remain as the source and theme of raw materials with an interest of the human element (human being).

### **The Research Recommendations:**

- The research recommends doing researches in Christianity and Judaism according to Malek Bennabi's view in Christianity and Judaism, as his

thought in Judaism as well as Christianity needs to more analysis because of the possibility of linking that to the civilized dialogue from the standpoint of a clear position of them; Judaism and Christianity are two constituents in the Western civilization in order to draw up a clear perception of the other in the West.

- Malek Bennabi's thought is utilized in reply to the orientalists and his classification to them, as his replies have depended on the mental evidence and deserve more attention academically. The orientalists' thought has an influential role in the world events and facts in the Islamic World.
- Malek Bennabi's thought should be utilized in the economic theory and linking it to a general social essence, as the craftsman, the trader, the teacher, the farmer, the cultured, the woman have a role in the mental, spiritual, and manual effort in order to build a cornerstone in a new civilization, revived by an Islamic renaissance associated with the global civilization pattern.
- Future economic plans should be drawn up in directing the trilogy of capital, time and effort, his thought should be utilized in the capitalist and communist criticism, which was objective criticism, and the economic course should be assessed at the level of individuals and at the regional level in order to adopt a balanced Islamic economic thought and activate the idea of economic integration and cooperation between the territories of the Islamic world.
- The research recommends to adopt the pedagogical, cultural and civilized thought of Malek Bennabi by bringing up the post civilization human with a new curriculum or within the history in schools. The history is taught in a way that makes the Islamic thought have the ability of dialogue, communication, and openness to the other, the world values in general, getting rid of the susceptibility to colonialism, and adopting

solutions to the civilized problems that Malek Bennabi has come in his books.

(Praise is to Allah by whose grace good deeds are completed).



## شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة، وأعاننا بفضلِه على أداء هذا الواجب، ووفّقنا لإنجاز هذا العمل، فأرفع رأسي بالشكر والحمد الكثير إلى العليّ القدير، خالق الكون والمخلوقات، رفيع السموات، المحي المميت، ذي الجلال والإكرام، الذي بفضلِه تتم الصالحات، وله الحمد في الأولى والآخرة.

ويطيب لي أن أقدم شكري وتقديري لمشرفي الفاضل الدكتور عز الدين معميش، الذي قبل الإشراف على هذه الرسالة، فقد أرشدني وقومني بأرائه النيرة وتوجيهاته القيمة، وغرس حب العلم في روحي العلمية، وأغدق عليّ بموفور علمه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وموفور الشكر والتقدير للقامة العلمية الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش الذي أنار لي الدرب باقتراح عنوان هذا البحث غير المطروق من قبل ودمتم منارة للعلم والمتعلمين.

وأشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من بعيد أو قريب. كما أشكر كل من ساهم في إنجازهِ ولو بكلمة طيبة.

## الإهداء

إلى روح " مالك بن نبي " إنسانا ومفكرا ومصلحا...

إلى كل من علمني حرفاً، وأمدني بخبايا المعرفة، إلى كل أولئك الأساتذة الكرام الذين منّ الله

عليّ بمعرفتهم، وعرفتهم منارة للعلم والعرفان فكانوا زاد عطاء ومعرفة،

إلى كل الأصدقاء والزملاء الأعزاء الذين ساندوني في هذا الإنجاز ولو بكلمة طيبة،

إلى أولئك الذين أبدوا كل استعداد للمساعدة ولم يقصروا عند الطلب وعند عدم الطلب أسرتي

وزوجي الفاضل.

## فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....	ف
الإهداء.....	ص
المقدمة.....	1
الفصل التمهيدي: التأصيل النظري لمفاهيم الدراسة.....	9
وفيه ثلاثة مباحث:.....	9
المبحث الأول: مفهوم الحضارة.....	19
المبحث الثاني: مفهوم حوار الحضارات.....	26
المبحث الثالث: المصطلحات والمفاهيم.....	27
الفصل الأول: مفهوم الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي.....	32
المبحث الأول: نبذة عن مالك بن نبي ومؤلفاته.....	42
المبحث الثاني: مفهوم حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي.....	43
المطلب الأول: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي.....	60
المطلب الثاني: دلالة الحوار ومفهومه عند مالك بن نبي.....	69
المبحث الثالث: تصنيف الحضارات في فكر مالك بن نبي.....	87
الفصل الثاني: مقومات الحوار الحضاري ومعوقاته في فكر مالك بن نبي.....	88

المبحث الأول: مقومات الحوار الحضاري.....	89
المطلب الأول: منطلقات الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي.....	105
المطلب الثاني: دور الثقافة في حوار الحضارات.....	106
المطلب الثالث: نماذج واقعية في الحوار الحضاري عند مالك بن نبي.....	127
المطلب الرابع: الشهود الحضاري، وصور الغرب في فكر مالك بن نبي.....	140
المبحث الثاني: تصنيف معوقات الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي.....	141
المطلب الأول: معوقات سياسية وما بعد الاستعمار عند مالك بن نبي.....	141
المطلب الثاني: معوقات دينية وتجديد فاعلية الدين في الحوار الحضاري.....	148
المطلب الثالث: المعوقات المعاصرة.....	152
المبحث الثالث: صراع الحضارات في كتابات مالك بن نبي.....	163
المطلب الأول: دلالة مصطلح صراع الحضارات.....	163
المطلب الثاني: عوامل الصراع والصدام في فكر مالك بن نبي.....	170
المطلب الثالث: تجليات الصراع الحضاري عند مالك بن نبي.....	203
الفصل الثالث: آفاق الحوار الحضاري وحلول استشرافية في فكر مالك بن نبي	204
المبحث الأول: فكرة كومنويلث إسلامي.....	210
المطلب الثاني: مبررات فكرة الكمنويلث الإسلامي.....	216
المطلب الثالث: فكرة الكمنويلث الإسلامي ودوره في التعايش العالمي.....	226

227	المبحث الثاني: استلهام الفكرة الأفريقية الآسيوية في مؤتمر باندونج .....
227	المطلب الأول: ظروف ميلاد الفكرة .....
237	المطلب الثاني: فكرة الأفرو آسيوية والتعايش .....
241	المطلب الثالث: فكرة الأفرو آسيوية والعالمية .....
252	الخاتمة .....
253	قائمة المصادر والمراجع .....
253	مؤلفات مالك بن نبي: .....
255	المصادر والمراجع العربية: .....
262	الرسائل والأطروحات الجامعية: .....
265	البحوث والمقالات المنشورة في المجالات: .....
266	المصادر والمراجع الأجنبية والمترجمة: .....
268	مراجع شبكة الإنترنت: .....

## المقدمة

الحمد لله الذي عَلَّمَ بالقلم؛ عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، من أعطي جوامع الكلم؛ فكان دينه هداية للعرب والعجم، وبعد:

يعد مالك بن نبي أحد رواد الفكر الإسلامي؛ فهو من الشخصيات ذائعة الصيت، الذي انشغل في دراسة الباحثين، وأسأل جبر الكثير من الدارسين، وسوف أضم قلبي إلى أعلامهم؛ فقد وقع اختياري في بحثي هذا لاستلهام فكر مالك بن نبي في حوار الحضارات؛ رغبة مني معرفة ما قدّمه من خدمات للفكر الغربي والعربي، مستفيدين من تجاربه الثقافية والشخصية؛ فهو المعروف بلقب "فيلسوف الحضارة ومهندسها"؛ إذ نظر إلى الحضارة بنظرة فاحصة، ودعا إلى حل مشكلاتها، وأبان عن دورها في التقارب والتعايش والحوار مع الآخر.

لقد كان للبيئة التي أحاطت بالمفكر بن نبي سواء في الجزائر أو في فرنسا، أثر كبير في توجهاته الفكرية وتطلّعاته العلمية؛ لأنه عاش في عصر ساهم التنوع الثقافي والتعدد الفكري، وتتوّعت الأفكار وتعدّدت المشارب لمفكري عصره؛ فقد عاصر حركات فكرية متناقضة فأعجب ببعضها ونقد بعضها، فبرزت لنا أهمية دراسة فكرته النقدية لتلك التجارب، التي سعى من خلالها إلى التغيير؛ ليؤسس بها لبنات أفكار نهضوية إسلامية، مُنطلقة من رؤية إسلامية أصيلة، وبتفاعلٍ واعيٍّ مع الأفكار الوافدة؛ لتلافي فشل المشاريع الإسلامية السابقة من جهة، ولتكوين رؤية واضحة، وتصوّر سليم من جهة أخرى، وليُسهم بذلك في توليد إرادة الفعل، والشروع في باب العمل، وإيجاد بدائل لتقبل الآخر، ونفي الصراع والصدام، وإيجاد مشروع فكري؛ ليتجاوز بالأمة من الأزمة في علاقتها بالأمم الأخرى تحت راية الحوار الحضاري.

ويأتي في هذا السياق جملة أمور لتؤسس موضوع البحث، وتتمثل في:

## أ/ أهمية البحث:

\* التعريف بمفهوم الحوار الحضاري في تجربة مالك بن نبي، في شروط النهضة لإنسان ما بعد الحضارة والنتية، وإخراجه إلى إنسان فعّال يسلك سبل الرشاد والنهوض الحضاري؛ للتخلص من كل الصراعات والحروب، والتوصل إلى حوار حضاري فعّال.

\* يُعد مالك بن نبي في إنتاجه الثقافي والفكري، وفي جهده الإصلاحية، مدرسة متكاملة، فهو من الرعيل الأول، ذلك الجيل المؤسس الضالع بتجربته الغنية والثمرة، الملزمة لاستقطاب اهتمام الباحثين، فقد عاصر الكثيرين من الرموز والشخصيات، بل قربنا إليهم في كتاباته، وجمع بين الثقافة الأصيلة والتجربة الغربية ومناهجها، وأتقن الفرنسية، فغاص في أغوار الثقافة الغربية، مما يمكننا من إثراء بساط البحث بمنهجيتها الفكرية والإصلاحية لتتميتها، فتحققت الرغبة الذاتية تجاه هذه الشخصية والموضوعية لإنجاز هذا البحث.

\* المساهمة في فتح أبواب المعرفة على الطريقة الحضارية التي تنقل المسلم من سلبي ومنقرج إلى ممثل وشاهد في الحوار الحضاري؛ فعبقرية الأمم بحضورها الحضاري؛ إذ يتجلى بالتخلص من كل عوائق الحوار الحضاري لكل الأطراف.

\* التعريف بآفاق الحلول الاستشرافية في فكر مالك بن نبي؛ لإيجاد بواعث الحوار الحضاري، والانفتاح على العالمية والحوار الحضاري البناء، بتبني منهج بن نبي ونظريته، وتفعيل تجربته وتبني رؤاه المستقبلية لمد جسور التفاهم بين الحضارات.

## ب/ إشكالية البحث وتساؤلاته:

تتبع إشكالية هذا البحث من كيفية تغيير نظرة صناع القرار والرأي والنخبة نحو طبيعة العلاقات بين الحضارات، والاعتقاد أن الأصل في العلاقة بين الشعوب هو الحوار وليس الصراع،

بما يحقق التكامل لا التنافس، وبيان ما اختلفت حوله آراء المفكرين، فهناك من يدعو إلى تقارب الحضارات بعضها بعضاً، وهناك من يبالغ في إيمانه به، دون وضع أي ضوابط في الاعتبار، في حين أن هناك كثيراً من الباحثين الذين يغيب عنهم ضوابط الحوار ومجالاته وأساسه طبقاً للعقيدة الإسلامية في العالم الإسلامي. وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث من خلال جهود المصلحين والمفكرين، التي هي بمثابة خيرات وجب على كل من يروم إلى التغيير الناجح أن يتدارسها ويجني ثمارها.

### - التساؤل الرئيس:

ما مشكلات الحوار الحضاري من وجهة نظر مالك بن نبي؟ وكيف تصور علاجها؟

ويتفرع منه التساؤلات الآتية:

- من هو مالك بن نبي؟ وما أهم مؤلفاته؟
- لماذا اهتم مالك بن نبي بالحوار مع الآخر وبالحوار ومشكلاتها وبتحقيق النهوض الحضاري؟
- كيف تمثلت مقومات الحوار الحضاري عند مالك بن نبي وتبني الحلول للمعوقات بحسب رأيه؟
- كيف نظر مالك بن نبي إلى آفاق الحلول الاستشرافية لإيجاد بواعث الحوار الحضاري الحقيقي، والانفتاح على العالمية، ورأب تصدعات الاختلاف والافتتال؟

وتمثل هذه الأسئلة إشكالية البحث العامة، وفي الوقت نفسه تُشكّل محور البحث الذي أمل

من الله أن يوفقني فيه.

### ج/ أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى الآتي:



- توضيح كيفية تفعيل تجربة مالك بن نبي؛ لتفعيل الحوار الحضاري، ودوره في النهوض الحضاري.

- التعرف على إشكالية النهضة التي تمثلت في الكثير من محاولات مالك بن نبي النهضوي، في حركة الفكر والإصلاح، وبيان أثر ذلك في العالم المعاصر، وحبك ما سبق في إطار منهجي متكامل وأكاديمي.

- بيان كيفية تجاوز معوقات الحوار الحضاري من خلال تبني أفكار بن نبي؛ لفهم الآخر وتقبله؛ ليصبح شاهداً حضارياً بخصوصية ثقافية وعقدية.

- التوصل إلى سبل آفاق الحلول الاستشرافية في فكر مالك بن نبي وتفعيلها؛ لإيجاد بواعث الحوار الحضاري الحقيقي والانفتاح على العالمية.

#### د/فرضيات البحث:

- إشكالية النهوض الحضاري عند بعض المفكرين، وأثرها في عدم وضوح ملامح الطريق في استعادة دور الأمة الإسلامية، ورسالتها للريادة، والشهادة، والتحضر.

- الغياب الحضاري للمسلم أوجد أزمة في الأفكار عند المسلم، ما أدى إلى عدم تحليل منهجي لمشكلات الحضارة بشكل موضوعي وأثرها في عدم تقبل الآخر شريكاً حضارياً عالمياً.

- عدم وجود رؤية مستقبلية واستشرافية جادة لتبنيها؛ مما أثر سلباً في فقدان حوار حضاري فعال، في ظل وجود المعوقات الحضارية، وهذا ما يُحوجنا إلى منظور مالك بن نبي؛ لفهمها، وتفكيك ألغامها، وتقديم الحلول لها.

- مظاهر التطور والتقدم والانفتاح على الآخر وحاجتنا لأفكار مهندس الحضارة مالك بن نبي.

- تفعيل تجربة مالك بن نبي في الحوار الحضاري قد تُسهم في رَأب الصدع بين الشرق والغرب.

#### ه/حدود البحث:

- ستكون حدود البحث في إطار دراسة أفكار مالك بن نبي، لا سيما في كل ما له صلة بحوار

الحضارات، من خلال مقالاته وكتبه؛ بوصفها مصدرًا أساسيًا، بالإضافة إلى ما كُتِب عنه.

- تتمثل الحدود المكانية والزمانية في مرحلة حياة مالك بن نبي العلمية والتفاعل مع الآخر في

فرنسا 1930-1960م، ثم مدة إقامته في الجزائر مرة أخرى: 1962 - 1973م.

#### و/الدراسات السابقة:

لا يشكُّ أحد في مكانة مالك بن نبي في الساحة الإسلامية وربما الغربية، لكن في اعتقادي

أنه لم يتم الاستفادة من علمه بالشكل الذي يجب، ومهما نهلت من فكره وعلمه يظل هناك قصور؛

فالجهد العلمية التي بُذلت في تقديم الثروة العلمية لهذا المفكر النهم والعالم الفطن، تبقى غير

محققة، وتظل حاجتنا ماثلة بين أفكاره ومؤلفاته لنستلهمها ونسترشد بها.

ومع ظهور حوار الحضارات في الساحة العلمية والعملية، سَأبذل قصارى جهدي لتسطير

فكره في هذا المجال من خلال هذا البحث:

\* يقدم البحث فكرة جديدة على مستوى الدراسات الحضارية؛ من حيث ربط العقل الفاعل بالواقع

الحضاري، واستثمار التراكم التاريخي؛ سواء كان هذا التاريخ إيجابيًا أو سلبيًا في المشتركات

الممكنة؛ لإيجاد يقظة للعقل الجمعي، الفاعل بفاعلية الفكرة الدينية، وتسخير الظروف لحوار

حضاري يقبل الصلة مع الآخر، والتخلص من المعوقات الواقعية، وتفعيل مقومات كامنة في

منظومة الحوار الحضارية.

(1) (كتاب الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، أنموذج مالك بن نبي): للمؤلف بدران بن مسعود بن الحسن، كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف بدولة قطر العدد 73، (1420هـ) (1999) السنة التاسعة عشرة، ط1، حيث تناولت الدراسة التجربة الحضارية الغربية وإسهاماتها والتطور الحضاري لها، ثم وضحت الحلول العملية بلغة الفكر الإسلامي، واتخذت مالك بن نبي أنموذجاً، وتطرقت إلى موضوع التخلف في العالم الإسلامي، وجوانب صلة الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية، وركزت على موقع الحضارة الغربية وصلتها بالوعي الإسلامي. وما يميز بحثي عنه أنه يتحدث عن الحضارة الغربية، ومشاكل الحضارة الإسلامية، ودور الحضارة الغربية وصلتها بمشكلات الحضارة الإسلامية، وكيف يربط المعرفة الجيدة للحضارة الغربية من خلال وجوب تفعيل حوار الحضارات بتبني فكر مالك بن نبي لحل مشكلات الحضارة، من خلال دعم حوار الحضارات بأفكار مالك بن نبي الاستشراقية، للاستفادة من تجربة الحضارة الغربية والحضارات الأخرى، والسبيل الوحيد إلى ذلك الحوار والتعايش، والانخراط في العالمية، وكيفية جعل الاقتصاد ينخرط في الحوار الحضاري بفاعلية المسلم في اقتصاديات العالم الكبرى.

(2) دراسة (موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب): للدكتورة نعيمة إدريس، التي نشرتها في مجلة الكلمة في لبنان العدد 87، السنة الثانية والعشرون، (1436/2015)؛ فقد كانت هذه الدراسة ملهمة لي في فكرة البحث بعد قراءتي لها، ودراستي لفكر مالك بن نبي في موضوع الحوار مباشرة. حيث تحدثت الدراسة عن الغرب ودور الحوار الحضاري، من خلال فكر ابن نبي، فقد كان من المؤيدين للحوار مع الغرب، وذكرت الدراسة أن ابن نبي ناصر فكرة الحوار قبل أن تظهر الأحداث التي دعت إليها كضرورة ملحة، وهذا يعود إلى عوامل عديدة، منها: دراسته ومعايشته العميقتين للغرب؛ مما مكنه من معرفة قيمهم الإيجابية والسلبية،

كما تحدثت الدراسة عن صور الغرب في تصور مالك بن نبي ودور الثقافة في الحوار، وتحدثت -أيضاً- عن الصراع كدافع للحوار، في حين أن بحثي تحدثت باستفاضة عن الصراع ومقوماته، وتجلياته، ودور أفكار مالك بن نبي الاستشراعية في تعزيز فكرة الحوار، انطلاقاً من تأثير الدور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وليس فقط الجانب السياسي.

وما يتميز به بحثي عن الدراسات السابقة أنه يستثمر فكر مهندس الحضارة مالك بن نبي في مشروع الحوار الحضاري، وهذا الميدان يعد بكرة في مجاله، والربط بين التجديد الحضاري ومقومات الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي، وهو فرصة لاستلهام أفكار مفكر إسلامي متميز ضد النظريات التي تدعو إلى الصراع والهيمنة، واستشراف آفاق جديدة لفكره النهضوي في هذا المجال المهم.

### ي/منهج البحث:

استعملت الباحثة المنهج الوصفي في تحليل أفكار مالك بن نبي، بهدف فهم الحضارة ومعرفة كنهها من خلال فهم جوانبها المختلفة، وكذلك فهم منطلقات الحوار واستنباط عوائقه، وتجنب الصراع والعواقب المستقبلية المؤثرة في الحوار؛ مستعينة بالمنهج التاريخي في تتبع مراحل حياة مالك بن نبي العلمية والفكرية. والمنهج التحليلي النقدي لقراءة بعض القضايا والأفكار.

ومما لا شك فيه أن البحث اعترضته بعض الصعوبات، منها: ما هو ذاتي مرتبط بالمسؤوليات الحياتية العامة، التي قد لا تُعطي التفرغ والفرص للمزاولة بانتظام، وهناك صعوبات موضوعية ترتبط بموضوع البحث، الذي يحمل الأنية والجدية، ومن خلال تشعب مباحثه التي يصعب السيطرة عليها. ومن الصعوبات محاولة التوفيق بين كتابة البحث ومسؤولية أسرتي في ظل ظروف انتشار وباء كورونا، وما آل إليه الوضع من حجر منزلي، وإغلاق المكتبات، وتعليق

الدراسة في الجامعات.

وفي الأخير أحمد الله تعالى على توفيقه وعونه لي في إتمام هذا العمل المتواضع، سائلاً  
المولى أن ينفع به، وأن يكون خالصاً لوجه تعالى، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي  
ومن الشيطان.

الفصل التمهيدي: التأصيل النظري لمفاهيم الدراسة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحضارة.

المبحث الثاني: مفهوم حوار الحضارات.

المبحث الثالث: المصطلحات والمفاهيم.

## المبحث الأول: مفهوم الحضارة

أولاً- الحضارة لغةً: ورد لفظ الحضارة في معاجم اللغة العربية بمعنى الإقامة في الحضر، أي: السكن في المدن والقرى، فهي ضد البداوة فالبداوة تعني الانتقال والتنقل الذي لا استقرار فيه، وجعل لفظ حضارة مقابل بداوة؛ لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار؛ فالحضارة تعني الإقامة في الحضر عكس البداوة<sup>(1)</sup>؛ ومع ذلك فإن البداوة أصل الحضارة، وغاية البداوة الحضارة ونهاية العمران، وتطلق لفظ الحضارة على التطور الإنساني ومظاهر التقدم العلمي والتقني وانتشار أسباب الرفاه<sup>(2)</sup>.

وجعل ابن خلدون الحضارة مرحلة متقدمة من مراحل الرقي الاجتماعي والترف والدعة والسعي للكمال؛ كالتأنق في الملابس ومعاليه البيوت والصروح ومعنى الحاضرون هم أهل البلدان والأمصار<sup>(3)</sup> وتتطلع الجماعات الإنسانية للحضارة بطبيعتها، والإنسان مجبول على التساكن والتنازل للأنس بالعشير، وقضاء حوائجه بالتعاون بالعمران، ومنه ما يكون بدويا في الجبال والضواحي ومنه ما يكون حضريا وهو بالمدن والأمصار<sup>(4)</sup>.

وذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف للقرن العشرين أن الحضارة هي الإقامة في الحضر، وهي خلاف البداوة، وهي كلمة مرادفة للمدنية؛ لأنها مشتقة من المدن، وخروج من مرحلة

---

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، 2003م)، ج4، حرف الحاء، ص907.

(2) ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978م)، ج1، ص475.

(3) ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون "مقدمة عالمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، طبعة جديدة مصححة اعتنى بها أبو صهيبي الكرمي، (الأردن: بيت الأفكار الدولية للطباعة والترجمة والنشر 1424-2004)، ص65.

(4) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: مطبوعات دار نهضة مصر، ج1، د.ط، د.ت، 2014)، ص336.

البداءة والدخول في الحضارة، فالحضر بخلاف البدو<sup>(1)</sup>.

وجاء في كتاب المعجم الفلسفي الحضر بالفتح، حيث قال القطامي:

**فمن تكن الحضارة أعجبتة فأى رجال بادية ترانا<sup>(2)</sup>**

وهي من أولى الاستعمالات لكلمة الحضارة مقابل البداءة.

**ثانياً- الحضارة اصطلاحاً:** لم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والحضارة على تعريف محدد ومنضبط لها، وإنما اختلفت تعريفاتهم؛ تبعاً للعقائد والمذاهب والمدارس التي ينتمون إليها، وجاء المسلمون المُحدَثون ليقولَ بعضٌ منهم: إن الحضارة: هي العقائد الدينية، وهي الازدهار الاقتصادي، وهي -أيضاً- الإنجازات الإنشائية والأنظمة التشريعية الحياتية لأي أمة من الأمم، ويمكن أن تكون تضامناً اجتماعياً، طبقاً للتقاليد والعادات الموحدة. وعرفها بعضهم بأنها الإنجازات التي حققتها البشرية أو سوف تحققها، وهي تشمل العمران والفنون والمعارف، والترقي بها في مدارج الحياة<sup>(3)</sup>. ويراها آخرون أنها ثمرة لكل جهد يقوم به الإنسان من أجل تحسين ظروف حياته، سواء كان هذا المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أو لم يكن مقصوداً، مادياً أو معنوياً<sup>(4)</sup>.

**والحضارة** تكون ثمرة التمدن، والإنتاج الفكري والمادي، وسلوك عام لمجموعة من البشر في حقبة زمنية محددة، وهذا النشاط الفكري يساهم في البنى التحتية والفوقية، وتحقيق الرفاه المادي للأفراد والمجتمع، وأما السلوك العام فهو منطلق من العادات والتقاليد وقيم المجتمع الفكرية

---

(1) ينظر: وجددي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد 3 (بيروت: دار الفكر، ط3، د.ط)، ص 554.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، 475.

(3) أبو زيد شليبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط 2012)، ص 7.

(4) ينظر: حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة (الكويت: دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد الأول، 1978م).



والأخلاقية لكل من السلطة الحاكمة والمجتمع<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن نقول: إن للحضارة دلالة وظيفية عميقة؛ فهي مرتبطة بأداء رسالة عالمية لاتصالها بأنساق عقديّة أخرى، وهذا يلزم عنه توسيع الانفتاح والتواصل والتعايش مع الآخرين، عن طريق التعاون والمشاركة في كل ما يرتبط بقضايا العصر من مواقف وأحداث؛ ليساهم في خلق تقاطعات حضارية مهمة، وتبني عليها معايير يقاس بها التقدم والعطاء الحضاري، ومدى قدرة تلك الأنساق على تحقيق إنسانية الإنسان في بناء صرح حضاري، فقد جاء الإسلام بمفهوم عام للحضارة قوامه الحركة المعنوية والمادية والتقدم بالإنسانية وحماية المجتمعات من الانحرافات، وقد شمل الإسلام في تعريف الحضارة القلب والعقل والروح والمادة والدنيا والآخرة بنظرة إنسانية شاملة، وقادت العالم بالإخاء والرحمة والتقوى<sup>(2)</sup> وتفعيل سنن التعارف بين الحضارات من أجل تحقيق الانفتاح والتبادل والتعاون.

وفي ظل غياب الاستقرار والأمن الذي يشهده العالم لن يكون هناك إلا هدم وتدمير لكل المشتركات الإنسانية إن لم يُتَلاف الأمر بتلاقح الحضارات وحوار الشعوب. ومفهوم الحضارة تعدد تبعاً لتعدد المدارس الفكرية، فالحضارة في مفهومها الشامل تعبير عن منظومة القيم والمبادئ والعقائد، وتشمل جميع الأنشطة البشرية في شتى الحقول الفكرية والعلمية والأدبية، وما تفرزه من أدواق وأنماط في السلوك، وأساليب الحياة، ومناهج التفكير المتعددة<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، (السعودية: جامعة الملك سعود، 1430هـ)، المقدمة.

(2) أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام، (القاهرة: دار الأنصار، ط4، د.ط، د.ت) ص 6-7

(3) ينظر: ابن ناصر سارة، الحضارة في فكر أرنولد توينبي ومالك بن نبي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، قسم، كلية، (الجزائر: جامعة تلمسان، 2012)، ص4.

ويمكننا أن نوضح مفهوم الحضارة في الفكر العربي والإسلامي من خلال التعريفات الآتية:

(1) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ( 1406 – 1332): لقد عاش مرحلة عصبية ارتبطت

بتاريخ انحطاط المسلمين في عصر ملوك الطوائف في الأندلس وغيرها من بلاد المسلمين،

لكنه رغم ذلك لم يركن إلى التشاؤم، بل حاول أن يضع تفسيرات لأسباب انهيار الحضارة

الإسلامية بعد بلوغها قمة التضرر وال عمران البشري؛ فالحضارة عند ابن خلدون هي: التقنن

في الترف، وأحكام أنواع الصنائع المستخدمة في المذاهب المختلفة من: مطابخ وفرش ومباني

وملابس، وفي كل سائر أحواله والتأنق في ذلك كله<sup>(1)</sup>. فالدولة عنده ظاهرة تاريخية واجتماعية،

والعصبية سبب حركة التاريخ، التي تنتقل الدولة من مرحلة تاريخية اجتماعية (أي: من البداوة)

إلى الحضارة. فابن خلدون جعل قوام مفهوم الحضارة يتأسس على مفهوم الدولة.

(2) عمر فروخ أديب ومعلم ومحقق لبناني (1987 – 1904): كان من ضمن مؤلفاته "الحضارة

الإنسانية وقسط العرب فيها"، الذي ذكر فيه أن الحضارة والثقافة هي نتاج لتطور لا ابداع،

بمعنى أن الإنتاج الحضاري أو الثقافي يأتي مكملًا لمفكر سابق، وكذلك هي الاختراعات التي

يتم بعضها بعضاً، فلا يوجد حضارة ابتدعت؛ فالحضارة هي عبارة عن امتداد لموكب طويل

وممتد، ساهمت فيه كل أمة بتاريخها الحضاري، وهي -في تصويره- كالشمس تشرق على

جزء من العالم، في حين تكون قد غربت عن العالم الآخر<sup>(2)</sup>؛ ولذلك تحدث في كتابه عما

أسماه "الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها"، وفيه إشارة إلى دور الإسلام في الحضارة

---

(1) ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ص 216.

(2) ينظر: عمر فروخ، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، (بيروت: مكتبة المهديين ودار بيروت للطباعة والنشر، ط2، 1980)، ص 8.

الغربية.

(3) أبو الأعلى المودودي ( 1322 1399):<sup>(1)</sup> كان قد طالع تاريخ الحروب عند جميع الشعوب

قديمًا وحديثًا، وعرف الحضارة بأنها مجموعة من الأنظمة المتكاملة، التي تحوي مناهج وقوانين؛ أنشأها الله تعالى، وتشمل أفكار الإنسان وآراءه الخلقة، في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهي المقياس لتفوق أي مجتمع من المجتمعات<sup>(2)</sup>. كما أن أبا الأعلى المودودي من المفكرين الذين كتبوا عن أسباب تخلف المسلمين وتأخرهم لفقر الأفكار لديهم؛ حيث نظر إلى الحضارة الغربية على أنها غير إنسانية، فالحضارة في تصوره تخضع لله، وفيها وزن للنبوة، وتصديق بيوم محاسبة الإنسان على أعماله، ويكون أساسها الدين. وبعبارة أخرى: الحضارة عنده هي الإسلام<sup>(3)</sup>. إذاً الحضارة في مفهوم المودودي تتحقق من خلال المنهج الإلهي؛ لأنه يسهم في القضاء على الظلم والفساد.

(4) تقي الدين النبهاني (1914): من مواليد قرية إجزم في فلسطين، وقد عمل مدرساً للعلوم

الشرعية في وزارة المعارف الفلسطينية، وفي كتابه نظام الإسلام عرّف الحضارة: بأنها مجموعة من المفاهيم عن الحياة، والحضارة عنده قسمان: الحضارة الغربية التي تقوم بفصل الدين عن الدولة، والحضارة الإسلامية التي تقوم على أسس من العقيدة والإيمان بالله. ويظهر مما سبق أنهما متناقضتان.

---

(1) أبو الأعلى المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان عمل في الصحافة نادى بإنشاء دولة بحكم إسلامي، اعتقل بتهمة إثارة الفتن وصدر حكم بإعدامه ثم أطلق سراحه، وله كثير من الكتب المناهضة للصهيونية والشيعوية. المصدر: أحمد العلوانة، ذيل الأعلام (السعودية: دار المنارة، ط1، 1998م)، ص40.

(2) ينظر: المودودي، نحن والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 23.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 3-5.

ويُفرق بين المدنية والحضارة الغربية، فالأولى يرى أنه لا ضير من أخذها؛ لأنها نتاج للعلم والصناعة، في حين يرى أن الحضارة الغربية لا يجوز الأخذ بها؛ لأنها تخالف الحضارة الإسلامية، بل وتتناقضها في أساسها التي تقوم عليه<sup>(1)</sup>.

(5) ابن الأزرق (831 هـ - 1428م): تبرز أهمية ابن الأزرق في عطائه العلمي، لا سيما في كتابه الفريد "بدائع السلك في طبائع الملك"، وموضوعه السياسة العقلية والشرعية والاجتماع البشري؛ حيث عرف الحضارة: بأنها النهاية لأكمل العمران، والمفضي به إلى الفساد، والغاية في الشر البعيد عن الخير، ومن سلم ذلك فهذا يدل على قرينه للخير<sup>(2)</sup>. ابن الأزرق يشاطر ابن خلدون الرأي في أن نهاية العمران ينذر ببداية الفساد أو الانهيار، أي: أن الترف هو بداية الانحطاط.

(6) سعيد بن محمد ديب حوى (1409 - 1354): كان سعيد بن محمد ديب حوى كثير الحركة والتنقل في البلاد العربية والإسلامية والأوروبية؛ ولذلك فهو ينظر إلى الحضارة بأنها مجموع ثقافة ومدنية لأمة من الأمم، وهناك جانب مادي للأشياء المحسوسة، وهناك جانب ثقافي يتمثل في العقائد والأفكار والتصورات والسلوك والآداب<sup>(3)</sup>. وإذا قارنا بين مالك بن نبي وسعيد حوى في مفهومهما للحضارة، نجد أن الأول يرى أن شروط الحضارة هي: الإنسان والتراب والوقت، في حين أن الآخر يرى أن شروط الحضارة هي: الأرض والوقت وأهل الاختصاص

---

(1) ينظر: تقي الدين النبهاني: نظام الإسلام، (بيروت: منشورات حزب التحرير، ط6، 2001)، ص64، 65.

(2) ينظر: ابن الأزرق، بدائع السلوك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، (ليبيا: دار العربية للكتاب، د.ط، 1977م)، ج1، ص 59.

(3) ينظر: الشيخ سعيد حوى في فيديو نادر له: لا حضارة إلا مع الإسلام، الموقع الإلكتروني، مجلة، محمد رمضان، المجتمع (الكويت، 10 أبريل 2016).-<https://mugtama.com/intellectual/item/32451>.

والنظام المناسب والثقافة<sup>(1)</sup>. فهو يخالف بن نبي في أن الدين ليس له دور في المدنيات المعاصرة؛ لأنه لو طبق الدين في الغرب لما كان هناك حضارة وتمدن، بل إنه يرى أن سبب الازدهار والرقى الحضاري هو فصل الدين والاعتماد على الأفكار<sup>(2)</sup>، فالحضارة عنده تقدم مدني وتقدم حضاري ثقافي، وهو يشاطر بذلك حسين مؤنس في أن الحضارة بجانبها المادي والمعنوي ما هي إلا مظهر حضاري، ونتاج لتفتح فكر الإنسان وتفاعله؛ إذ يرى أن الحضارة مرتبطة بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً، فما التاريخ في تصوره إلا ثمرات حضارية.

(7) **حسين مؤنس: (1329هـ-1911م):** كان حسين مؤنس أستاذاً للتاريخ الإسلامي بكلية الآداب، في جامعة القاهرة. فهو يرى أن الحضارة ثمرة للجهد البشري، التي يهدف منها إلى تحسين ظروف معيشتهم، وقد تكون الحضارة جانباً مادياً أو معنوياً، وكل الثمرات الحضارية تخضع إلى الزمن، إضافة إلى الجهد البشري<sup>(3)</sup>.

فالحضارة في التصور الإسلامي بشكل عام هي إنجازات الإنسان عبر الزمن، سواء كانت إنجازات فكرية أو مادية، ويُعتبر التّقدم في العلم والمعرفة والأخلاق هي أساس كل حضارة، وكلّما زاد علم الإنسان ومعرفته وجهده البشري زاد وازدهر البناء الحضاري في المجتمع الذي يعيش فيه.

### مفهوم الحضارة في الاصطلاح الغربي:

---

(1) ينظر: العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2005م)، ص 71-72.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 72.

(3) ينظر: مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط2، 1998)، ص 13.

كان لمفهوم الحضارة حظ وافر في الدراسات الغربية؛ حيث تعددت تعريفات العلماء الغربيين

لها، وسنذكر هنا تعريفها عند بعضهم:

(1) **ويليام جيمس ديورانت (1885-1981):** يعرف الحضارة بأنها نظام اجتماعي يعمل على

الزيادة من الإنتاج الثقافي، وتتألف عناصر الحضارة من المورد الاقتصادي، والنظام السياسي،

والتقاليد، وملاحقة تطورات العلوم والفنون، وهي تبدأ حينما ينتهي الاضطراب ويعم الاستقرار؛

فالحضارة تحدث نتيجة الإنتاجية<sup>(1)</sup>. وهو بهذا يتفق إلى حد بعيد مع تايلور.

(2) **إدوارد بورنت تايلور Tylor (1931):** عرف الثقافة والتي تكاد تكون بمعنى الحضارة في

المفهوم الغربي وهي جزء من الحضارة، بأنها المركب الذي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن

والخلفيات، وكذلك الفنون والعادات، وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كأحد أعضاء

المجتمع<sup>(2)</sup>. وهو من أشهر التعريفات عند الغربيين.

(3) **اشبنغلر: أوسوالد أرنولد (1880-1936):** يعرف الحضارة بأنها عنده ظاهرة روحية لجماعة

معينة من الناس، ولها تصور واحد عن العالم، ولهم خصائص ذاتية متميزة، ومفهوم الحضارة

عنده فضائيات تتسجم مع بعضها بعضاً، ومغلقة على ذاتها. ويرى أن التركيب الباطني

للحضارات واحد، وأن للحضارة دستوراً أخلاقياً يعتمد على المشاعر والوجدان، وأن الحضارة

---

(1) ينظر: ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، 2009)، ج1، مج1، ص 3.

(2) ينظر: غريتر، تأويل الثقافات، ترجمة: محمد بدوي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2009)، ص247.

ما أن تبدأ في الاعتماد على الطور العقلاني فإنها تشيخ وتسقط<sup>(1)</sup>. كما يرى أن للحضارة

طاقة كالطاقات العضوية تبدأ بالضعف، ثم القوة، ومن ثم تؤول إلى الضعف والموت<sup>(2)</sup>.

وإذا كان اشبنغلر يقول: إن الحضارة قد تموت وتقرض، فإن هنتجتون يرى أن الحضارات

يمكن أن تسبب صراعاً ودماراً، فقد أثار القلق على مستقبل الحضارات في ظل نظريته، التي

تتضمن أن هناك صراعاً وصداماً حضارياً حتمياً، وقلقه على مستقبل الحضارة الغربية في ظل

تحدي الحضارتان الآسيوية والإسلامية<sup>(3)</sup>.

(4) صامويل فيليبس هنتجتون ( 1927-2008): عرّف الحضارة بأنها أعلى تجمع ثقافي من

البشر، وعرفها بمستويات من الثقافة، وصنف الحضارات إلى حضارات عديدة: الصينية

واليابانية والهندية والإسلامية والغربية والأفريقية والأمريكية اللاتينية<sup>(4)</sup>. وهو صاحب نظرية

صدام الحضارات، وهي النظرية التي تؤمن أن صراع العالم سيكون ثقافياً، ومنطلق ذلك

يتأسس على أن الحضارة الغربية وبعض الحضارات الأخرى تلتقي على أسس ومبادئ

مشتركة، تختلف جوهرياً بلا تلاقٍ مع الحضارتين الإسلامية والصينية، لذلك العالم محكوم

بالصراع والصدام، الذي ينتهي على انتصار الأنموذج (الباراديغم المتمثل في الحضارة

الغربية)، فالحضارات عنده هي عبارة عن قبائل إنسانية كبرى؛ ولذلك فإن صراع الحضارات

---

(1) ينظر: اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ط1،

1964)، ص12-14.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص12.

(3) ينظر: صامويل هنتجتون: صدام الحضارات إعادة النظام العالمي 1996م، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم:

صلاح قنصوة، (أمريكا، ط2، 1999)، ص 169.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 71.

يكون صراعاً قبائلياً على نطاق عالمي؛ إذ تحتل الثقافات المركز الأول في التمييز والتصنيف بين البشر في عالم اليوم. كما يرى أن التماسك الاجتماعي يتحقق في الحروب، ولترسيخ الهويات ضرورة وجود عدو مشترك<sup>(1)</sup>.

(5) روبرت ردفيلد (1897): عرف الحضارة بأنها الكل المعقد، ولكنها تتأسس على التفاهم المشترك بين المجتمعات الصغيرة<sup>(2)</sup>. وعرفها بمصطلح "المجتمعات الصغيرة" في سياق الدورة الحضارية.

فالحضارة في الفكر الغربي هي نتاج للروح الإصلاحية لعصر الأنوار. حيث إن اللحظة التاريخية التي تظهر فيها حضارة تسجل انعكاسية للذات، وانبثاق وعي وإنجاز، يظن أنه يفهم طبيعة ذلك النشاط الحضاري، وأنه يدرك كيف تتطور الحقيقة الجماعية، وكيف ينبغي لها أن تنظم. فقد نشأ المفهوم عن وعي متغير، وعن رغبة إنسانية مستتيرة في معرفة ذاتها في شكل أكثر تطوراً وتقدماً للجانب الثقافي والاقتصادي والسياسي.

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

(2) ينظر: دنكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، (بيروت دار الطليعة، د.ط، 1981م)، ص 167.



## المبحث الثاني: مفهوم حوار الحضارات

**أولاً: الحوار لغة:** يعني الرجوع عن الشيء إليه، والمحاورة هي المراجعة للكلام والمنطق في المخاطبة والحوار، ومادة (ح و ر) في اللغة لها معانٍ عديدة في المحاورة والمراجعة، وهي: المجاورة والتجاوب، وهو مراجعة المنطق في المخاطبة. وقد قيل: وهما يتحاورن، أي: يتراجعون في الكلام<sup>(1)</sup>، كقوله تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} الانشقاق: 10. وكلمة حوار "في العلاقات الدولية الحالية، تستعمل للدلالة على أشكال المفاوضات الدبلوماسية بالمعنى الدقيق، والذي يتميز بالمرونة في تنظيم وسير الأعمال، كما يهدف الحوار إلى المعرفة الفضلى والتقييم الأكثر صحة للفرقاء المشاركين ولمسائلهم أكثر منه إلى الوصول لنتيجة محددة (مثلاً، الحوار بين الشمال-الجنوب، الحوار الأوربي-العربي-الأفريقي)"<sup>(2)</sup>، فالحوار بالمعنى السابق يحمل في طياته معنى السلم وبعيدا عن الكره والتسلط، وهو -أيضاً- بديل الصراع سواء بين الديانات أو بين الحضارات، ذلك الصراع الذي نادى به المنطق الأمريكي متمثلاً في صامويل هنتنجتون وبرناد لويس من قبله بين الحضارات، لا سيما بين الحضارة الغربية مع الإسلامية. وهناك تعريفات كثيرة للحوار اصطلاحاً، لكنني استحسننت التعريف التالي لقربه من موضوع حوار الحضارات.

**ثانياً: الحوار اصطلاحاً:** عرفه الدكتور محمد الكتاني بأنه "سلوك حضاري مبني على منظومة من القيم الكونية، كالقبول بالتعددية والاختلاف، واعتبار التعايش بين الأمم والشعوب، والتعاون فيما بينها لرفع المشكلات والتحديات، مثل: الفقر والأوبئة وتلوث البيئة ونضوب

---

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 217-218.

(2) ينظر: أحمد سيفغان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 2004م)، ص169.

المياه"<sup>(1)</sup>، فالحوار هو نوع من الحديث القائم بين أطراف متعددة، من خلال التشاور والتفاعل الثقافي والفكري بين مختلف الشعوب، وهو يظهر مدى القدرة على خلق الأجواء المناسبة وإيجادها، بين مختلف الأفكار والمعتقدات، والقدرة على التجاذب الإيجابي والتواصل بين مختلف الثقافات والأديان والسياسات<sup>(2)</sup>. ويغلب على لفظ "الحوار" أنه يجري بجو من الهدوء والبعد عن الخصومة أو التعصب<sup>(3)</sup>. ولا يكون في الحوار تهريب أو ترغيب ولا ضغط؛ لأن الحوار أعم من الاختلاف، ولذلك صار له معنى حضارياً، يستوعب في وجوده التخاطب مع الآخرين ونفي الصراع<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: مفهوم حوار الحضارات

توجد نظريتان في عالم السياسة اليوم: الأولى تقول بصراع الحضارات، والثانية بحوار الحضارات، وكلا النظريتين تبحثان في مستقبل الحضارة الغربية ومصيرها، وهما تتباينان في التنظير للعلاقة مع العالم الإسلامي، فترى الأولى أن العالم الإسلامي خطر يهدد الحضارة الغربية، وسيكون سبباً في سقوطها، والثانية ترى فيه خيراً؛ يمكن للعالم الغربي أن يستفيد من حضارته كي تستطيع الحضارة الغربية أن تستمر لمدة أطول فالثقافة العربية كانت قامت بدور ريادي في بناء النهضة العلمية العالمية، فتركت أثراً في الجوانب العلمية والثقافية والفكرية<sup>(5)</sup>. ولا يمكن لذلك أن يتم

---

(1) علي جابر العبد الشارود، الحوار مفهوماً وتأصيلاً وواقعاً، الحولية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإسكندرية، المجلد الثاني، العدد الخامس والثلاثين، ص 476.

(2) ينظر: الريامي: طاهر أحمد محمد، حوار الحضارات، مجلة الأندلس، ماليزيا، مج 15، العدد 13، 2016، ص 309.

(3) ينظر: معن محمود عثمان ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، د.ط، 2005م)، ص 8.

(4) ينظر: فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 7.

(5) ينظر: إيناس حسني، التلامس الحضاري الإسلامي - الأوروبي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، 2009م)، ص 42.

إلا في جو من الحوار أو التلامس حضاري.

ويقوم مفهوم حوار الحضارات على أساس التقاء مختلف شعوب الأرض، بصرف النظر عن اللون والعرق، والتوجه السياسي والاقتصادي، وبصرف النظر عن الشمال والجنوب وغيرها من المبررات؛ من أجل بناء السلام والتعايش وخلق آفاق وفرص التسامح والعيش بسلام، وكذلك التشارك بالإرث الحضاري الذي يعيشه العالم<sup>(1)</sup>. ويكون حوار الحضارات بين ممثلي الحضارات بلقاءات وتعاون وتواصل من استكشاف الآخر؛ ليبلغ كل طرف رسالته الحضارية بوسائل الحوار المختلفة، وذلك يُعد عملاً فكرياً<sup>(2)</sup>.

فالحضارات هي التي توضّح خط التاريخ الذي تسير عليه الأمم والحضارات القديمة والحديثة. فحوار الحضارات يعبر عن تلاقح الثقافات وتزواجها وتبادلها (التنوع الثقافي) بين مختلف الحضارات؛ ليشمل كل جوانب الحياة السياسية، مثل: التحالفات والجوانب الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية، مع احتفاظ كل حضارة بقيمتها العقدية والثقافية الخاصة<sup>(3)</sup>، دون التقارب الذي يؤدي إلى خلخلة القيم والثوابت، والتنازل عن المعتقدات والمسلمات، وأن يستأثر الآخر القوي بالهيمنة والتسلط على الطرف الأضعف، فيما يصطاح عليه بالمركزية الحضارية؛ لأنه يُخرجها من دائرة حوار الحضارات إلى الهيمنة، ومن ثم إلى الصراع.

ويُقصد بحوار الحضارات الوصول إلى فهم متبادل بين الحضارة وغيرها من الحضارات الأخرى، الذي يؤدي إلى التقاهم المشترك، بوصفه تواملاً بين الجماعات والأفراد، حيث لا يمكن

---

(1) ينظر: فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 30-33.

(2) ينظر: المرجع السابق، المقدمة.

(3) ينظر: حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 310.

اعتبار حوار الحضارات بجائز إلا مع وجود الاعتبارات للثقافات الأخرى، بل واعتبارها جزءاً ذاتياً، تضطلع بمسؤوليات الحوار البناء مع كل الحضارات في البلدان الإسلامية والأفريقية والآسيوية؛ بعيداً عن الغزو وعلاقات التقنيات<sup>(1)</sup>.

ولذلك يرى المفكر الفرنسي "رجاء جارودي" أن هناك حاجة ضرورية لاستعراض التاريخ خارج إطار الاستعمار الغربي، فلا تبقى أوروبا وحدها هي مركز جاذبيته؛ إذ يرى أن الحضارة الإسلامية قدمت صورة مشرقة للمساهمة في التقدم الإنساني، وأن الحضارة الإسلامية بكل قيمها الإنسانية الدواء الشافي لما يعانيه البشر في عصرنا من قمع واضطراب وصراع، ففكرة الحوار بين الحضارات تدعو إلى تبني مبادئ مشتركة بين الحضارات الإنسانية فيما يخص الشأن الإنساني، فهي أصول فكرية أنتجتها خبرات البشر وتجاربهم في مختلف الحضارات والثقافات عبر العصور، وهذا لا يتحقق -عنده- في الحضارة الغربية بل يطلق على الحضارة الغربية "حفارو القبور"؛ لأنه يتصور أن الحضارة الغربية لا تستطيع أن تحل مشكلات الإنسانية<sup>(2)</sup> بسبب الاعتقادات المنغلقة والعنصرية المقيتة، كما أكد على وجود أزمة حضارية في الحضارة الغربية، ولا سبيل لتجاوز كل ذلك إلا بالحوار والتعايش مع الحضارات الأخرى؛ لاكتشاف الفرص المفقودة ذات الأبعاد الإنسانية الأخلاقية الموجودة في الثقافات الأخرى، حتى يتسنى للغرب الخروج من مأزقه المصاب بها في

---

(1) ينظر: روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، (لبنان: عويدات للنشر والطباعة، ط4، 1999م)، ص158.

(2) ينظر: روجيه جارودي، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، (القاهرة: دار الشروق، ط2002، 3)، ص 27.

منظومته الفكرية<sup>(1)</sup>.

وكانت هناك مبادرات إسلامية لحوار الحضارات وتفعيل دور الأمم المتحدة في ذلك، حيث أنشئت العديد من المؤتمرات والجمعيات والمؤسسات، الداعية إلى ترسيخ سياسات الحوار والتعايش والتعايش السلمي بدلاً من الصدام والصراع؛ إذ تبنى العديد من الكُتّاب هذه النظرية ودعوا إلى تنمية حوار الحضارات بين العالم الإسلامي والغربي حتى يمكن لكل طرف أن يتفهم الآخر ويتعايش معه، ومن هؤلاء الكُتّاب؛ الرئيس الإيراني محمد خاتمي الذي طرح "المبادرة الإسلامية لحوار الحضارات" في "قمه طهران لمنظمة المؤتمر الإسلامي" في أثناء خطابه أمام اليونسكو، وحددت الأمم المتحدة عام (2001م) عام حوار الحضارات، وعيّنت مندوباً متخصصاً لهذا المنصب<sup>(2)</sup>، كما أكد خاتمي على ضرورة حوار الحضارات بديلاً للقوة والهيمنة والسيطرة؛ إذ يهدف الحوار في تصوره إلى ما هو أبعد من التعاون الاقتصادي، الذي هو نتيجة حتمية للتعاملات الدولية والاحتياجات المادية، وأن يكون هناك حدوداً في التفاعلات الثقافية العلمية التي تنحصر في التعرف على الآخر. فهو يرى وجوب التضامن العالمي<sup>(3)</sup>؛ لكون العالم أصبح قرية كونية، ووضع تصوراً لحوار الحضارات بشرطين:

(1) الإنصات للآخر، وتفعيل القيم الأخلاقية السياسية، وتحقيق الحوار في العلاقات الدولية.

---

(1) ينظر: إدريس مقبول، الحوار الحضاري دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، البحث الثاني الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (قطر: جامعة قطر، 2018)، ص 79-80.

(2) ينظر: محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2012)، ص 34-35.

(3) جواد هاني كاظم النجار، السياسية الخارجية لإيران في عهد الرئيس محمد خاتمي (1997-2005)، دراسة تاريخية سياسية (إيران، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، 2018)، ص 156.

(2) تحقيق السلام القائم على العدالة، وتجنب الصراع واحترام الآخر<sup>(1)</sup>.

يستخدم لفظ "حوار حضارات" و"حوار ثقافات" كثيراً بالمعنى نفسه في المستوى الرسمي، ضمن إطار الدول والمنظمات التابعة للأمم المتحدة، ولكن يُركّز كثيراً على حوار الحضارات؛ رغم أنه من الأفضل في الوقت الحالي التركيز على حوار الثقافات، منطلقين من فكرة وجود عالم واحد وحضارة إنسانية واحدة مشتركة بثقافات متعددة<sup>(2)</sup>. وهناك من أيد هذا الرأي، وهناك من نقده بحجة أن وجود "حضارات" يتضمن وجود "ثقافات"، وأياً كانت الحقيقة؛ فإن حوار الحضارات هو روح حوار الثقافات، ولا يمكن تصور أحدهما بغير الآخر، والاتفاق على الحوار وليس الصراع؛ لتحقيق المشترك الإنساني وإشاعة المثاقفة كهدف إنساني مشترك<sup>(3)</sup>.

و يهدف حوار الحضارات دفع نظرة الاستعلاء والعنصرية ووضع كل من صنعوا الحضارات في منزلة متساوية من الابداع ، فكل حضارة انتجت أجوبة عن أسئلتها الخاصة بها أو بالإنسانية، والعنصرية العمياء هي نتيجة لتوهم باحتكار صفة تميزها عن بقية الجماعات والشعوب، وظل هذا التصور يهيمن على الغرب فهو يسلم بثنائية العقل واللاعقل<sup>(4)</sup> فحوار الحضارات "هي محاولة لاكتشاف آفاق جديدة لتجديد العلاقات بين الحضارات وتوسيع دائرة التواصل فيما بينها وبناء

---

(1) ينظر: سعاد نزارى، إشكالية العلاقة بين الحضارات صدام أم حوار أم تعارف، مجلة الحكمة، (لبنان: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع، العدد 87، السنة الثانية والعشرون، 2015م)، ص89.

(2) ينظر: محمد سعدي، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، مرجع سابق، ص 11.

(3) ينظر: سعاد نزارى، إشكالية العلاقة بين الحضارات صدام أم حوار أم تعارف، مرجع سابق، ص85.

(4) ينظر: مقدمة الكتاب الجماعي "العقلانية العربية والمشروع الحضاري" (الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1992)، ص7.

جسور التعارف، والتخلص من كل رواسب وإشكاليات القطيعة"<sup>(1)</sup>

---

(<sup>1</sup>) زكي ميلاد، مقدمة كتاب **تعارف الحضارات**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2006)، ص 9.

## المبحث الثالث: المصطلحات والمفاهيم

1-التنوع الثقافي: وهو وجود ثقافات مختلفة ومتنوعة بدلاً من الثقافة الأحادية، وهو

مصطلح عالمي يدخل فيه الاختلاف بين الأفراد حسب ثقافة كل مجتمع، في الإثنية والعرقية والمعتقد الديني والهوية<sup>(1)</sup>. ويرى الفيلسوف الكندي "تشارلز تايلور" (1931) أن التنوع الثقافي هو خليط من الناس في انتمائهم وهوياتهم، يعيشون في نسق اجتماعي، وله في ذلك نظريتان: إما تنوع ثقافي عالمي باختلاف ثقافات العالم في العادات والتقاليد، أو تنوع ثقافي لتلاقي الأفراد من ثقافات مختلفة بالانضواء تحت نسق معين مشكلاً تنوعاً ثقافياً<sup>(2)</sup>.

2-التواصل: هو التفاعل والاجتماع والاتفاق والتتابع، وهو تبادل الآراء والأفكار والمشاعر

عبر الوسائط المختلفة. ومفهوم التواصل في المنظور الإسلامي يشير إلى التفاعل الإيجابي الصادر من رغبة صادقة في خلق التفاهم مع الآخر، وهو المنطلق للوصول إلى الحق باستعمال حواس التواصل، يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** {الحجرات: 13، فالتواصل -هنا- يشير إلى العلاقات التي تحدث بين الناس داخل أنساق اجتماعية محددة، وقد يكون مباشراً من خلال اللقاء الشخصي بين الأفراد، أو غير مباشر من خلال وسائل التواصل المطبوعة والمسموعة والإلكترونية<sup>(3)</sup>. والتواصل نوعان: تواصل داخلي بين أفراد المجتمع، وتواصل خارجي

---

(1) ينظر: أرمان ماتلار، **التنوع الثقافي والعولمة**، تعريب: خليل أحمد خليل، (الإمارات: مؤسسة محمد بن راشد ودار الفارابي، ط1، 2008)، ص 20-21.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 17-18.

(3) ينظر: سكر ماجد رجب العبد، **التواصل الاجتماعي أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومعوقاته**، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2011م)، ص4.



بين الدول والمجتمعات، ولهذا تقام الندوات والمؤتمرات واللقاءات؛ لتكون شكلاً من أشكال التواصل الإنساني وتحقيق المقاصد<sup>(1)</sup>.

**3-التحضر:** التشبه بأهل الحضر، وأهل المدن؛ وهو اتجاه اجتماعي يتمكن من خلاله الناس من اقتباس لأسلوب الحياة الذي يتبعه السكان في المدن وفي الحضر، وذلك من حيث أنماطهم الثقافية للحياة، وكذلك التحول من المناطق الريفية إلى المناطق التي تتبع السلوك المتمدن في الحياة الحضرية وأنماطها المختلفة<sup>(2)</sup>. وهناك من يُعرّف التحضر بأنه عملية في تغيير النسبة المئوية لعدد السكان الذين يعيشون في مناطق الحضر، فيشير إلى التوسع العمراني، وكذلك النمو السكاني بالقطاعات الحضرية<sup>(3)</sup>.

كما أن لعلماء الاجتماع تصنيفات للتحضر، فقد قارن "دايفيد إميل دوركايم بين المجتمعات القديمة والمجتمعات الحديثة، ولاحظ أن الأولى تتميز بوجود نوع من التضامن الآلي Mechanical، أما الثانية فيسود فيها تضامن عضوي Organic، ويعتمد التضامن الآلي على التماثل بين أعضاء المجتمع، في حين يستمد التضامن العضوي أسسه من التباين. ويرى أنه حين يسود في المجتمع تضامن آلي يتميز الضمير الجمعي بقوة، ويشير الضمير الجمعي إلى المجموع الكلي للمعتقدات العامة بين معظم أعضاء المجتمع، التي تشكل نسقاً له طابع متميز ويكتسب

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 5.

(2) ينظر: ابن يحيى رابح، أثر النمو الحضري على المحيط العمراني، دراسة حالة مدينة باتنة من أجل مدينة مستدامة، رسالة ماجستير، شعبة التعمير، قسم الهندسة العمرانية والتعمير، كلية علوم الأرض، الجغرافيا والتهيئة العمرانية، (الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة، 2006)، ص 16.

(3) ينظر: سارة لطرش، تأثير النمو السكاني في تغيير مورفولوجية المدينة دراسة ميدانية بمدينة سطيف، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة فرحات عباس، 2014)، ص 44-46.

واقعاً ملموساً؛ ولذلك هو فرق بين مجتمعات التضامن الآلي والتضامن العضوي<sup>(1)</sup>.

أما الفيلسوف هربرت سبنسر فقد اعتمد على مفهومي التجانس واللاتجانس للتمييز بين مجتمعات الريف والحضر، فيرى أن المجتمع يتطور من حالة التجانس إلى حالة اللاتجانس، وهذا التطور يبدأ من "المجتمعات البسيطة وصولاً إلى المجتمعات المركبة، ثم المجتمعات مركب المركب، فمركب مركب المركب؛ حيث يتكون المجتمع الأول البسيط من الأسر، أما الثاني فيتكون من أسر في شكل عشائري، في حين أن المجتمع الثالث يتكون من عشائر تتحد في قبائل، والمجتمع الرابع عبارة عن قبائل تتحد في شكل أمة، ويصف كيفية ظهور الأجيال والتتابع وتطورها ونموها وتشكل التنظيمات السياسية، وما يصاحب هذا من تغير وتطور في الأبنية ودور العبادة، وما يتبع ذلك من علاقات وتفاعل بين مختلف عناصر المجتمع<sup>(2)</sup>، ويصاحب هذا التطور بروز فروق عديدة في القوة والمهن والوظائف، فمثلاً: في المجتمع البسيط يوجد نوع من التجانس في الوظائف والمهن، كالزراعة وبعض الحرف اليدوية مثلاً، أما في المجتمع مركب المركب فهناك تشعب في الوظائف والمهن وكثرتها وتعقدتها مقارنة بالمجتمع الأول.

كما أن فرديناند تونيز فرق بين المجتمعات المحلية والمجتمعات العامة<sup>(3)</sup>، ولذلك فإن

---

(1) ينظر: زكريا الإبراهيمي، إميل دوركايم والتأسيس السوسولوجي للحداثة، (الدولة: قسم العلوم الإنسانية والفلسفية، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات والأبحاث، 2016)، ص 11-12.

(2) ينظر: جيل فيريول، مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 2011)، ص 7-8.

(3) ينظر: تيم شيف نيغولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وآخرون، (مصر: دار المعارف، ط8، 1983)، ص154.

علماء الاجتماع المشار إليهم يجمعون على أن المدينة هي مركز الإشعاع الحضاري والانفتاح<sup>(1)</sup>.

**4-التقارب:** لفظ مأخوذ من الاقتراب إلى الآخر. وكلما كان التقارب يمس الثوابت والتنازل

عن المسلمات كان هذا التقارب محرماً، وكلما كان بعيداً عما سبق كان بعيداً عن الحرمة؛ فالتقارب يكون مع غير المسلمين الذين يعيشون معنا أو في بلد آخر مسالم<sup>(2)</sup>.

**5-المركزية الحضارية:** ويقصد بها أن تكون حضارة بعينها مصدراً ثقافياً وفكرياً وسياسياً

واقتصادياً لكل الحضارات، حيث تتجسد الهيمنة والسيطرة في حضارة واحدة تقود العالم<sup>(3)</sup>.

**6-التعايش:** هو الحوار الذي يهدف إلى تحسين العلاقات بين الشعوب والطوائف، في

مرحلة متقدمة تتجسد في تقبل الآخر والعيش معه في إطار من النقاط المتفق عليها، التي تشمل قضايا الاقتصاد والسلام، والهجرة والتعليم، وممارسة الشعائر الدينية، وغيرها، مع تفعيل قيم التسامح بين الشعوب الإنسانية، مع احترام الخصوصية المتمثلة في الاختلاف العقدي والفكري والثقافي<sup>(4)</sup>.

**7-السنن:** جمع سنّة، ومعناها جريان الشيء وطراده، وهي بمعنى الطريقة والسيرة، والسنن

تشمل كل القوانين والنظم التي تحكم مسار هذا الكون<sup>(5)</sup>، وما يؤكد هذا المعنى هو ورودها في

---

(1) ينظر: القطب، الآثار الاجتماعية والنفسية للتحضر، حولىة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد السابع، (1404هـ-1984م)، ص 239.

(2) ينظر: الشريف، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، ط1، 2003م)، ص 9.

(3) ينظر: الريامي: طاهر أحمد، حوار الحضارات، مرجع سابق، ص 315.

(4) ينظر: عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منجها وسيرة، (القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، د، ط 1996)، ص 1.

(5) ينظر: الأزدهار: بو عبيد صالح، السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري، (القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م)، ص 12.

القرآن بمعنى طرق وسير وقوانين السابقين.

**8- الحضور الحضاري:** الحضور يدل على مجموعة أمور، منها: المواكبة للمتغيرات والتحويلات والتجديدات على الأصعدة المختلفة، سواء الداخلية والخارجية، الإسلامية والعالمية، والقدرة على التطوير المستدام، والتجديد المتواصل مع قضايا العصر، والانفتاح والتفاعل والتواصل مع الآخرين، والمشاركة والتعاون في كل ما تتطلبه مستجدات العصر من أحداث وتطورات<sup>(1)</sup>.

**9- حوار الأديان:** ويقصد به الحوار بين منتسبي الديانات المختلفة سواء الأديان السماوية كالإسلام واليهودية والمسيحية أو بينها وبين الأديان البشرية الأخرى من الهندوسية والبوذية " وهو أن يتبادل أهل الديانات الحقائق والمعلومات عن كل فريق بطريقة موضوعية، مع احتفاظ كل واحد بمعتقداته وذلك في جو من الاحترام والتعامل الحسن بعيدا عن التجريح، وغاية هذا الحوار إشاعة التفاهم والسلام والتعاون لما فيه الصالح العام للإنسانية<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص46.

(2) ينظر: الحسن يوسف، الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، (أبوظبي: منشورات المجمع الثقافي ط1، 1997م)، ص13.

## الفصل الأول: مفهوم الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن مالك بن نبي ومؤلفاته.

المبحث الثاني: مفهوم الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي.

المبحث الثالث: تصنيف الحضارات عند مالك بن نبي.

## المبحث الأول: نبذة عن مالك بن نبي ومؤلفاته

### (1) حياته وتعليمه:

هو مالك الحاج عمر بن لخضير بن مصطفى بن نبي، ولد عام (1905م) في مدينة قسنطينة في شرق الجزائر<sup>(1)</sup>، في عائلة فقيرة، وكان هذا هو حال معظم الأسر في الجزائر، هو الابن الوحيد مع شقيقتين، وقد عاش في قسنطينة<sup>(2)</sup> في حين أن أسرته رحلت مع عمه الأكبر إلى تبسة، لكن زوجة عمه قامت بإعادته لأسرته في تبسة؛ حيث لم تسمح لها الظروف بإعالتة بعد وفاة عمه<sup>(3)</sup>.

وتلقى القيم والأخلاق عن جدته "زليخة" التي تُعد مدرسته الأولى، من خلال روايتها لكثير من القصص والحكايات التي تعزز فيه الخير والصلاح<sup>(4)</sup>، كما كانت والدته تجاهد بمهنة الخياطة لتسد احتياجات الأسرة، ودفع تكاليف مدرسته الفرنسية<sup>(5)</sup>. وقد أكمل مراحلها العلمية في تبسة، وميلاد فكره نشأ بين هاتين المدرستين، فعندما بلغ مالك بن نبي سن السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية في تبسة؛ إذ تفوق على أقرانه، وحصل على منحة أتاحت له مواصلة دراسته في المرحلة التكميلية، وانتقل إلى قسنطينة لمدرسة سيدي الجليّ (1921م) لمواصلة تعليمه

---

(1) عبدالله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 1 ط، 2012)، ص 51.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، (دمشق: دار الفكر، ط2، 1984)، ص 98.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 15.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 16.

(5) ينظر: عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، مرجع سابق، ص 55.

بعد حصوله على الشهادة الابتدائية<sup>(1)</sup>. وحرص والده على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى شيخه عبد الحميد بن باديس في الجامع الكبير، كما حرص على تدريسه الثقافة الغربية على يد "مارتن أنداك" وكانت المدرسة تحت إدارة المدير الفرنسي (Louis Dournon). وكان رجلاً منفتحاً فقد أتاح لمالك بن نبي أن يطلع على الجريدة اليسارية (L humanite)<sup>(2)</sup>.

ويُعد اطلاع مالك على هاتين الثقافتين مصدراً لتبلور شخصيته وتفكيره؛ إذ يسرت له أن يعايش عصره مع تمسكه بدينه، فقد أحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته؛ فكان مولعاً بالشريط الوثائقي الأميركي "أسرار نيويورك"، الذي كان يعرض في قسنطينة في أثناء الحرب العالمية الأولى<sup>(3)</sup>، ومن هنا تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية ذلك الانبهار بما وصل له الغرب من تقدم وتطور، كما تركت ألبماً وحسرة في الوقت نفسه لما آل إليه عالمه الإسلامي من تخلف وتقهر، مما أثار فيه الفضول للبحث عن الأسباب والدوافع العميقة لهذا التقدم الغربي، فاستغرب مالك من المسلم الذي يستهلك المنتجات الغربية دونما محاولة التصدير للمنتجات أو لماذا لا يصنعها بنفسه؟! فالمسلم يسعى إلى تحقيق الحضارة الشيئية وتكديس الأشياء الحضارية<sup>(4)</sup>.

وتعلم مالك بن نبي القرآن الكريم، وكان يدفع مقابل ذلك أجراً شهرياً يوفره له أهله بصعوبة، ويروى أنه في آخر أحد الأشهر لم يُحضر المبلغ المطلوب لصاحب الكتاب؛ لأنّ تعليمه كان عبئاً

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ص 24.

(2) عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي "مسار نحو البناء الجديد"، (دمشق: دار الفكر، ج، 2013، ص 18).

(3) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 36-37.

(4) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبدالصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط 1986)، مصدر سابق، ص 43-44.

إضافياً على نفقة أسرته، ولا يزال مالك يذكر أن أمه عجزت عن تسديد أجرة تعليم القرآن، فدفعت له مقابل ذلك سريرتها الذي تنام عليه، واستغرق تعليم مالك بن نبي بالكتاب أربع سنوات، ودائماً كان يذكر عقم الطرق التربوية التي كانت سائدة في التدريس، مما جعله لم يحفظ من القرآن إلا الشيء اليسير منه، وكان يذهب إلى تعلّم القرآن قبل الثامنة صباحاً وهو موعد دخول المدرسة الفرنسية التي انتسب إليها، وكانت تُشرف عليه معلمته التي أعجبت به وبنباهته فرعته، وهي السيدة "بويل"، وكانت المدرسة قد أنشأها الاستعمار الفرنسي لتخريج الطلاب والقضاة للعمل في الأحوال الشخصية، وتمثلت حركة العلماء في العشرينات من خلال شخصية بن باديس، الذي أسس لتيار من التواصل والتعارف؛ تفعيلًا لدور العقيدة وتصفيتهما من كل الانحرافات<sup>(1)</sup>.

وبذلك جمع في تربيته وتفكيره بين الثقافة الإسلامية ودراسة الثقافة الفرنسية، وكان ذلك من المؤثرات الثقافية والاجتماعية التي أسهمت في صياغة تفكيره؛ إذ كانت البدايات الأولى لصياغة فكره في اتجاهين: الاتجاه الإسلامي وارتباطه به وبتراثه من جهة، والانفتاح على حضارة الغرب وعلومها من جهة أخرى<sup>(2)</sup>.

وواصل مالك بن نبي تعليمه الثانوي، من خلال الدخول فيما يسمى بـ "النظام التكميلي"، فحين لم يستوف الطالب معدلاً محدداً حسب نظام التعليم الفرنسي في الجزائر لا يسمح له الانتقال إلى الثانوية الرسمية، وأقام بالنظام الداخلي بدل إقامته في بيت عمه، وكانت أول سنة دراسية له في الثانوية؛ في المرحلة 1921 - 1922م، وكان دخوله الثانوية بمثابة حلم تحقّق، ولم يكن الأمر كما كان سهلاً بسبب تقدمه في السن قياساً مع الصف الذي سيدخله، وكانت هذه المرحلة هي

---

(1) ينظر: عمر مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 18.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 47، 48، بتصرف بسيط.



الحلقة الذهبية الثانية في تكوينه، فتعرّف على بعض تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذين يشاركونه الخط الفكري نفسه والذي كان قد ألتقى بهم حينما كان يدور نقاشات بينهم وبين البعثات التبشيرية حول الإنجيل وألوهية المسيح، وكان بداية لانتماء مالك بن نبي لفكر الإصلاح الباديسي في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>.

كما ساهم المحتوى الديكارتي الذي أعده المدرسون الفرنسيون في طمس الخرافات التي كانت منتشرة في الجزائر؛ إذ كان له دور كبير في توجيه فكر مالك بن نبي، أما فيما يتعلق بالأمور الدينية فقد كان لدروس الشيخ "مولود بن موهوب" والشيخ "عبد المجيد" أثر في توجيه أفكار المجتمع وتقويمها من الانحراف<sup>(2)</sup>.

#### (4) مصادر فكر مالك بن نبي:

أسهمت مصادر عديدة في تشكّل فكر مالك بن نبي وصياغة أفكاره، وهذه المصادر هي:

#### \* مصادر اجتماعية:

- تأثره بقصص جدته لأمه "زليخة"، التي كانت تقص عليه معاناتهم وهجرتهم في أثناء الاستعمار الفرنسي، كما حدّثته عن الورع والعمل الصالح، وعملت على تنشئته تنشئة إسلامية، فقد كانت مدرسته الأولى<sup>(3)</sup>.

- أثر المعلمين وشيوخه فيه، مثل: الشيخ عبد المجيد والأستاذ "مارتان"، فقد قال: إنهما تركا أثراً

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 73-74.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 66.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 15-16.

في شخصيته وأسهما في تكوين خطين حدّدا ميولَه الفكرية<sup>(1)</sup>. أما شيخه مولود بن موهوب فقد كان سببًا في تأثره بالحركة الإسلامية؛ إذ جذب فكره وعقله إلى دراسة السيرة والمنظومة العقديّة. وكان للوجود الاستعماري، بصمة في نفسه من خلال مظاهر الحياة في الجزائر المتردية للمواطنين؛ على مستوى اللباس والتعليم والسكن؛ حيث توثّق كلها لقبح الاستعمار وانعكاس هذه الصور الاستعمارية في مخيلته<sup>(2)</sup>.

### \* مصادر فكرية:

- مناقشاته ومحاوراته مع الأستاذ "حمودة بن الساعي" المفكر والفيلسوف الجزائري، من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين، من مواليد 1902م، الموافق لـ 1320 هـ، بمدينة باتنة، الجزائرية، وهو من عائلة محافظة، بدأ دراسته في الكتاتيب، ثم التحق بدروس شيوخ الحاضرة العلمية بقسنطينة، رافقه أخوه صالح بن ساعي إلى فرنسا، فدرس بـ جامعة السوربون في العشرينيات من القرن الماضي، وتوفي سنة (1998)، وكان -رحمه الله- صديقًا وأستاذًا لمفكرنا مالك بن نبي، باعتراف من الأخير في مذكراته، ففي فرنسا كان حمودة بن الساعي قريبًا من مالك بن نبي، حيث كان يلتقيان في القضايا الفلسفية والفكرية.

وعلى الرغم من التأثير الكبير الذي أحدثه ابن ساعي في شخصية مالك بن نبي، فإن كتابات بن نبي هي التي أرخت للمرحلة الباريسية من حياة ابن ساعي، ويظهر جليًا في كتابه "مذكرات شاهد للقرن"، مما يوضح مدى التوافق الفكري لهذين الرجلين، فقد تناقشا حول الإسلام، حيث استفاد بن نبي من معلوماته كثيرًا؛ لأنه كان متخصصًا في الدراسات الإسلامية، ومنتسبًا

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 47.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 66.

إلى معهد الدراسات الإسلامية في باريس، بالإضافة إلى دوره في الاهتمام بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ، وكان له دور في ميل ابن نبي إلى التخصص في الفكر الإسلامي؛ إذ يقول مالك بن نبي: "أدرك أنني على أية حال؛ أدين لـ(حمودة بن الساعي) باتجاهي كاتبًا متخصصًا في شؤون العالم الإسلامي، حتى لو أنن لم أنجز معه أي عمل بعيد المدى"<sup>(1)</sup>.

فقد كان يستمع إلى توجيهاته في آيات القرآن وطريقة ربطها بالتفسير الاجتماعي لما يدور في المجتمع الإسلامي؛ فأفاد ذلك مالك بن نبي في التحليل الاجتماعي. وقد تحدث مالك عن ابن الساعي كثيرًا؛ حيث قال مرة وهو بصحبته: "أصبحت مهتمًا بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ، أكثر من اهتمامي بمواد مدرسة اللاسلكي"<sup>(2)</sup>. وقد شملت المناقشة معه قضايا دينية واجتماعية وسياسية، ودارت كلها حول الإسلام، لسعة اطلاعه، وقلما كان يغيب عنه أمر يهتم به معهد الدراسات الإسلامية في جامعة السوربون<sup>(3)</sup>.

#### \* مصادر واقعية:

- مناقشات "مقهي ابن يمينة" في مدينة قسنطينة؛ وهو مقهي قريب من مكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس، فقد كان مالك بن نبي يطلق عليه "مقهي الفكر"؛ حيث يقع بالقرب من الحي العام للمتقنين والمدرسين. وقد شهد هذا المقهي نقاشات حادة دارت بين الفكر السلفي الإصلاحية الباديسية وبين من يمثلون تيار المدرسة الفكرية<sup>(4)</sup>، حيث قال مالك بن نبي: "كنا نُلقِي بما نقرأه

---

(1) مالك بن نبي، *مذكرات شاهد للقرن*، مصدر سابق، ص 235.

(2) المصدر السابق، ص 236.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 252.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 29.

في تلك المناقشات الحادة المثيرة، التي اعتدنا أن نجريها في مقهى ابن يمينة، يُغذّيها من ناحية الفكر الباديسي، ومن ناحية أخرى تيار المدرسة الفكرية<sup>(1)</sup>. وفي هذا الصدد ذكر الشيخ "محمد الطاهر العنيزي" -أحد زبائن المقهى- أنه كان ثائراً على كل شيء، ويخضع كل موضوع إلى البحث والتدقيق، وكان له تأثير على العقول؛ وساعده في ذلك فصاحته في العربية في وسط يفكر ويتكلم بالفرنسية<sup>(2)</sup>.

- مناقشات منظمة الوحدة المسيحية للشباب الباريسيين؛ حيث ذكر مالك بن نبي أنه انتسب لها، وهو أمر بالغ الصعوبة، ودارت بينه وبينهم مناقشات ومقارنات بين الأديان، لا سيما بين الدين الإسلامي والمسيحي، وكان هدف مالك من ذلك تحقيق دروس في الفعالية، والأسلوب في الحضارة<sup>(3)</sup>، ومن بين تلك المناقشات ما دار بينه وبين مديرها "هنري نازيل"؛ حيث بادر هنري بالحديث ودحض أفكار مالك بن نبي عن الإسلام ووصفها بأنه يتخللها الضعف، وكان ذلك أمام زملائه في حوار أشبه ما يكون بالمناظرة، لكن مالك بن نبي فاجأ مديرها بالرد الحاسم؛ في بيان تهافت المنطق المسيحي الذي تشوبه التعقيدات والتناقضات، لا سيما في عدم منطقية العقيدة التالوثية، وما فيها من ثغرات مقارنة بالعقيدة الإسلامية الموحدة<sup>(4)</sup>.

- الحوار الذي دار بينه وبين أسرة يهودية بعد زيارته إلى بيتهم؛ حيث كان أحد أصدقاء مالك بن نبي يهودياً في مدرسة اللاسلكي في باريس، وكان يذهب معه إلى بيته ويلتقي بأسرته، فقد قال:

---

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 96.

(2) ينظر: حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، (الجزائر: دار التتوير، ط2، 2020)، ص 54.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 269.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 223.

إنه استطاع أن يُكوّن صورة عن قرب، عن التقاليد اليهودية، وعن مشكلة اليهود في العالم، وفي تكوين تصور للفكر اليهودي، وأتيح له خلال تلك الزيارات أن يكوّن فكره أقرب إلى الواقع عن الأكل اليهودي في العالم، ويضيف أيضًا: "كان كل فرد في هذه الأسرة اليهودية يُحصّل قوته بكده وعرق جبينه، وكان فكري وأنا منكب في ناحية الشقة على جهاز الراديو أفكّك وأصلح، يراقب صعود هذا الجنس الذي استولى على العالم"<sup>(1)</sup>.

- حوارات مع أم زوجته؛ ففي أثناء الزيارات التي كان يزور فيها أم زوجته الفرنسية "خديجة"؛ وهي السيدة "مورناس"، تعرّف على الإنسان الغربي البسيط أو المسالم، وكانت السيدة "مورناس" تسكن في الريف بمدينة دوركس، التي تبعد عن العاصمة باريس بنحو ثمانية كيلو متر، وقد استطاع مالك بن نبي أن يكتشف جانبًا جديدًا في الحياة الباريسية مع أمه الباريسية كما كان يناديها، فيقول: "المرأة التي تتقن تربية الدجاج وتسمي كل نبات بري باسمه أفضل مما يفعل صيدلي أو عطار، ومن ناحية أخرى تقرأ وتضم بخنوّ جل كتبه في مكتبة صغيرة، رتّبها بنفسها في ركن خزانة الأكل في منزلها، فاطّلت بفضلها على بعض الجوانب التي لا يمكن أن تبصرها العين بالعاصمة، وهكذا اكتشفت الحياة الفرنسية كما تبرز على الطبيعة دون عملية التقطير التي تجري في باريس"<sup>(2)</sup>. وهذا كلام واضح في أنه عرف تفاصيل الحياة الغربية في تجربته في فرنسا من خلال المعاينة والمعاشاة بعيدًا عن كل المؤثرات.

---

(1) المصدر نفسه، ص 224.

(2) المصدر نفسه، ص 223.

## ثانياً: ملامح الحوار في أعماله ومؤلفاته:

تنوعت مؤلفات مالك بن نبي واختلفت موضوعاتها وإن اتفقت في غايتها، فألف ما يزيد عن العشرين كتاباً ما بين عام (1946 و1973م)، فقد كانت مضامين كتب مالك بن نبي عبارة عن موضوعات مرتبطة بالحضارة، إن لم نقل هي الحضارة بعينها، وحاول من خلالها تناول إشكالية الحضارة، وشروط النهضة والمشكلات الحضارية، فكانت كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته، وحاول أن يضع لكل تساؤل كتاب، فقد كتب في الاقتصاد والفكر والثقافة والاجتماع، وتكاد تُجمع محتواها أن مجتمعاته كان يسودها التخلف والتأخر.

### أهم هذه المؤلفات:

(1) الظاهرة القرآنية

(2) شروط النهضة

(3) وجهة العالم الإسلامي

### ومن الكتب التي ألفها في مصر:

(4) فكرة الأفريقية الآسيوية

(5) مشكلة الثقافة

(6) فكرة كومونولث إسلامي

(7) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي

(8) ميلاد مجتمع

(9) في مهب المعركة.

وفي مرحلة عودته إلى الوطن وإقامته بالجزائر ألف الكتب الآتية:

(10) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث

(11) بين الرشاد والتيه

(12) مذكرات شاهد للقرن.

## المبحث الثاني: مفهوم حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي

### المطلب الأول: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

إن المتأمل لأعمال المفكر العربي "مالك بن نبي" يجدها تدور حول محور واحد، وهي "مشكلة الحضارة"؛ لأنه يرى أن الحضارة هي الإطار الذي يرتب كل تلك الأجزاء وينظمها، التي نطلق عليها مشكلة سياسية في مكان ما، وفي مكان آخر مشكلة اقتصادية أو أخلاقية، وتتعلق من مقدمة مهمة؛ تتمثل في أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلاته الحضارية ما لم يرتفع بفكرته إلى أحداث إنسانية، وما لم يتعمق في تلك الأحداث والعوامل التي من خلالها تُبنى الحضارات أو تُهدم<sup>(1)</sup>. ولكن ما مفهوم تلك الحضارة؟ مالك بن نبي ينطلق في مؤلفاته من وحدة تحليل أساسية، وهي الحضارة بوصفها النقطة البعيدة التي ينبغي أن يؤول إليها أي تغيير اجتماعي إيجابي. وقد ناقش الحضارة من زوايا عديدة: من حيث مبادئها وجوهرها وعلاقتها بمنتجاتها وحل تركيبها ووظيفتها<sup>(2)</sup>؛ إذ يرى أن كلمة الحضارة تمثل بداية دخول أي مجتمع في التاريخ بشكل متحضر عن طريق تبني فكرة أساسية؛ فالحضارة في تصوره هي نتيجة لفكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة "ما قبل التحضر"؛ لتدفع به إلى التاريخ الذي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى<sup>(3)</sup>، وقد حدد مفهوم الحضارة من خلال تأملاته في حركة النهضة في العالم الإسلامي، وذهب إلى أنها تأثرت بالحضارة الغربية. كما يرى أن الهدف من كل ذلك هو فقط تحقق الحضارة، فعندئذ كل الجهود لن تُعطي نتيجة؛ لأن تحصيل

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 19.

(2) ينظر: الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ-2006م)، ص120.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، (دمشق: دار الفكر، ط9، 2002)، ص41.



الحضارة قد يتحقق بالتكديس والشبيئية، ومالك بن نبي يرى أن هناك فرقاً بين بناء الحضارة وتكديس أشياءها، فالحضارة مجموعة منسجمة من الأفكار والأشياء بجميع صلاتها ومنافعها في أماكن محددة، فهي بناء وهندسة وتحقيق لفكرة مثل أعلى<sup>(1)</sup>.

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد الراسخ بأهمية الحضارة عند بن نبي، فهناك ضرورة لفهم حركتها واستيعابها، منذ انطلاقتها الأولى إلى أفولها، ويحاول بن نبي وضع تعريف واسع للحضارة من حيث الوظيفة؛ ليتضح مفهوم الحضارة؛ إذ يعرفها بأنها ضرورة توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية، التي تتيح لأي مجتمع من المجتمعات أن يقسم لكل فرد من أفرادها، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدات الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه<sup>(2)</sup>.

ويتضح مما سبق أن كل ما يوفره المجتمع لأبنائه من وسائل تثقيفية وضمانات أمنية، يسمى حضارة، وهي حقوق ضرورية تُمَثَّل جميعها أشكالاً مختلفة للمساعدة التي يسعى المجتمع المتحضر إلى تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه<sup>(3)</sup>، وحتى يكون هناك تمايزاً حضاري، فقد دعا مالك بن نبي إلى الإبداع والتميز الحضاري وأن لا تكون تبعيةً وتقليدًا للغرب؛ فمعظم كتاباته تدعو إلى ضرورة وجود بدائل ومناهج فكرية مستقلة عن الغرب لبناء نهوض حضاري وراقي وتقدم يتناسب مع البيئة، فهو لا يقبل بفكرة الاستيراد للأفكار كما تُستورد الأشياء، للوصول إلى الاستقلال الفكري والمادي؛ حيث إن لكل حضارة خصوصية ثقافية وعقدية، وخصوصية الحضارة الإسلامية مستوحاة

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، (دمشق: دار الفكر، ط9، 2009)، ص 84.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص50.

(3) ينظر: المصدر السابق، 42-43.

من مصدر رباني تميّزها عن بقية الحضارات<sup>(1)</sup>، فمالك بن نبي يركز على عالم الأفكار، وهي التي تصنع عالم الأشياء.

ونلاحظ من خلال تعريف الحضارة أن مالك بن نبي ركز في مفهوم الحضارة على الجانب المادي، وهو بهذا يجعل الحضارة وكأنها هي نفسها المدنية، ويظهر هذا جلياً في تركيزه على الجانب الصناعي والتقني والزراعي والفني عند الحديث عن مظاهر الحضارة الغربية، وأما ما يخص الجانب الأخلاقي والتنظيمي فقد ركز عليه في الأهداف التنموية والمعيشية، فالمجتمعات لا بد أن تُعطي البعد القيمي الاهتمام الأول في سعيها إلى التقدم الاقتصادي والحضاري، فهو أساس كل حضارة؛ لذلك فمالك بن نبي يرى أن لكل مدنية هي في الحقيقة علاقة بالحضارة؛ ولذا فكل حضارة ترتبط بمركب ديني أيًا كان أصله؛ وكل مدنية هي نتاج للحضارة، فالماركسية والهندية والبوذية والرأسمالية جميعها في تصوره حضارات، فالحضارة مرتبطة بوجود وحي يهبط على الناس من السماء لتوجيه الناس لمعبود غيبي بالمعنى العام<sup>(2)</sup>، وإن اختلف هذا المعبود بحسب اعتقاد كل ديانة.

وقد وضع مهندس الحضارة بن نبي تعريفاً آخر للحضارة من حيث تركيبها والمركب، فالعناصر الضرورية التي تتشكل منها كل الحضارات عموماً -حسب مالك بن نبي- هي ثلاثة: الإنسان والتراب والوقت. فميلاد الحضارة لا يتحقق إلا بالعقيدة الدينية التي يصاحبها عمل جاد بحيث توجه طاقات المجتمعات نحو الأهداف التي تلامس مشكلات الواقع، فلا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجاً؛ إذ هي -على أقل تقدير-

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 117.

(2) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 51.

تقوم أسسها في توجيه الناس على القوة والمعبود الغيبي، فكأنما قدر للناس ألا تشرق عليهم شمس الحضارة إلا إذا امتدت أنظارهم إلى ما وراء حياتهم الأرضية<sup>(1)</sup>؛ ولذلك فهو يرى كل الأجناس والشعوب مؤهلة لإنشاء الحضارة؛ لأن الله منحها الرصيد الأولي والضروري ألا وهو التراب والوقت والشعب نفسه، التي تمثل العنصر الأهم والأساسي في الحضارة وهو الإنسان.

كما حاول في مؤلفاته أن يُعرّف الحضارة، وأنه يجب النظر إليها من زوايا مختلفة، فقد تناولها بشمولية أكثر من ناحية تركيبها ووظيفتها وتكوينها، وأكد أن الحضارة من الشروط اللازمة للمجتمعات المستقرة، وسقوطها يعني سقوط تميز هذا المجتمع، فأى مجتمع بدون حضارة هي مجتمعات بدائية، وفي هذا المجال هو يرى الحضارة حماية للإنسان، فهي تضع حاجزاً بينه وبين الهمجية؛ فالرجل المتحضر أقل همجية<sup>(2)</sup>، فالعرب في الجزيرة بعد أن كانت حياتهم بدائية؛ جاء الإسلام وبعث فيها التآلف وانتقلوا إلى مرحلة التحضر، فهي نتاج حاصل لحركة المجتمعات بتوازن روحي ومادي، فتشرع في الحركة للوصول إلى غايتها؛ فالحضارة توازن بين الروح والجسد، وهي نتيجة حركة تاريخية وتطورية للوصول إلى الرقي، كما أنها نتيجة لبذل الجهد المادي والفكري، فالحضارة ليست قلاعاً وحصوناً وآلات وصناعة أجهزة فحسب، بل هي نتاج لفكرة حية تطبع على مجتمع معين فتدفعه لدخول التاريخ<sup>(3)</sup>، فيبني هذا المجتمع فكره تبعاً للنموذج المثالي الذي أراده.

الحضارة عند مالك بن نبي هي روح وهيكل، وهي فكرة دينية دافعة لانطلاقها، وتركيبها الذي يحوي الأخلاق والجمال والفن؛ هو كائن معقد لعوالم متعددة في جوانب الحياة الاجتماعية

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 49-50.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق دار الفكر، ط4، 2000)، ص 132.

(3) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 48-49.

والسياسية والاقتصادية والنفسية والدينية، وهذه الجوانب شديدة التداخل والتواصل ويؤثر بعضها في بعض، ومع هذا كله فمنهج مالك بن نبي يفكك مركب الحضارة إلى ثلاثة عناصر الإنسان والوقت والتراب<sup>(1)</sup>، ونلاحظ من خلال كتابات مالك بن نبي أنه استخدم المنهج التحليلي، فقد اتبع منهجاً علمياً في محاولاته الفكرية لموضوع الحضارة، وهذا يعود إلى طبيعة تخصصه، فهو خريج هندسة كهربائية؛ فركز على الحضارة من حيث شروطها وأسباب انهيارها وشروط نهضتها.

فقد طبق عليها منهجين متكاملين:

**أولاً: المنهج التحليلي:** حيث حلل الحضارة إلى العناصر الأولية لها، التي تُعدُّ الرأسمال الأولي للحضارة، فصاغها في شكل معادلة رياضية بمتغيرات ثلاثة، هي: الإنسان والتراب والوقت، فكانت: إنسان + تراب + وقت = حضارة<sup>(2)</sup>.

**ثانياً: المنهج التركيبي:** الذي أراد من خلاله أن يكشف عن أن للحضارة قانوناً تخضع له في بنائها، وتعريف المنهج الذي تخضع له الحضارة بوصفها بناءً، وقد سمّاه بقانون التفاعل؛ إذ العناصر الأولية تبقى ساكنة ما لم تحركها الدافعية، محدثة الشرارة الروحية التي تجعل من العناصر السابقة ديناميكية تتحرك في إطار التاريخ. وهذه الدافعية التي تحدث الشرارة هي الدين، أو ما أسماها الفكرة الدينية، ولكي تتضح فكرة الحضارة أكثر سنعرض نماذج فكرية في ميدان الحضارة؛ حيث نلاحظ تشابهاً بين منهجي توينبي<sup>(3)</sup> ومنهج مالك بن نبي؛ فتوينبي استعمل المقارنة، ومالك

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 44-45.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 44-46.

(3) **أرنولد توينبي:** وهو مؤرخ وفيلسوف بريطاني، ويعد أهم مؤرخ في البحث عن مسألة الحضارات بشكل مفصل وشامل، في موسوعته التاريخية الشهيرة "دراسة التاريخ"، وتتألف من اثني عشر مجلداً، أنفق في تأليفها واحداً

بن نبي استعمل المنهج التحليلي كما سبق توضيحه من الناحية المنهجية، وكلا المفكرين قسما الحضارة إلى مراحل، فالحضارة تبدأ بالازدهار ثم تنتهي بالتدهور والانحطاط عند توينبي، وعند مالك تبدأ بالازدهار، ثم أوجّها، ثم تفقد الروح، ثم العقل، ثم الغرائز، فتكون نهاية الحضارة<sup>(1)</sup>. ويرى توينبي أن الحضارة تمر بمرحلة نشوء، ثم انحلال، ثم سقوط، وأن سر نشوء الحضارات في التحدي والاستجابة إلى ظروف البيئة الصعبة<sup>(2)</sup>، أما مالك بن نبي فيرى أن توينبي ضخم دور العامل الجغرافي، ما يعني أن الحضارة عنده، إما أن تنهض بوثة إلى الأمام، أو أن تصاب بالتوقف والعجز والجمود، أو يكون مصيرها الانقراض<sup>(3)</sup>. وقد حاول إسقاط هذا التصور على الحضارة الإسلامية، وذهب إلى أن سبب الفتوحات كانت نظرية التحدي للبيئة الصعبة والبحث عن الخيرات من خلال الفتوحات، وربما كان هذا اعتقاداً خاطئاً ولكنه لا يدافع عن حضارة الغرب، برغم أنه ابن الحضارة الغربية، فهو يعتقد بتدهور الحضارة الغربية وذلك بسبب الانهيار الأخلاقي، وليس كما تصور اشبنغلر بحتمية السقوط، فتوينبي يرى أن مشكلة تصور اشبنغلر في كتابه (تدهور الغرب) هي مشكلة مجردة، ويرفض التنبؤ التاريخي الحتمي؛ فتوينبي لا يرى أن سقوط الحضارات قانونٌ حتميٌّ؛ لكي تتحقق الدورة الحضارية، وإنما السقوط يتحقق بالتحدي والاستجابة

---

وأربعين عاماً، اشتهر بصاحب نظرية التحدي والاستجابة في تفسير الحضارة. المصدر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج1، 833.

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 78، 79.

(2) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل ومحمد سفيق غريال وأحمد عزت عبد الكريم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، د.ط، 2011)، ص128-137.

(3) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 64، 65.

والعامل الجغرافي<sup>(1)</sup>. أما اشبنغلر فمنهجه يتّسم بالجبرية، والحضارة مرهونة بمصيرها المحتوم ولن يتغير أو يتحول، فالتاريخ خاضع لقانون صارم، ولا دور للإرادة الإنسانية؛ ولهذا فالحضارة كالكائن الحي تمر بمراحل الطفولة والشباب والكهولة<sup>(2)</sup>، على عكس مالك بن نبي الذي يؤمن بفاعلية دور الإنسان، فقد اعتمد على تحليل الحضارة من ميلادها إلى أفولها، حيث تقوم على فكرة دينية نابغة من اعتقاد الإنسان؛ فالفكرة المسيطرة هي الدين، واستشهد في نظريته للحضارة بالتجارب العلمية<sup>(3)</sup>.  
أما توينبي\* في تحليله للحضارة فقد استند إلى أحداث تاريخية، انطلاقاً من نظريته التحدي والاستجابة، وربما كان هذا بمثابة مأخذ على مالك بن نبي، فهو لم يكن مؤرخاً، والحضارة لا يمكن تطبيق التجارب العلمية عليها، فالحضارة البشرية تختلف عن الأشياء.

وعند تتبع مفهوم الحضارة نستذكر مفهومها عند ابن خلدون، فهو يرى أن الحضارة غاية العمران، فالملك والدولة غاية للعصبية، وقد استخدم مفهوم الحضارة بمفهوم يتوافق مع المفهوم الأوروبي، فابن خلدون لم يقصد بالحضارة المفهوم الكلي الذي يُؤطر حركة البشر، بل انسجم مفهوم الحضارة مع ما كتبه في "المقدمة"، فهو لم يقصد بالدولة الأرض والشعب والحكومة؛ وإنما أراد بها النظم السياسية التي تعتمد على توارث السلطة في الأسرة الحاكمة، فقد اقتصر مفهوم الحضارة -عنده- على إحدى جوانب هذا المفهوم وهي الإقامة في الحضر بخلاف البادية<sup>(4)</sup>.

---

(1) ينظر: الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، (بيروت:

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993م)، ص66.

(2) ينظر: اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 10-14.

(3) ينظر: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبدالصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ط3، 1986)، ص 54-58.

(4) ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ص 81-85.

وذكر أن تاريخ المجتمعات تسير في دورات متتابعة نتيجة للصراع بين البدو والحضر، فالمجتمع منقسم إلى بدو وحضر؛ فوجود الصراع حتمي، ولذلك فإن لكل دولة مرحلة قوة وضعف وهزم، وتموت كما يموت الأفراد، كما أن هناك تأثيرًا متبادلًا في فكر ابن خلدون بين العصبية والحضارة<sup>(1)</sup>؛ إذ يرى أن العصبية هي نتيجة طبيعية للأحداث والوقائع التاريخية في عصره، وهذا كلام منطقي، لكن ما رأي فيلسوف الحضارة مالك بن نبي فيما سبق؟ والجواب عن ذلك يكمن في رفض مالك بن نبي فكرة العصبية؛ لأنها تمثل نظرة ضيقة، فالمسلم في تصوره وولائه الأول ينتمي إلى العقيدة الإسلامية؛ فالجنس واللون والعرق لا تُعد من أسس بناء الحضارة في الإسلام، والأحاديث كثيرة في ذم العصبية<sup>(2)</sup>، فهو يرى أنه لم يقدم غير نظرية تطور الدولة، وكان ربما يستطيع أن يقدم قانونًا للدورة التاريخية.

فيرى مالك أن الحضارة الإسلامية أساسها الفكرة الدينية التي لا تموت ولا تنقرض، وأن العالم الإسلامي يحاول أن ينجز مركبًا حضاريًا بزمن معين، وأن كل مركب حضاري بتحليل منتجاته تطبق عليه الصيغة التحليلية (إنسان + تراب + وقت = حضارة)، وتتركب الحضارة من عناصر متعدّدة، إلا أنّ عناصر تركيب الحضارة ليست منتجات حضارية بالضرورة، بل هي أصول تفرضها طبيعة المنتجات، وشروط ذلك الإنتاج، ونتيجة لوجود مشكلات الحضارة المعيقة للوصول إلى الحضارة<sup>(3)</sup>، فإنه يأخذ هذا الشكل العلمي متمثلًا بثلاث مشكلات: مشكلة الإنسان، ومشكلة الوقت، ومشكلة التراب.

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 88-90.

(2) ينظر: الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، مرجع سابق، ص 56.

(3) ينظر: مالك بن نبي، تأملات، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2002)، ص 196.

## (1) الإنسان:

وهو أهم عنصر من عناصر الحضارة، ويمكن تقسيمه إلى: رجل المدينة ورجل الفطرة ورجل الثقافة؛ فرجل المدينة عند بن نبي هو رجل القلة في كل شؤون حياته؛ لأنه تغلغل في نفسه الانحطاط وتشبع بفكرة الانهزامية، وهو يقف دائما في منتصف الطريق لا هدف له ولا نقطة انطلاق، فرجل المدينة رضي بالقليل من الأشياء وتغلغلت في نفسه دواعي الانحطاط فهو يحمل الهزيمة بين جوانحه، فقد عاش في منحدر المدينة إذ هو دائما في منتصف الطريق. وفي منتصف فكره، وفي منتصف تطور (1)، ويرى مالك بن نبي في رجل الفطرة أنه الرجل الذي يرضى بالعدم من كل شيء، بلا رعي ولا مواشي ولا أرض، يرضى بالعدم، وكلا الصنفين لا بد من تعديل أفكارهما لينحوا منحى الحضارة(2). ويتصور مالك أن رجل الفطرة الذي يرضى بالعدم هو أفضل لديه من رجل القليل؛ لأن رجل القليل يقدر، ولكنه رضي بالانهزامية والانحطاط؛ في حين أن رجل الفطرة فرضت عليه ظروف العدم(3). أما الرجل الثالث فهو محترف الثقافة، وهو المتعالم أو المتعقل، ويقوم بتسخير كل شيء حوله من أجل مصلحته ويحافظ على موقعه في أعلى السلم الاجتماعي بأنانية مفرطة، وهو الصبي المزمن؛ لأنه بمثابة مرض في الأمة لا يقل وبأله عن الجهل والفقر، بل ربما يمكن علاج الفقر والجهل، في حين أن وباء الصبي المزمن لا علاج له إلاّ البتر، ليخلو الجو للطالب العاقل الجاد(4).

فالتقدم الحضاري منوط بالإرادة الحضارية ومرهون بدور الإنسان وإنجازاته؛ فالأمر لا

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 75.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 75-76.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 76.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 85.



يتعلق بالأدوات والإمكانات وإنما بالإنسان الذي إن تحرك فسيتحرك المجتمع والتاريخ، وإن خمد وسكن سكن بسكونه المجتمع.

ومما اعتدنا عليه أن مالك بن نبي يضرب لنا مثالاً توضيحياً بالرجل في بلجيكا، فهو لا يتمتع بتوازن اقتصادي نتيجة اضطراب بين متطلباته وتيار الإنتاج الصناعي، مما ولد حركة مضطربة لا يشعر بها إلا من يعيش في ذلك البلد، في حين أن هناك عزوفاً وخمولاً وركوداً في الشعوب الإسلامية أهدتهم عن السير في ركب التاريخ، أما الحضارات فقد خبطت خطوات جبارة في موكب الحضارة، وهذا يوضح سبب ركود الشعوب الإسلامية، فليس لديهم مؤسسات، ولا يوجد رجال يلحقون ركب التاريخ، ويستعملون التراب ويستغلون الوقت لتحقيق الأهداف الكبرى والتقدم الحضاري؛ لأن الإنسان هو محور الفاعلية الحضارية<sup>(1)</sup>. فالفرد يؤثر في المجتمع بثلاث مؤثرات وبتوجيه كل من فكره أو عمله أو ماله<sup>(2)</sup>.

## (2) التراب:

يرى مالك بن نبي أن التراب عنصرٌ من عناصر الحضارة، ولا يقصد بالتراب البحث عن خصائصه وطبيعته ولكن عن قيمته الاجتماعية؛ فحينما تكون قيمة الأمة التي تملك هذا التراب مرتفعة يكون ترابها غالباً في قيمته، والعكس صحيح؛ فالأمة حينما تكون متخلفة؛ تكون قيمة ترابها منخفضة، وقد تحدّث بن نبي عن التصحر الذي أصاب الأراضي العربية بعد أن كانت خيراتها وفيرة وخصوبتها منتجة، فيعود بالناس في تلك المناطق التي تصحّرت، وأصبح الإنسان فيها بين الهروب من الصحراء التي لا حرث فيها ولا شجر، وبين المدن الساحلية التي تنبذه. وبذلك انتهى التراث

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 75.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 77.

الحيوي، وحل التشتت والهرب والموت؛ ولا توجد حضارة توفّر القوت الأساس والملبس، ثم تعتمد على القضية للتخطيط؛ فمالك بن نبي يشير إلى دور المناخ والأحوال الجوية في إقامة الحضارة، فالزحف الصحراوي لا سيما في الشمال الأفريقي من العالم العربي يؤدي إلى تحولات اقتصادية، ويفرض على الحياة البشرية أن تكون حياتها الاجتماعية راکدة؛ ولذلك فإنه لا بد من التشجير والزراعة باستخدام الطاقات الكامنة، والتخلص من الخمول والكسل. ويستشهد بن نبي بفرنسا التي واجهت مشكلة الرمال والمستنقعات في مدينة (بورديو) و(بيارتيز) ومعركتهم في ضد الرمال، وتحققت نتائج انتصارهم لأبعد مما توقعوا، فكانت تلك المنطقة أول منتج لزيت (الترينتين)، المنتج من زراعة تلك الأشجار التي زرعوها وأقاموا عليها منتجاً صحياً، بل أصبحت ملجأً صحياً لكثير من المرضى من أنحاء العالم<sup>(1)</sup>، وفرنسا ليست بعيدة من الجزائر التي كانت بها المشكلة نفسها. ويرى أننا لن نستطيع أن نقوم جيلنا الحاضر والقادم إلاّ بمحاولة الانتصار على أهوال الطبيعة، من أجل بناء حياة جديدة، وإخضاع ذلك التراب لبناء حضارة تليدة كما فعلها الأجداد في السابق، فانطلقت حضارة في بيئة صحراوية قاحلة تكاد تكون معطياتها الحضارية صفرية<sup>(2)</sup>.

ويقارن مالك بن نبي بين السكون الإندونيسي والنهضة الحضارية اليابانية، برغم صغر مساحتها الترابية، فاليابان مجموعة جُزر صخرية وبركانية أيضاً، لكن استغلت العنصر الترابي في إنعاش المشاريع التنموية، في حين ظلت إندونيسية التي هي غنية بالمواد المعدنية حبيسة التخلف والتبعية، فدور الإنسان أساسُ تحويلِ هذا التراب لمنتج حضاري بفضل وجود التحدي والاستجابة وإرادة التغيير، التي طالما نادى بها بن نبي، ثم استغلال التراب وفاعليته لتوجيهه توجيهاً ثقافياً

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 135.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 131-136.

وفنياً لإقامة نهضة حضارية بوصفه عنصرًا من عناصر الحضارة<sup>(1)</sup>.

### (3) الوقت:

أما العنصر الثالث في مكونات الحضارة عند مالك بن نبي، فهو الزمن؛ حيث يرى بن نبي أن العالم الإسلامي يعرف أن هناك وقتًا، ولكن معظم أوقاته تذهب إلى العدم؛ لعدم إدراك قيمته، ولا يدرك معظم شعوب العالم الإسلامي إلى اليوم، فكرة أن الزمن يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ، فعندما يدرك العالم الإسلامي قيمة الوقت والزمن، عندها سيعرف تأثيره في الإنتاج، فالحياة والتاريخ يخضعان إلى التوقيت، ولذلك فإن عالمنا العربي بحاجة إلى أن يخطو خطوات واسعة؛ ليعوض ما فاتته، والتربية والتنشئة هما الوسيلة لتعليم الشعوب الإسلامية والعربية قيمة الوقت؛ إذ لا بد للرجل والطفل والمرأة أن يخصصوا نصف ساعة لأداء واجب محدد؛ وليحققوا ساعات عمل مخصصة للحضارة الإسلامية بجميع جوانبها، فإذا استغل المسلم وقته كله لإنجاز ما يخدم نفسه وأمته، ليصبح سلوكًا ينتهجه الأفراد، فسيجني الحصاد بلا ريب، وهو حصاد عقلي ويدوي<sup>(2)</sup>، وهذه هي الحضارة عينها.

فقد كانت تجربة ألمانيا هي خير مثال لاستثمار الوقت، فقد فرض على كل مواطن ألماني التطوع لمدة ساعتين؛ عملاً مجانيًا لصالح ألمانيا، وهو ما كان سببًا في نهضتها بعد الحرب العالمية، حين خرجت من الحرب بنتائج صفرية في الجانب الاقتصادي، ولم يكن لهم من الموارد إلاّ الإنسان والتراب والوقت، فُبعث شعبٌ من وسط الدمار والخراب، يبعث الحياة في شرايين ألمانيا،

---

(1) ينظر: ابن دويه: شريف الدين، ومجموعة مؤلفين، تأملات في فكر مالك بن نبي، (الجزائر: دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2014)، ص 175-176.

(2) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 141.

وحققت المعجزة، وقامت بإنشاء الصناعات الضخمة<sup>(1)</sup>. فكذا لا بد للعالم العربي والإسلامي أن يحذو حذوهم ليتبدل حال الأمة من الفقر والجهل والمرض إلى النهضة والصناعة والرفاهية، فالملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة في عالمنا الإسلامي هي صالحة لاستثمارها في قيادة عجلة الحضارة في كل وقت، والمهم أن يدار هذا الجهاز الهائل المكون ليعمل في تحسين ظروف المجتمع الزمنية والإنتاجية المناسبة للكل، وهذه القوة البشرية حين تتحرك؛ فإنها تسير في مجرى التاريخ نحو هدفها المنشود، كعضوٍ من أعضاء المجتمع.

ويطرح بن نبي -من منظور تبيين الوقت أو الزمن أيضًا- مسألة حقوق الأمة وواجباتها، بشيء من الدقة، فيركز كثيرًا على أنه من الضروري أن نهتم بالواجب أكثر من التركيز على الرغبة في نيل الحقوق<sup>(2)</sup> أو ما يسمى العطاء السخي، وقد لا يوافق الكثير على هذه القاعدة انطلاقًا من الخلفيات والحاجات والمصالح الملحة؛ فالواجبات أكثر من أوقات الإنسان أحيانًا، ولو التزم كل فرد أو مجموعة القيام بها لأنتت الحقوق سعيًا<sup>(3)</sup>، فشعوب العالم الإسلامي من أكثر الشعوب التي تقتل الوقت وتهدره، والوقت جزء مهم لإحياء الحضارة والتخلق الحضاري<sup>(4)</sup>.

### نقد مالك بن نبي في عناصر الحضارة:

الحضارة تساوي الإنسان والتراب والوقت، فالمعروف أن هذه المعادلة -حديثًا- قادت إلى كثير من التقدم المادي والتكنولوجي ومنجزات حضارية، لكن إنسان العصر الحديث قد عان

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 141-142.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2005)، ص 115-118.

(3) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 35.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 140-142.

الويلات، وولدت حضارة اليوم الدمار والقتلى والحروب والأسلحة المتطورة الفتاكة، التي ولدت كثيراً من المآسي في العالم، فكان الأولى في هذه المعادلة أنه لو أُضيف صفة متزن إلى الإنسان فتصبح المعادلة: إنسان متزن وتراب ووقت يساوي حضارة.

### ثالثاً: نظرية الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

مصطلح الدورة - كما ورد في معاجم اللغة العربية- اسم مصدر مشتق من الفعل دار وتحرك ثم عاد إلى حيث مكانه<sup>(1)</sup>. وبداية الدورة الحضارية عند مالك بن نبي كانت مع تشكل بدايات نظرية الدورة الحضارية، بمعنى المدخل الذي يمكّن من فهم المنظور الذي درس من خلاله (بن نبي) الحضارة، فالدورة الحضارية بوصفها من أهم أدوات مالك بن نبي التحليلية لدراسة الحضارة وتحليلها، تركز على المبدأ الذي وضعه بن نبي؛ حيث إنه لم يحصل اتفاق بين المفكرين على تعريف واحدٍ للحضارة، أو على عوامل تطوّرها وانتكاسها والعمر المفترض لها، إلا أنهم عمدوا إلى رسم دوراتٍ يرون أن الحضارات داخلة فيها، فمن دورة العصبية عند ابن خلدون إلى التناقض عند هيجل، أو صراع الطبقات عند ماركس<sup>(2)</sup>، أو الأطوار الثلاثة عند أوجست كونت، أي: المرحلة اللاهوتية، ثم الميتافيزيقية، ثم الوضعية<sup>(3)</sup>. وقد استفاد بن نبي من فكرة دورات الحضارة التي بحثها المفكّرون وعلماء الاجتماع السابقون، فقام بفحص مقالاتهم وتحليلها ونقدها<sup>(4)</sup>.

---

(1) ينظر: البعلبكي، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت: دار المشرق، ط36، 1997)، ص 228.

(2) ينظر: كريس هارمان، كيف تعمل الماركسية؟ ترجمة: وحدة الترجمة، (مصر: مركز الدراسات الاشتراكية للنشر، ط1، 2003)، ص 21-23.

(3) ينظر: فياض حسام الدين محمود، مؤسس علم الحديث إميل دوركايم: المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء "دراسة في علم الاجتماع البنائي"، (دم: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري للنشر، ط1، 2018)، ص 9-10.

(4) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 47-56.

فابتدع بن نبيّ دورة (النهوض والذروة والأفول) بحسب الفاعلية التي تنتج عن الفكرة الدينيّة مع ثلاثيّته الشهيرة على نحو ما أسلفنا، فالحضارة تبدأ بارتباط فكرة دينيّة معيّنة تنهي سطوة الغرائز الحسية وتطلق الروح من سجنها، فينطلق العقل معها ليؤول الحال مرّة أخرى إلى ارتباط الغرائز بسطوة العقل؛ مما يؤدي إلى خمود التآلق الروحي وسيطرة المادّة على حسابها<sup>(1)</sup>.

ويتلخص في دورة الحضارة القانون الذي يحكمها، وهو قانون الهجرة أو الدورة، الذي في حقيقته هو عبارة عن استمرارية الحضارة، فيعمل على نقلها من مكان نفذت فيه عناصرها، أي: (شروطها) الأوليّة، إلى مكان آخر توفرت فيه تلك الشروط؛ لتتطلق في دورة جديدة تواصل بها سيرها إلى أن ينتهي التكليف، وتتقضي سنة الحضارة والإنجاز البشري.

فسنة التداول الحضاري نقطة مهمة في فهم المنطلق الذي من خلاله قام مالك بن نبي بدراسة الحضارة الغربية، وخصص لها جانباً مهماً في الكثير من كتاباته، لا سيما في نظريته في البناء الحضاري، ومردّد هذه الدورة برأي بن نبي عائد إلى أنّ أيّ حضارةٍ إنما تنتج عن فكرة جوهرية تطبع المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر؛ فتدفعه إلى الدخول في ميدان التاريخ بحضارة صلبة، فقد أخرجت الفكرة المسيحية أوروبا إلى منصة التاريخ، وحقق الغرب امتداداً لحضارتهم من النطاق القومي والعنصري إلى نطاق العالمية والإنسانية وبنوا عالمهم الفكري انطلاقاً منها؛ ولذلك حدث تحول في طبيعتها التاريخية<sup>(2)</sup> إلا أنّها تغيّرت حين تغيّرت فكرتها، وذلك مع استعادة عصر النهضة لأدبيّات الإغريق وفلسفاتهم الماضية<sup>(3)</sup>؛ لتصبح حضارة الغرب بذلك جل اهتمامها بالمادّة لا بالروح.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 66-70.

(2) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، (دمشق: دار الفكر، ط9، 2009)، ص 264.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 41.

ولو أردنا تطبيق الدورة الحضارية على الحضارة الإسلاميّة -كتطبيقٍ لنظرية مالك بن نبي - فإننا نلاحظ بداية انطلاقها مع الفكرة الدينيّة الإسلاميّة، ففي مرحلة ما قبل الحضارة كانت الجاهليّة تضرب بجذورها في جسد المجتمعات العربيّة في الجزيرة العربيّة، فجاءت الفكرة الدينيّة الإسلاميّة محرّرةً الروح من ربة غرائز الواقع المحيط بها، ودفعت بمعتقداتها إلى طور أوج الانطلاق الحضاري، فقام المسلمون بالفتوحات ونشروا العلوم، فتطورت الفنون وانتشرت المباني والقصور، لتصل إلى طور الأفول مع نهايات طور الأوج أو ما سمّاه بنبي بعصر ما بعد الموحّدين، ومن ثم حضارة الأندلس؛ حيث بدأت قوّة الفكرة الدينيّة في تسيير المجتمع بالأفول ومالت الطّبيعة البشريّة المتمثلة بالغرائز إلى استعادة غلبتها على الفرد والمجتمع<sup>(1)</sup>، فالفكرة الدينيّة الإسلاميّة هي التي جعلت أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- يرسخون حضارة عظيمة في مرحلة زمنية قصيرة، ودفعت بأنفسهم إلى حظيرة الإيمان، والإيمان كما يقول مالك بن نبي هو من مهد الطريق إلى الحضارة، هكذا توصل مالك بن نبي إلى التّتيحة التي مفادها أنه لا يوجد حضارة ما تكاد تشذّ عن هذه الدورة<sup>(2)</sup>، وبعد أفول نجم الحضارة الإسلاميّة استعادت الغرائز سيادتها على الإنسان، وما تزال في مجتمع ما يسميه مالك بن نبي مجتمع ما بعد الموحّدين وإنسان ما بعد الموحّدين<sup>(3)</sup>.

لقد ركز مالك بن نبي على واقعة صفيين واعتبرها بداية الوهن في الروح والنمو في العقل وهذه المرحلة في نظر مالك بن نبي مثلت انحرافاً في المسار الأصلي للحضارة الإسلاميّة؛ لأن واقعة صفيين تمثل التشتت الذي اعترى الفاعلية الاجتماعيّة للفكرة الدينيّة، فمرحلة الروح كانت قد

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 69.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 54.

(3) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبدالصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط5، 1986)، ص 34.

جسدت مجتمعاً ضم جميع قواه في مرحلة صاعدة على الدوام، وقد دلت واقعة صفين على أن مجموع الطاقات الاجتماعية لم تعد تعمل، فقسم منه بات يعمل في اتجاه مضاد للمثل الأخلاقية العليا للمجتمع؛ حيث إن الفكرة الإسلامية لم يعد لها في سلوك الفرد ما كان لها من فاعلية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>؛ لأن العقل لم يكن يملك سيطرة الروح على الغرائز، فقد شرعت الغرائز في التحرر من قيودها بالتدرج على الصورة التي عرفناها في عهد بني أمية؛ إذ أخذت الروح تفقد نفوذها<sup>(2)</sup>، كما كفَّ المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد<sup>(3)</sup>، فالمجتمع تفسخ حضارياً<sup>(4)</sup>، وسلبت منه الحضارة، فدخل المجتمع المسلم في عهد ما بعد الحضارة عهد الاستعمار والقبالية للاستعمار، وهو ما يعده مالك بن نبي "عنصرًا جوهريًا في فوضى العالم الإسلامي"<sup>(5)</sup>.

أما فيما يتعلق بالسياق النقدي لنظرية الدورة الحضارية فقد كان هناك اعتراض على فكرة وجود ميلاد وشباب وشيخوخة، فلا يمكن تطبيق تصنيفات الميلاد أو الحياة على الدول والحضارات، مثلها مثل الإنسان، فالأفضل أن نقول: هناك تباطؤ أو توقف في سير الحضارات وتطورها، وذلك قد لا يعود إلى الحضارة نفسها، وإنما يعود إلى أنظمة الحكم أو أي ممارسات مرفوضة من قبل الرعية، فليس من الضروري أن تمر الحضارة بهذه المراحل لتصل إلى تلك النتيجة الحتمية، فالاستقرار هو شرط لقيام الحضارة، كما أن لكل حضارة مسارات حضارية تختلف عن الحضارة الإسلامية والمسيحية في أسباب تطورها، وأسباب أفولها، والتعميم غير منطقي للحضارات.

---

(1) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 104.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 110.

(3) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 75.

(4) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 70.

(5) المصدر السابق، ص 100.



ويرى بن نبي أن للحضارة الغربية استثناء، فلم تعد تخضع إلى قانون الدورة الحضارية (الدورات)، كما قال به ابن خلدون، وكذلك اشبنغلر وتوينبي اللذان تحدثا عن أفول الغرب. ويضيف مالك بن نبي أن الحضارة الغربية بدلت نطاقها، فقد أصبحت عالمية وبسبب عالميتها أصبحت خالدة<sup>(1)</sup>.

كما أن وسم مرحلة معينة بتغييرات محددة مع أن التغيير البشري وارد، كما كان في المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة الغرائز والحس والحمية التاريخية التي يتشبث بها بن نبي، فالتغيير في السلوك البشري وارد، فمثلاً: مثلت مرحلة صفيين منعطفًا حضاريًا في تصويره أعاد المسلمين للاقتتال والاختلاف، رغم وجود صحابة كبار في تلك المرحلة، وربما هذا أزعج الكثيرين، فالأستاذ مالك ربما كان الأولى له لو عدّه صراعًا سياسيًا أو خطأ اجتهاديًا، فقد تحدث مالك بن نبي كثيرًا عن سقوط الحضارة الإسلامية وربطها بسقوط دولة الموحدين؛ بوصفها مرحلة أخيرة، وهذه كانت لها ظروف خاصة، فقد عادت القوة الإسلامية الكبرى، التي جاءت بها الدولة العثمانية، التي هي في الحقيقة أعظم شأنًا من دولة الموحدين، والتي حققت المكاسب، وتعد منجزات حضارية وإسلامية وهذا كان قد أشار إليه مالك بن نبي، لكن السؤال هل حقًا كي تبدأ الحضارة في الصعود لا بد من أن تسود الروح؟! ألا تعتمد الحضارة والمنجزات والابتكارات والتطور والرقى على إمعان العقل السوي جنبًا إلى جنب مع الجانب الروحي، بدليل ما وصلت إليه الحضارة في العصر العباسي وفي حقبة الأندلس وفي عهد الدولة العثمانية.

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 264.

## المطلب الثاني: دلالة الحوار ومفهومه عند مالك بن نبي

كان للحوار أهمية كبرى في تصور مالك بن نبي، فالمتتبع لمذكراته الأخيرة يلاحظ أنه كان كثير السفر إلى الدول العربية، لا سيما سوريا ولبنان؛ لنشر كتبه والتأمين على تراثه، ولما لقيه هناك من حفاوة واحترام؛ حيث كان يقيم الحوارات والندوات والمحاضرات، فهو يرى أن الحوار في حقيقته كل عمل اجتماعي بين الأفراد يقتضي تبادل الأفكار فيما بينهم، وأن الحوار هو أبسط صور تبادل الأفكار، وهو المرحلة التمهيديّة السهلة لكل عمل مشترك، على أن قواعد الحديث لا يلزمها حسن الآداب فحسب، بل هي جزء يسير من تقنية العمل، واستشهد ببرج بابل حينما شيد وعندما اختلفت حوله الألسن تعطل العمل؛ ولذلك تعطل تبليغ الأفكار بالكلام<sup>(1)</sup>، وهو يشير إلى دور الفعالية وليست فقط تداول الكلام والحديث، وإلا فإن الحديث عندها سيصبح تسلية إن لم يتضمن فاعلية الأفكار، فالحوار الجاد على مستوى الأمة لا بد أن يتداخل فيه الجانب الأخلاقي بالجانب المنطقي ليثمر عن العمل الفعّال<sup>(2)</sup>.

وقد تزوج مالك من امرأة فرنسية بعد أن أعلنت إسلامها، وكان لها الأثر الكبير في حياته؛ فقد وصل إيمانه بالقرب من الآخر للزواج وكان لها دور في توفير المناخ المناسب لانطلاقته الفكرية الحضارية، إذ يقول: "ومضت زوجي تفتن من أجل توفير جميع وسائل الراحة لي داخل البيت حتى من الناحية الفكرية، إذ كانت تأتي على الأشياء التي أشاهدها في عالمي الجديد، بشهادة من يعرفها، فأرى في تلك الأشياء القيم الحضارية التي أصبحت الشغل الشاغل لي من

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، بين الرشاد والنتية، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1423-2015)، ص 95.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 95.

الناحية النظرية، ولكن زوجي ألبستها لباسها الإنساني...<sup>(1)</sup>.

ويرى أن الفرد لا يمكنه أن يحقق شيئاً وحده دون تلك الروابط الجماعية والاجتماعية، فالحضارة تقوم على الإرادة الحضارية والتمكين الحضاري، ويعتقد أن حياة الفرد قبل أن تكون منوطة بذاته الخاصة وبموهبتة الشخصية؛ هي منوطة كذلك وقبل كل شيء بصلته بمجتمع معين أو بالآخر، وبطبيعة الحال لا بد من الحوار للتعامل والتعايش معه، ولا بد -أيضاً- من الإرادة بمعناها الجماعي<sup>(2)</sup>.

والقارئ لكتاب مالك بن نبي "فكرة الأفريقية الآسيوية"، وكتابه: "فكرة كومونولث إسلامي"- يدرك جيداً الأهمية القصوى التي أولها للعمل الجماعي والتواصل مع الآخر، من خلال مثال أفريقي، ومثال إسلامي في الوحدة والتكامل والتعامل مع الحضارة، ويكون السير نحوها باستئناف ما بناه الأوائل، وألا نكون متنكرين لماضيينا التليد من تاريخ أمّتنا مع المحافظة على الخصوصية العقديّة والدينية.

وترتقي مستوى الحضارة عنده إذا وصلت إلى مستوى الإنسانية؛ إذ يرى ذلك بصهر النزعة الإنسانية والقابلية للاستعمار ببوتقة سلام إنساني عالمي عبر الحوار<sup>(3)</sup>، وأن يكون للثقافة الإسلامية دور رئيس بالتححرر من الجمود، واستلهام قيم القرآن، ومنهجها التربوي، وفلسفتها الأخلاقية، ومنطقها العملي في الحوار والتعامل مع الآخر، وتعايش الثقافات، وما الفكرة الأفريقية الآسيوية التي تبناها بن نبي إلا دعوة إلى الاتصال الروحي والفكر الإسلامي مع الديانات والثقافات الأخرى، بواسطة

---

(1) مالك بن نبي، منكرات شاهد للقرن: الطالب، مصدر سابق، ص 240.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2005)، ص 68-70.

(3) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 56-58.

الحوار، والمواجهة ومن خلال ذلك تتحقق العالمية<sup>(1)</sup>؛ فالعالم كله يتجه إلى هذا التوجه وهو الربط بين المغرب والمشرق بفكرة الثقافة، التي تجمع في ردها قيم الفكر والتقاليد والعادات، مؤكداً هذه الصلة الموجودة عن طريق المناقشات والمحاويرات، التي دارت رحاها بين كل من الغزالي في المشرق وابن رشد في الأندلس بالرد والتمحيص<sup>(2)</sup>.

ويرى مالك بن نبي ضرورة وجود شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك مع الآخرين وتجميع كل الطاقات الفردية لمصلحة هذه الشبكة<sup>(3)</sup>؛ فالنشاط المشترك هو الذي انقذ المسلمين الأولين وانقذ الوسط الجاهلي في الوقت ذاته<sup>(4)</sup>؛ لأن هذا يساهم في نجاح المسلمين في المعركة العالمية ومرتبطة بنجاحهم في المعركة الداخلية، ولا بد من البدء بتغيير منشود سريع لا وقت فيه للتسوية، في ظل الظروف السائدة في العالم وهذا لا يتحقق في المؤتمرات الدولية، ولا في ظل الأفكار والنظريات التي هي للانعزالية والسلبية والصراعات<sup>(5)</sup>، فالوقت لا بد أن يستثمر بفتح منافذ التواصل مع الشعوب الأخرى؛ فالعالم في القرن العشرين يتجه كله إلى الثقافة العالمية، والضمير الإنساني لم يعد يتشكل في نطاق حدود الوطن فقط، بل صار إنسانياً، مما يجعل العالم متعايشاً ومتشاركاً في الالتزامات وبعض الحقوق لتطبيق فكرة (الملكية الشائعة) القانونية، وهذا يتحقق بحسن الجوار وتفعيل الحوار، ولا بد للمسلم أن يخرج من عزلته ويدرك وجود

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 246.

(2) ينظر: موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مجلة الكلمة (لبنان: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع، العدد 87، السنة الثانية والعشرون 1436-2015)، ص 62.

(3) ينظر: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، (دمشق: دار الفكر، ج1، ط3، 1986م)، ص 100.

(4) المصدر السابق، ص 113..

(5) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 246-247.

الآخرين المحتوم في عالمه الراهن ويتفق مع فكره على أن حل الأزمات الإنسانية يحتاج إلى مشاركة الشعوب والأديان الأخرى<sup>(1)</sup>.

ويظل الحوار الحضاري هو الوسيلة الأهم لتحقيق هذا التعايش، وقد أثبت التاريخ أن الأمة التي لا تؤدي رسالتها الحضارية ضمن سلسلة تفاعل الحضارات، فتعطي وتأخذ من مثيلاتها؛ مآلها الخضوع والاستعباد والانهيـار، وبن نبي من أوائل من دعوا إلى فكرة حوار الحضارات، التي تقوم في تصوره على الندية<sup>(2)</sup>، وضرورة أن ترتقي المجتمعات إلى مستويات التحصّر والرقى، ومناطق ذلك في اتجاهين:

- رفع الإنسان اجتماعياً إلى مستوى الحضارة.

- ورفع الإنسان المسلم أخلاقياً إلى مستوى الإنسانية<sup>(3)</sup>.

- **الحوار مع الغرب:** كان مالك بن نبي من المؤيدين للحوار مع الغرب دون أي عقدة نقص، بل ومن السباقين لها، فقد ناصر فكرة الحوار بين الشرق والغرب<sup>(4)</sup> قبل أن تظهر الأحداث التي دعت إليها كضرورة من ضروريات الحياة الملحة، ولعل من أسباب قناعاته بضرورة الحوار أنها من سنن الإسلام الحميدة، وكذلك دراسته ومعايشته العميقتين للغرب، وما دار معه من حوارات ولقاءات أثناء حياته في فرنسا، مما مكنه من معرفة قيمه الإيجابية والسلبية وتعد بمثابة

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 247.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 138-140. بتصرف بسيط.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 123.

(4) ينظر: مالك بن نبي، الفكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 216.

درسا لفهم مصائر الحضارات والشعوب<sup>(1)</sup>. والحوار الحضاري يستند إلى معايير بعيدة عن منطق القوة والسيطرة والهيمنة، فالحضارة تتعرض للانديان والاندثار حينما تكون الحروب قانوناً أساسياً في حياتها، لكنها تنطلق وتزهو إشعاعاً حينما يكون الدفاع عن الحوار هو دفاع عن القيم الحضارية الإنسانية عموماً، المنبثقة من ثقافة إنسانية شاملة تستمد فكرها من عالمية الإسلام، وهي الفكرة نفسها التي ربطت بين الشرق والغرب<sup>(2)</sup>.

فالفرد المسلم المنعزل حسب رأيه لا يمكن أن يتقبل الثقافة ولا أن يرسل إشعاعها للآخرين، وكذلك الأفكار والأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية مؤثرة إلا إذا تالقت أجزاءها وأصبحت تركيباً ثقافياً، فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبداً<sup>(3)</sup>، فنحن نعيش في عالم أصبح كأنه عمارة واحدة تسكنها الشعوب، عمارة تشبه ما يسمى (المجمع) في القاهرة<sup>(4)</sup>، وهو يعول كثيراً على دور المثقف العربي في خلق ترابط ثقافي حميمي يدعم الفكر بين فئات المجتمع<sup>(5)</sup>. كما يرى أن المثقف العربي يخطئ في تقديره للمدنية الغربية، فهم ينظرون إلى المنتجات الغربية بأنها نتاج للعلوم والصناعات، متناسين أنها نتاج للصلات الاجتماعية أيضاً، التي أساسها الرابطة المسيحية، فالحضارة الغربية خرجت من عباءة المسيحية والروابط الدينية هي

---

(1) عبد الرزاق عماد الدين إبراهيم، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، (العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية، ط1، د.ت)، ص 9.

(2) ينظر: عمر مسقاوي، مالك بن نبي من التكديس إلى البناء ضمن كتاب الاعمال الكاملة، ج5(دمشق: دار الفكر، ط2، 2018)، ص 7.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص64.

(4) مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص206.

(5) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 86-87.

من أوجدت الحضارة<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من وجود عوائق كثيرة تحول دون تحقيق الحوار، تتمثل في النظرة الدونية من الغربي للآخر، فقد بات من الضروري فتح باب الحوار مع الدول والمجتمعات الغربية؛ لتصحيح كل تلك التصورات الخاطئة، وفتح المجال لفرص التعاون والتعايش حتى يتم الانتقال من حالة الصراعات والحروب إلى حالة التعايش والاستقرار والتكامل<sup>(2)</sup>.

والحوار في مفهوم مالك بن نبي هو عبارة عن ظاهرة إنسانية تجمع المجتمع البشري، وهو ضرورة للتواصل بين الناس؛ إذ يقتضي اعتراف الشخص بوجود الآخر وبأن غيره لا يقل عنه شأنًا، فالحوار أخذ وعطاء ووسيلة للتفاهم والتخاطب بين الناس، فيسهل بذلك التعامل بين الأنا والآخر، ويقوم بتقريبه؛ مما يؤدي إلى اتساع التعايش والتواصل بينه وبين الأمم الأخرى.

إذاً لا نستغرب من اختيار مالك بن نبي الحوار أسلوبًا للتحدث مع الغرب برغم أخطائه ومآخذه لحضارته المهيمنة في عالم اليوم؛ لأنه اعتمد كثيرًا على القرآن الكريم الذي يدعو إلى التعارف بين الشعوب والقبائل بحكم الأصل البشري الواحد، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وكذلك تأثر بمواقف السيرة النبوية التي تعكس انفتاحًا مع مختلف أطياف المجتمعات العرقية والدينية، إلى جانب تجربته الشخصية، لا سيما زواجه من فرنسية، ودراسته في فرنسا. كل تلك عوامل اجتمعت لتشكيل رؤية مالك بن نبي نحو الحوار مع الآخر، وهي رؤية تؤكد الدراسات التي أتت بعد وفاته، والتي تُجمع على ضرورة الحوار بوصفه آليةً لحل المشاكل والتقارب بين

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 56-58.

(2) ينظر: نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مرجع سابق، ص 56.

المسلمين والغرب، وبينهم وبين الأمم والشعوب الأخرى<sup>(1)</sup>.

إن مشروع الحوار الحضاري النبوي في فكر مالك بن نبي لم يكن نتيجة عقل نظري خالص، كان صاحبه قابلاً في برج عاجي بعيد عن الواقع<sup>(2)</sup>، بل هو تعبير حقيقي لمعاناة ذاتية وواقعية، وعن شخصية حملت همّ حياته كلها، طفلاً وكهلاً ثم شيخاً؛ وعليه فإنّ بناءه لهذا المشروع، من خلال كلّ ما كتب وسلك، لا يمكن أن يُنظر إليه على أنه فكرة مجردة من محتواها في كتاب، ومفصولة عن شخص صاحبها وشعوره، بل هي تفكير لازم هاجسه في تغيير الواقع، وخلق محيط ثقافي منعش بإيجاد الإنسان الفعّال. فكل خطوة زمنية في حياة هذا الرجل كانت خطوة فكرية وعملية، أو لبنة فعلية في سبيل استكمال دعائم هذا المشروع وتعزيز آليات تحقّقه، فمالك بن نبي يؤكد على بواعث الحوار الحضاري بالانفتاح على العالمية، وأن العزلة لا تتسجم وتعاليم الإسلام وطبيعته الداعية إلى التعارف والتآلف؛ إذ يقول: "الضمير الإنساني لم يألف العمل على حدود الثقافات ما زالت تسيطر عليه عادات حزبية مزمنة، تحمله على أن يرى الأشياء من زاوية ضيقة"<sup>(3)</sup>.

ولذلك حاول في مصطلحاته ومفاهيمه الإشارة إلى الحضارة والثقافة ومفهوم الآخر في فكره، فاستعار المصطلحات الغربية؛ لأنها لا توجد ما يماثلها في الثقافة العربية، ولقد عمد إلى تأسيس مفاهيم خاصة به وبتفكيره، بحيث تؤكد منهجه في مؤلفاته، وتتضمن فيها عناصر الثقافة وتضبط إيقاع النص القرآني، وتعمق الحضارة في صياغة جديدة لمداها الممتد للعالمية، فتبلورت

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 71-72.

(2) ينظر: عمر مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 959.

(3) بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 99.



بعض المفاهيم؛ التي عُرفت بمفاهيم مالك بن نبي ومصطلحاته في مشكلات الحضارة، في إشارة إلى رؤيته وتوجهه الإنساني والعالمي.

### شواهد من حوارات مالك بن نبي

لقد طبق مالك بن نبي الحوار فعلا مع الغرب فشارك في صور من (الحوار الإسلامي الغربي) (المسيحي) في وقت مبكر من حياته الفكرية، فقد انتقل مالك بن نبي إلى (ساحة البعثات التبشيرية الإنجيلية)، وقام مع زملائه لُيناقشوا بعض الموضوعات؛ إذ يقول: "لقد تعرفت لأول مرة على الإنجيل، كان النقاش يدور حول ألوهية السيد المسيح"<sup>(1)</sup>. كما ساهم مالك بن نبي في الحوارات التي كانت تجري في أجواء "الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين"، التي انضم إلى صفوفها بعد وصوله إلى باريس، فقد نقل لحظة الحوار والانحياز الفكري إلى مصادر الذات الثقافية؛ إذ يقول: إن "المنطق المسيحي، بما يتخلله من تعقيد، قد ولى أمام منطق الإسلام السليم؛ إذ لم تكن العقيدة الثالوثية تستطيع الجدل مع العقيدة الموحدة الإسلامية"<sup>(2)</sup> وقد فتح مجال الموازنة بين حضارة خرجت من التاريخ وحضارة الغرب، وكان يطرح أسئلة لكل ما يشهده ويسمعه مما مكنه من تكون أسلوب و رؤية جعله يتميز عن زملائه الذين جاءوا لنيل اللقب العلمي فحسب<sup>(3)</sup>. وكان مالك بن نبي قد ألقى محاضرة في نادي المغاربة في باريس عنوانها (لماذا نحن مسلمون؟) وعندما انتهى منها، جاءه صوت من الحاضرين لماذا نتلفت دائما نحو الماضي؟ وأجاب

---

(1) بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 73.

(2) المصدر السابق، ص 223.

(3) عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد، (دمشق: دار الفكر، ج 1، ط 1، 2013)، 107.

بن نبي: "إن الروح تصنع المادة ومن حينها أطلق عليّ محمد الفاسي لقب زعيم الوحدة المغربية"<sup>(1)</sup>، وقد كان هناك صراع محتدم بين طلاب الشمال الأفريقي، وكانت الإدارة في الجامعة تشجع الطلبة الانفصاليين المتمسكين بالبربرية، وكان هدف الإدارة بث الفرقة بين الطلاب لكن كان بن نبي وصديقه الساعي يجهض كل تلك المحاولات واعتماد لغة الحوار والتواصل، ويقول في هذا الشأن "وهو أنني عندما تنتصر فكرة الوحدة، سأكون حلقة الوصل بينها وبين وحدة الشبان الباريسيين، ليتلقى فيها بني قومي دروسًا في أمور ربما عجزت حينذاك عن تسميتها، وإنما سميتها اليوم دروسًا في الفعالية والأسلوب، وبكلمة واحدة في الحضارة"<sup>(2)</sup>.

---

(1) المرجع السابق، ص 113.

(2) المرجع نفسه، ص 109-110.

## المبحث الثالث: تصنيف الحضارات في فكر مالك بن نبي

### أولاً: تصنيف الحضارات:

من المعروف أن الحضارة في حقيقتها هي فكرة جوهرية تطبع على مجتمع مرحلة ما قبل التحضر، فتعطيه الدفعة الحضارية التي تدخله التاريخ، ولا بد أن يكون نظامه الفكري مطابقاً للنموذج الأصلي للحضارة ولهذا يرى مالك بن نبي أن الحضارة لا تستقر في مكان واحد في الأرض، كما أنها لا تتمركز في منطقة جغرافية معينة، أو عند شعب بعينه، بل تسير وتتحرك من مكان إلى آخر، ومن شعب إلى آخر<sup>(1)</sup>؛ ولذلك فالظاهرة الحضارية لا تمس الأمة الإسلامية فحسب؛ بل إنها تتعداها لكل الأمم والشعوب الأخرى والتجارب التاريخية العامة، ومعظم الحضارات لا تشذ عن هذه القاعدة.

وانطلاقاً من نظرية الأطوار العمرية للإنسان عند مالك بن نبي؛ فإن المجتمعات المتحضرة هي التي استطاعت أن تبني الحضارة انطلاقاً من الفكرة، فالفكرة تبقى والأشخاص يذهبون؛ إذ إن الحضارة عند مالك بن نبي هي مجموعة من العوامل المعنوية والمادية، التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أفراده جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لمواصلة عملية التحضر، فهي القدرة على القيام بوظيفة معينة، تعمل على تقدم المجتمعات ونموها<sup>(2)</sup> شريطة أن تكون منطلقة من فكرة دينية.

وكل حضارة توفرت فيها الشروط السابقة، ولها معتقد ديني تتطلق منه؛ فهي في تصور

---

(1) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 49.

(2) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، (دمشق: دار الفكر، ط

2، 1423 هـ / 2002م) ص 42.

مالك قد جسدت عناصر الحضارة، ولقد وُلدت المجتمعات (ويقصد بها الهندوسية والبوذية والموسوية والمسيحية والإسلامية)، من الانطلاقة الروحية التي أقامت هياكل براهما ويهوه ومعابد البوذية والكنائس القوطية والمساجد الإسلامية<sup>(1)</sup>، وكل هذه الحضارات المعاصرة قد شكّلت تركيبها المتألف في مهد الفكرة الدينية، التي تضبط سلوك الإنسان وتجعله قابلاً لإنجاز التحضر<sup>(2)</sup>.

**وقد وضع الأستاذ مالك بن نبي تصوراً لتحصّر المجتمعات، وهي:**

- (1) الانتصار لعالم الأفكار السليمة على الأفكار الميتة<sup>(3)</sup>.
- (2) وضوح المنهج وأصالته، الذي يُتبع ليحقق التنمية للفرد والجماعة<sup>(4)</sup>.
- (3) انعدام العقدة السلبية وهي القابلية للاستعمار<sup>(5)</sup>.
- (4) التفاعل لمجموعة من الأشخاص مع المواد الخام من التراب ومع الأزمنة تفاعلاً يحقق الناتج الحضاري في مهد فكرة دينية (إنسان - تراب - زمن = حضارة)<sup>(6)</sup>.

ويرجع مالك بن نبي أشكال المجتمعات وركودها وحركتها إلى عاملي الاستعمار وقابلية المجتمعات للاستعمار؛ وهي عوامل عطلت نمطاً معيناً من المجتمعات من أي تطور حضاري، والمجتمعات تختلف في أسباب نشوئها، وأسباب قوتها وضعفها، وهذا ما

---

(1) بن نبي، القضايا الكبرى، (دمشق: دار الفكر، ط6، 2007)، ص60.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص72.

(3) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص153-159.

(4) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص102-110. بتصرف.

(5) ينظر: المصدر السابق، ص152-159.

(6) ينظر: بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص60.

جعله يقوم بتصنيفها إلى نوعين:

(أ) **المجتمعات البدائية:** ووصفها بالركود، قبل أن يحركها الاستعمار، ويسمىها بنبي

مجتمعات متجزئة، فهو يرى أن أي مجتمع لا يتغير في نطاق الزمن ويخرج من التجديد، فهو يشبه مجتمعات مرحلة مرت بها البشرية قبل التاريخ، فلو قارناها بالمجتمعات البدائية لا سيما في النواحي الاجتماعية، لوجدنا أن التشابه كبير رغم مئات السنين التي تفصل بينهما بسبب العامل الاجتماعي والثقافي، في حين أن العامل التكنولوجي هو من عمل على الاندماج العالمي لتقارب التأثيرات المحركة<sup>(1)</sup>.

(ب) **المجتمعات التاريخية:** هي تلك التي نشأت في أولية معينة، وعدلت من بعض صفاتها

الجزرية بداية من الحالة الأولية وتماشياً مع قانون التطور المستمر، وقد اهتم مالك بهذا النوع وشرح طريقة نشأته ودوافعها، وكيفية تشكل بنائه، وكيفية حركته التي تعمل على التطور المستمر<sup>(2)</sup>، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين: الأول: **النموذج الجغرافي** الذي ظهر استجابةً طبيعية لآلية التغيرات البيئية<sup>(3)</sup>. وفي هذا يتفق مالك جزئياً مع الفيلسوف البريطاني أرنولد توينبي (1889-1975م)، غير أنه ينتقد ويقول: إن التحدي الطبيعي ليس المسؤول الوحيد عن التحدي بدليل الحضارة المصرية التي نشأت عن اختيار وقصد<sup>(4)</sup>. **والثاني: النموذج الفكري الأيديولوجي** الذي تأسس ليبي نداء فكرة، دفعته فاستوعبها، وهذا النموذج ينتمي إليه المجتمع الإسلامي، وكذلك الأوروبي الأصلي، والصيني، والسوفيياتي، وهذا النموذج هو الذي يعده بنبي صالحاً لبناء

---

(1) ينظر: بن نبي ميلاد **مجتمع**، مصدر سابق، ص 9-10. بتصرف بسيط.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 10-11.

(3) المصدر نفسه، ص 11.

(4) ينظر: بن نبي، **القضايا الكبرى**، مصدر سابق، ص 58-59.

الحضارة؛ ولذلك فإنه يقلل من شأن الاستجابات الآلية للإنسان تجاه العالم المادي، كما أنه يعطي أكبر تأثير للقيم الفكرية في النفس الإنسانية، والأخذ بها لتكون سبباً في حملها لدخول مرحلة الحضارة<sup>(1)</sup>.

وتكتسب المجتمعات صفة المجتمعات المتحضرة، عندما تبدأ في الحركة وتغيّر نفسها للوصول إلى ما تصبو إليه، وهذا يتفق مع لحظة انبثاق حضارة معينة عبر التاريخ، فحياة المجتمعات دون هدف وغاية يجعلها تظل قابضة في مرحلة ما قبل الحضارة، وهذا يعني أن الطبيعة هي من توجد النوع، ولكن دون شك أن التاريخ عند مالك هو من يصنع المجتمعات، وغاية ذلك كله الوصول إلى ركب الحضارة الراقية، أي: الوصل للحضارة<sup>(2)</sup>.

والواقع أن المجتمعات التاريخية تنشأ إما بتركيب مواد جديدة لم تتعرض لأي تغيير تاريخي، أو باستنفاد تلك المواد التي تكونت عليها الطبيعة ونشأت المجتمعات التاريخية الأولى، في عصر الثورة الزراعية للعصر الحجري الجديد، وممكن أن تكون قد تكوّنت من مجتمع تاريخي سابق لها، فالفرق بين المجتمعات البدائية والمجتمعات التاريخية أن الأخيرة كان لنشوتها ظروف معينة سبقت وجودها؛ فالمجتمعات الطبيعية أو البدائية لم تُعدّل بطريقة محسوسة أي لم تتغير صورة حياتها كمجتمعات فلا تتطور ولا يعترها أي تغير كـبعض أقطار أفريقيا الاستوائية، في حين أن المجتمعات التاريخية عدلت فيما بعد طبقاً لقانون التطور والسعي للاندماج في المجتمع العالمي مسجلة شكل من أشكال الحياة المشتركة مع الآخرين<sup>(3)</sup>، فالإسلام يوفر مناخاً شمولياً يرتبط بالواقع ويشترك فيه

---

(1) ينظر: بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 11-12.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 19.

(3) بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، بتصرف بسيط، ص 15-16.

جميع الأطياف، المسلم وغير المسلم، بدليل ما قام به رسول الله بعد وصوله إلى المدينة حين أقام معاهدات بين المسلمين واليهود<sup>(1)</sup>.

فالمجتمعات طبقاً لتصوير مالك بن نبي:

- المجتمعات البدائية (الطبيعية) أو مجتمعات ما قبل الحضارة.

- المجتمعات التاريخية؛ مجتمعات في طور الحضارة<sup>(2)</sup>.

ويتضح مما سبق أن نظرة مالك للمجتمع المسلم كانت نظرة تاريخية تطويرية شاملة، ونظريته لا تقتصر على مرحلة تاريخية معينة، وإنما يعتمد على وقائع نفسية اجتماعية سجلت في صفحة التاريخ متمثلة بحضارة أو ثقافة. كما يرى أن مجتمع ما بعد التحضر ليس بمنتكس في خط سيره، وإنما يسير إلى الخلف فأنحرف عن حضارته، ويستشهد بابن خلدون الذي وصف المجتمع الإسلامي بأنه ينحدر إلى النوم والكسل، فينقسم بذلك عن حضارته الإسلامية مشيراً إلى عصر ما بعد الموحدين. بمعنى آخر: لا يوجد مجتمع ساكن وآخر متحرك، وإنما قد يكون هناك مجتمع يتحرك لكن إلى الخلف وليس إلى الأمام بانحلاله وتدهوره كما كان في المجتمع الإسلامي العائد إدراجه إلى عصر ما بعد الحضارة<sup>(3)</sup>، ويرى أن الحضارة الغربية التي تركز اهتمامها بتركيب الأشكال والأشياء، وبالشكل الجمالي، هي بذلك تنحرف نحو التطرف إلى المادية البحتة، ويظهر في المجتمع البرجوازي (الاستهلاكي) والجدلي<sup>(4)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 12.

(2) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 37.

(3) المصدر السابق، ص 38-39.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 39.

ونشاط كل مجتمع تشترك فيه عالم الأشياء وعالم الأفكار وعالم الأشخاص يظهر تفوق أحدهم في مرحلة زمنية، وهذا ما يميز مجتمع عن مجتمع آخر، فالمجتمعات النامية تتميز بقلّة الأشياء، وكذلك بقصور في الأفكار، ويظهر جلياً في عدم الفاعلية في استعمال الوسائل المتاحة لديه، والعجز عن إيجاد غيرها أو استثمارها بشكل كامل. ويضرب بن نبي مثلاً يوضح فيه عدم الفاعلية، وهو أن أكثر الأراضي الإسلامية خصبة، لكن لا زالت هناك أزمة اقتصادية غذائية في العالم الإسلامي بسبب القصور في عالم الأفكار، وهذا يعود إلى خمول في الخصائص النفسية والاجتماعية، التي يتميز بها العالم الإسلامي في وقتنا الحالي<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ من خلال عرض تصنيف مالك بن نبي أن هناك اختلافاً بينه وبين منهج المفكرين الآخرين، فعلى سبيل المثال، بينه وبين "أرنولد توينبي"، يمكن أن نرى أوجه التشابه بينهما في تصنيف المجتمعات في النقاط الآتية:

- يُقسّم مالك بن نبي المجتمعات إلى طبيعية، وهي: البدائية، والمجتمعات الساكنة، والمجتمعات التاريخية، وهي التي تأخذ بقانون التغيير، ويطلق عليها المجتمعات المتحركة<sup>(2)</sup>. وذلك المجال نفسه في دراسة "توينبي"، الذي قسم المجتمعات إلى بدائية وأخرى حضارية، وهي التي تترقى وتتطور وتدخل التاريخ<sup>(3)</sup>. أما عن نشأة المجتمعات الحضارية فإن مالك بن نبي يرى أن المجتمع المتحضر التاريخي، هو الذي يولد وينشأ تلبية لنداء فكرة ما، وهذا هو النموذج الأيديولوجي الذي ذكرناه سابقاً، وهو النموذج المثالي<sup>(4)</sup>، وهذه نقطة يلتقي فيها مع "توينبي"،

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 36-37.

(2) ينظر: بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 9-12.

(3) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 58-61.

(4) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 41-43.



في المجتمع البدائي الطبيعي الذي يتميز بالسكون، والمجتمعات الحضارية التاريخية الذي تتميز بالحركة والتحضر<sup>(1)</sup>.

- كما يشير مالك بن نبي إلى وجود مكان معيّن وزمان بدأ فيه نشاط وتآلف بين الناس مع وجود أفكار، فالحضارة عنده مجموع من العلاقات الاجتماعية بحسب تأثير عالم الأشخاص في عالم الأشياء<sup>(2)</sup>، أما "أرنولد توينبي" فهو يهتم -أيضاً- بدور العلاقات الاجتماعية في قيام مجتمعات متحضرة<sup>(3)</sup>، وذكر في كتابه الشهير "دراسة التاريخ" أن المجتمع هو مكان الفعل ومصدر الفعل، أي: هم أفراد المجتمع.

ومالك بن نبي تبنى مبادئ في الفكر الحضاري لتحقيق الحضارة؛ لأن المجتمع التي تكون فيه يلحق بركب المجتمعات المتحضرة.

### ثانياً: مبادئ الفكر الحضاري عند مالك بن نبي

يؤيد مالك بن نبي ابن خلدون في جعل الحضارة تخضع إلى مبدأ السببية لمعالجة التاريخ، والتوصل إلى قوانين شاملة تتميز بالموضوعية، مثل: علاقة المناخ بمزاج الإنسان، ويتفق معه على المبدأ السببي في معالجته للتاريخ، بعد أن كان من الأمور السردية<sup>(4)</sup>، ثم أحققها كثير من

---

(1) ينظر: بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 65-67.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 27.

(3) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 353-355.

(4) اسم مصدر صناعي من سَرَد: مباشرة في الكتابة والتتبع في الحكاية أو الرواية، هذا الكاتب يمزج بين السردية والحوارية، نقلا عن: المصدر: أحمد مختار عمر، قاموس معجم اللغة العربية المعاصرة ( القاهرة: عالم الكتب ج1، ط1، 2008)، ص 1055.

المفكرين بالعلوم النقلية<sup>(1)</sup>، وقد أعجب مهندس الحضارة بالتعليل الخلدوني للتاريخ؛ لكنه لم يحصره في سببته فقط، بل تجاوز ذلك إلى البحث عن الغائية التي تسيطر على التاريخ، فهو واقع استجاب لفكرة فاعلة أدخلته مدارج الرقي الإنساني<sup>(2)</sup>. فالحضارة عند بن نبي ليست فقط تكديسًا لعوامل تتيح التقدم، بل هي هندسة لمبادئ فكرة جوهرية لتحقيق الغاية إلى تلك الفكرة الفاعلة؛ فالمعادلة الشهيرة للحضارة التي قدمها بن نبي، هي: الحضارة تساوي الإنسان والتراب والوقت، وشرط ترابط هذه العناصر هي الفكرة الدينية، ولا يمكن تصور أنها مجرد جمع لتلك العناصر، ولكن هي عملية توجيه بما يمكنها من الانسجام لبناء حضارة تصبو إلى خدمة الإنسانية؛ حيث إن الرابطة القبلية لا تفي بالغرض لتأدية رسالة تاريخية<sup>(3)</sup>.

#### ومبادئ الفكر الحضاري تتمثل في الآتي:

- مركزية الإنسان في النهوض الحضاري: فالإنسان هو مركز النهضة الحضارية بفكره ومبادئه وأخلاقه وعمله ومنجزاته.

- التوازن بين عوامل الغيب وعوامل الشهادة: فالحضارة الكاملة تقوم على أساسين: العوامل الغيبية والعوامل المادية، فالعوامل الغيبية بين وحي السماء وخيرات الأرض، أي: يجب التزواج بين الأفكار المطبوعة (النقل)، والأفكار الموضوعية (العقل) بين التوكل والتوكل<sup>(4)</sup>، فمالك بن

---

(1) ينظر: بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 19.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 11.

(3) ينظر: بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 199، 201. بتصرف بسيط.

(4) ينظر: البناء، العروج الحضاري بين مالك بن نبي.. وفتح الله جولن، ضمن كتاب الأمة، (قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 155، السنة الثالثة والثلاثون، 2013)، ص 199-200.

نبي يرى أن مسوغات الحضارة في العصر الحديث عند المسلمين قد انتهت، ودعا المسلمين إلى البحث عنها من أجل الإقلاع الحضاري<sup>(1)</sup>، والعالم الإسلامي أضاع المسوغات الإسلامية الذي أدخلته التاريخ، وأسمى المسوغات هي التي هبطت من السماء؛ فالقرآن أنار المجتمعات الإنسانية بنور الحضارة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

- **فرق بين الدين والتدين:** جعل هناك فرقاً واضحاً بين الثوابت، وهي: الدين، والمسلمات، والمتغيرات التي تقبل التغيير والتطوير لكي يتماشى مع المكان والزمان والبشر، ومن حق المسلمين أن يأخذوا ما يحقق المصالح ويتركوا ما لا يتناسب مع الزمن<sup>(3)</sup>.

- **ذاتية فكرة النهوض الحضاري:** ففكرة الحضارة والإقلاع الحضاري لا بد أن تكون ذاتية، وإلا تكون مستوردة من منظومة الحضارة الغربية، وضرورة الجمع بين أصالة الفكرة وبين عصرنتها شريطة أن تكون بعيدة عن التغريب. كما أشار مالك بن نبي إلى أن الاستعمار ساعد في يقظة المجتمعات الإسلامية دون قصد، فألقينا بأنفسنا من حيث لا نشعر في هوة التقليد، حتى نجوا من الاستعمار، فوصلنا إلى التغريب من حيث لا نشعر<sup>(4)</sup>.

- **إبراز دور الفعالية في الحضارة:** ركّز مالك بن نبي على دور الفعالية واستدل بالقرآن الكريم والسنة وتجارب السلف الصالح، واستشهد بتجارب الشعوب التي تطورت وازدهرت، كاليابان مثلاً، وبريطانيا كيف استعمرت الهند، رغم كبر مساحة الهند، وهولندا الصغرى، واحتلال

---

(1) ينظر: بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 33-47.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 48.

(3) ينظر: فؤاد عبد الرحمن البنا: العروج الحضاري بين مالك بن نبي.. وفتح الله جولن، مرجع سابق، ص 201.

(4) ينظر: بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 213.

إندونيسيا؛ وهي دولة كبيرة<sup>(1)</sup>؛ نظرًا لضعف الفعالية عند الدول المستعمرة؛ فالهند أصابها الوهن والضعف، وهناك جملة مشهورة لجمال الدين الأفغاني، هي: " لو أن جميع الهنود يبصقون لأغرقوا الجزر البريطانية في لعابهم"<sup>(2)</sup>.

- **تشخيص المشكلة (الداء) مع اقتراح الدواء (الحلول):** إن لمالك بن نبي قدرة فائقة على الغوص في عمق المشكلة، فمعظم كتبه تتحدث عن مشكلات الحضارة، وإدراك التفاصيل، مع وضع الحلول التي تعتمد على الفكر والمنطق، فالفكر هو الحصان الذي يقود عربة الحضارة؛ لأنه كان متأكدًا أن الأمة أُغتيلت من هذه الجهة، فتَبَنَّى حلولًا وأورد لها كتبًا في كل مشكلة حضارية لتتجاوز الأمة الموت الحضاري والسكون والخمود، فتُبِعَتْ من جديد، لتعود إلى صناعة الحضارة<sup>(3)</sup>.

- **انطلاقه من المحلية إلى العالمية:** ظلت كتابات مالك بن نبي ترفرف في الوطنية المحلية، ومع ذلك فهو يُعَدُّ أحد كبار المفكرين المعاصرين الذين عالجوا مشاكل الحضارة بشكل عام. ويرى في كتابه "تأملات" ضرورة حضور المسلم في الأحداث الكبرى، ففي إحدى محاضراته في دمشق (1959م)، وهي (رسالتنا في العالم)، "تحدث عن دور المسلمين العالمي في العصر الحديث، وشبّه العالم بسكان عمارة واحدة، وكل شعب له شقة فيها، وأنه يجب تبادل المصالح والمنافع بين الأمم، وكان يرى أن المسلمين متخلفون اقتصاديًا، ولكن لديهم الجوانب الروحية التي يفتقدها الغرب، وأن يدخلوا إلى العالمية منتجين وليس مقلدين، والحاجة الروحية هي حاجة

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 132.

(2) بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 47.

(3) ينظر: البناء، العروج الحضاري بين مالك بن نبي.. وفتح الله جولن، مرجع سابق، 204.

إنسانية ملحة، وبذلك يحقق العالم الإسلامي مكانةً رفيعةً في العالم الجديد<sup>(1)</sup>. وكان يدينه عالمه العربي الإسلامي ومحاولة دفعه إلى التخلص من مشاكله الحضارية والخروج من المحلية إلى العالمية، ووضع شروط للحضارة وتحققها.

لكنه كان يجنح كثيرًا إلى الخيال متأثرًا بعاطفته المتوهجة، فالعاطفة -أحيانًا- جعلته يعقد في الخمسينيات آمالًا كبارًا على "مؤتمر باندونج" ظنًا منه أنه سيحل مشكلة العالم الثالث، ويتضح هذا في كلامه: "فكذلك رفات غاندي التي ذروتها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الإنسان من حيث سينطلق يومًا انتصار اللاعنف وتشبيد السلم العالمي"<sup>(2)</sup>. وفكرة السلام العالمي ربما فكرة غير واقعية؛ لأن الطبيعة البشرية عدوانية إذا لم يكن لها رادع ووازع، حيث القوي يأكل الضعيف.

### ثالثاً: شروط الحضارة عند مالك بن نبي

#### (1) التوجيه الأخلاقي:

يولي مالك بن نبي أهمية كبيرة في التوجيه الأخلاقي، الذي تعززته تعاليم الدين؛ أيًا كان هذا الدين؛ وضعياً أو سماوياً، لكن الروح الخلقية في الديانات السماوية تخلق انسجامًا وتوافقًا بين الأفراد؛ لتحقق علاقات اجتماعية منظمة<sup>(3)</sup>، وقوة الترابط والتماسك بين أبناء المجتمع كقيلة بأن تُفضي إلى تحقيق الحضارة المنشودة وهذا ما تمثل بين أحد الأنصار وأحد المهاجرين حين قسم الأول ماله وخيره ليختار أحد زوجاته<sup>(4)</sup>، فنشأت حضارة في الصحراء القاحلة وبين البدو الذين

---

(1) بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 217.

(2) بن نبي، في مهب المعركة إرهابات الثورة، (دمشق: دار الفكر، ط8، 1981)، ص 152.

(3) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 89-90.

(4) ينظر: بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 79-82.

يسكنون الصحراء، كان أساسها ومصدر إشعاعها الأساس الأخلاقي<sup>(1)</sup>، ثم يأتي دور الدين الذي جعله مالك بن نبي يحتل الدور الأهم<sup>(2)</sup>؛ بل الأكثر أهمية من العصبية، التي قال بها ابن خلدون، فالدين هو المؤثر والحافز القوي لميلاد الحضارة، فهو يرى أن العرب الأعراب موعلون في البداوة والتوحش، قبل أن يتدينوا بالإسلام الذي هذب طباعهم وساعدهم على حذق إقامة الملك والدولة وسياسة العمران، حيث عقد فصلاً آخر جعل عنوانه: فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين بالجملة<sup>(3)</sup>، فالدين يدفع النفس البشرية للانضباط حتى لا تمتلكه النزعات الفطرية كالأنانية وحب التملك كما كان من الإنسان الأوروبي والأمريكي الذي تملكته تلك الرغبات؛ فأدى ذلك إلى الصراع والدمار.

ويرى اشبنغلر في هذا الأمر أن الحضارة العظمى لا تشيد إلا وقد اكتشف أفرادها الطريقة الجماعية السرية للشعور بالعالم، وهذا لن يشعروا به إلا إذا هم التزموا بالمبادئ الأخلاقية التي تهذب مطامحهم وتوحد غاياتهم<sup>(4)</sup>. فمالك بن نبي واشبنغلر يتفقان على قيمة الأخلاق في نشوء الحضارة.

وإذا كان مالك قد ربط بين الحضارة والأخلاق فذلك ينطبق مع الرؤية الإسلامية، التي تربط ربطاً محكماً بين الحضارة والتربية، بل ويرى أن جذور الحضارة الإنسانية المثلى، هي دائماً جذور التربية الإنسانية العليا؛ إذ إن الحضارة الإنسانية نتاج لجهود التعاون الإنساني؛ انطلاقاً من منهج تربوي متكامل؛ يأخذ به الإنسان بوصفه فرداً مستقلاً، وعضواً في جماعة في الوقت نفسه.

---

(1) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 90.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 62.

(3) ينظر: ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، مرجع سابق، ص 78.

(4) ينظر: اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 329.

فقد قامت في التاريخ الإنساني حضارات جانحة؛ أفسدت بدلاً من أن تصلح، وأشقت بدلاً من أن تسعد؛ مما قد سمعت به من أحوال أمم قد خلت وبادت؛ إلا أن أصحاب تلك الحضارات أخطأوا في تصور حقيقة كل من: الإنسان، والكون، والحياة... ثم مضوا يبنون تصرفاتهم وتعاملهم مع الكون والحياة على أساس تلك الأخطاء السابقة<sup>(1)</sup>.

## (2) التوجيه الجمالي:

يتجلى الجمال عند مالك بن نبي في اللون والشكل والحركة، التي يستسيغها كل أصحاب الذوق السليم، ويُعطي شعوراً إيجابياً على أفكار صاحبه، فيوجهه هذا الشعور لقيمة كرامته فيرقى بسلوكياته إلى الفضيلة، فالمظهر الجمالي فنياً كان أو طبيعياً؛ يكون سبباً في توجيه الإنسان للرقى فكراً ووجداناً، والمظهر القبيح يسيء إلى وجدان المتلقي وفكره وتصل إلى أعماله<sup>(2)</sup>. والمعروف أنه لا يستوعب التوجيه الأخلاقي إلا لجماله وطيب أثره؛ مما يعطي القابلية لإبداع المفكرين لتوليفات جديدة بين "المبادئ الأخلاقية" ومقتضيات الذوق الجمالي الراهنة؛ حيث تعمل على تحفيز الأفراد على تطبيقه، ويكون فعل "التوجيه" هنا -أيضاً- هو من الأعلى -أي: من القادة- سياسةً وفكراً وكبار الأسرة، فيتحول "التوجيه الجمالي" إلى فن التعامل مع الطبيعة بجميع موادها بمعناها الواسع، غير مقتصرة على الطبيعة الإنسانية فحسب<sup>(3)</sup>.

ويثير هيغل جدلاً حول العلاقة بين العقيدة والشعور بالجمال، الذي يجب ترقيته حتى يصل

---

(1) ينظر: البوطي: محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، (دمشق: دار الفكر، ط1،

1982م)، ص 19، 36-37. بتصرف بسيط.

(2) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 91.

(3) ينظر: بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 81-82.

إلى أن يصبح ذوقًا بالجمال، فالعقيدة دافعة إلى الإبداع الفني، وهو بدوره يدفع روح المتلقي إلى الترقى الخلقى؛<sup>(1)</sup>، لكن هذا لا يعني أن كل ما سمي فنًا ينتج خلقًا مستقيمًا، وهو ما يؤكد بن نبي في مختلف مؤلفاته، فدائمًا علاقة الخلق بالجمال جدلية وطرديّة معًا، ويرجح المفاضلة بينهما، ويرى أنها سبب تحديد نوع الحضارة واتجاهها، فالمجتمعات الغربية تقدم الفن على المبدأ الخلقى، وفي المقابل المجتمع المسلم يعلي من مرتبة المبدأ الخلقى على المراتب الأخرى، وهذا يولد فرقًا في الحضارتين الغربية والإسلامية؛ فالأولى تتبنى المادية لتهدى بها، والإسلامية ترتقي بالروحانية لتسمو بها؛ فالملابس -مثلًا- في المجتمعات الغربية ركزت على إظهار جمال النساء في الشارع، في حين أنها في المجتمع المسلم عملت على إخفاء مفاتن المرأة وجمالها في الشارع<sup>(2)</sup>، فكان أن حمل لواء الأولى قادة الفن وزعماءه، أما في الثانية فقد حمل لواءها الأنبياء والرسل والمقنتون بهم؛ وهم الصفوة. ولذلك فإن أي حركة في أي مجتمع تهدف إلى الحضارة لا بد لها من العمل على ترقية الجانب الجمالي فيها؛ جنبًا إلى جنب، كما عملت على تأسيس دستورها الأخلاقي؛ بحسب معادلة بن نبي: **مبدأ خلقي مع ذوق جمالي يساوي توجه حضاري**. وباختصار فالجمال هو وجه الوطن فليحفظ الجميع وجه الوطن، ولنديين بالاحترام للآخرين وللشعوب والأمم الأخرى<sup>(3)</sup>.

### (3) الفاعلية:

تعد فكرة الفاعلية أصيلة في نهج بن نبي وفلسفته، ويعدها شرطًا للنهوض الحضاري، ويرى أن المنطق العملي والعقل التطبيقي استمد معاييرهم من إمكانية الواقع الاجتماعي، بحيث يربط

---

(1) ينظر: هيجل: المدخل إلى علم الجمال - فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 1988)، ص68-73.

(2) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 101-102.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص103.



الشخص بين العمل ووسائله والفعالية، وهذه الثقافة -مع الأسف- لا توجد في دول العالم الثالث<sup>(1)</sup>، لكنها موجودة بالنسبة إلى الغرب، فإن المعادلة الاجتماعية صيغت على أسس من الثقافة الغربية بدستورها ذي الفصول الأربعة: المبدأ الأخلاقي، والنزعة الجمالية، والمنطق العملي، والفن التطبيقي الموائم لكل المجتمعات (الصناعة بالتعبير الخلدوني)<sup>(2)</sup>، واتجهت اتجاهاً مادياً، فالفعالية -كما يرى بن نبي- ليست شيئاً فطرياً مركباً في فطرة الرجل الغربي أو المجتمع الغربي، وإنما هي نتاج لتركيب ثقافي معين متحرك في إطار التاريخ، ومرتبطة بالوضعية التي يقفها المجتمع من دورة الحضارة، وقد استشهد في عرضه عناصر الحضارة آيات توضح أن فاعلية الإنسان هي الركيزة الأهم من أي عنصر في عناصر الحضارة، المنطلقة من أخلاقياته وسلوكياته، وبحسب موقعه ومسؤولياته، والأخذ بالمشورة والنصيحة مع أهل الرأي، والأخذ بأسباب الصلاح، وإقامة العدل بين أفراد المجتمع {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} آل عمران: 159.

ويشير مالك بن نبي إلى أن الفاعلية وأداء الواجبات وإعطاء الحقوق هي التي حققت كل ما توصل إليه الأوائل، وما حققه الغرب في مجالات الإدارة من الاستثمار والتخطيط، بدليل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد: 11، وقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ؕ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} آل عمران: 110. فمالك يؤكد من خلال الآيتين السابقتين على دور الفاعلية في الروح الجماعية، ودورها في نهضة المجتمعات وحماية الحقوق، وهو بذلك يقارن بين المسيحية والإسلام ليؤكد على عظمة الإسلام من خلال الآيات. كما

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 95-96.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 87.

ذكر أحاديث تحت على العمل والفاعلية؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَضِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»، رواه البخاري<sup>(1)</sup>.

واستعان مالك بن نبي بكتابات بعض مفكري الحضارة، مثل: ابن خلدون في تفسير دورة الحضارة، وتركيزه كان على إحدى نتائجها وهي الدولة، وأفكار ماركس عن الجدلية المادية؛ لأن الاتجاه المادي هو الذي كان سائدًا في أوروبا، وفكرة أن الحضارة هي نتاج لثمرة عبقرية خاصة، وهذه الفكرة قال بها اشبنغلر، وأرنولد الذي قال بالتحدي والاستجابة، وأن للعامل الجغرافي البيئي دورًا فعالاً.

كما استفاد مالك من أفكار "شاختر" في الجانب الاقتصادي والنهضوي<sup>(2)</sup>، ومذهب تايلور من الناحية الاجتماعية وأفلاطون وسقراط وأرسطو وحتى توماس الأكويني، واللافت في الأمر أنه -أيضًا- تبنى أفكار لكسرلنج، الذي أبرز دور المسيحية في تشكل الحضارة الغربية<sup>(3)</sup>، وهو بذلك يشير إلى دور تكامل الأفكار وتلاقحها للاستفادة منها في انتهاج طرق تركيب الحضارة الحديثة وأفكارها بفاعلية مطلقة في جميع الحضارات السابقة<sup>(4)</sup>، كما تحدث عن أفكار ماتسي سونج ودورها في إنعاش المجتمعات الصينية، ولعل هذا هو السر في نجاح كتابات مالك بن نبي عن الحضارة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، ج2، ص 123. (بيروت: دار طوق النجاة، تحقيق محمد زهير الناصر ط1، 1422هـ).

وينظر: العسقلاني، كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 2013-1434)، ص 152.

(2) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 115.

(3) ينظر: بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 41.

(4) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 12.

والنهضة والثقافة، فقد خاض في كل العلوم وغاص في كل الأفكار لجني الثمار منها في علم النفس، وركز على مرحلة الطفولة للتوصل إلى دلالة الأفكار، واستعان بعلم الرياضيات لتوضيح عناصر الحضارة؛ لتحقيق المعادلة اجتماعياً واقتصادياً، واحتاجت معادلته إلى علم الكيمياء لتحقيق التفاعل، كما استعان بتجارب الأمم الأخرى فضلاً عن التجربة الإسلامية كالشعوب الآسيوية، مثل: الصين واليابان وإندونيسيا وماليزيا، ولم ينس تجارب أوروبا كتجربة ألمانيا، والنموذج الصيني لتفعيل الثقافة ومعرفة طرق الفاعلية في كل تجربة واعتمد على فن الملاحظة كأداة علمية للوصف<sup>(1)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن ألمانيا نَهَضَتْ بأفكار الإنسان الألماني، وأن أفكاره فحسب هي التي أتاحت له أن يحقق ذلك النهوض بفعل الفاعلية<sup>(2)</sup>، وهذا أمر حقيقي -وحقيقي بصورة لا مجال للشك فيه- سيما وأن الحرب العالمية الثانية (1939-1945) قد خربت عملياً (عالم الأشياء) في ألمانيا، بكل مصانعه وآلاته ومناجمه وبنوكه ومختبراته، فكل هذه الأشياء كانت قد دُمّرت وأتلفت كل شيء تماماً، إذاً فقد كانت ألمانيا وبشكل دقيق -وبطريقة تكاد تكون رياضية- لا تملك سنة (1945م) أي مجموعة من الأشياء بتاتاً، لكنها تمتلك مجموعة من الأفكار؛ هي رأس مالها في ذلك الوقت<sup>(3)</sup>، فقد تكونت من جديد، وابتداءً من هذا "الرأسمال المفاهيمي" في كل حياتها الاجتماعية، واحتلت من جديد مكانتها السياسية في العالم، فتجربتها بالنسبة إلى العالم الإسلامي لا تقدر بثمن، فهي تتيح له أن يستخلص -بطريقة علمية- أن قيمة كل مجتمع في مرحلة ما من

---

(1) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 116. بتصرف بسيط.

(2) ينظر: مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 38.

(3) ينظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 71.

تاريخه لا يكون بمجموعة الأشياء في ذلك المجتمع ولكن بمجموعة أفكاره البناءة<sup>(1)</sup>، التي تحييها في أرض الواقع فتبعث النهوض والإشعاع الحضاري.

ويربط مالك بن نبي الفاعلية باستغلال الوقت في العمل والمثابرة؛ فيقول: "إن وقت المسلمين لا يجب أن يضيع هباءً؛ كما يهرب الماء من ساقية خربة، لذلك فلا بد أن يكف كل مسلم عن الثرثرة التي تصيبه بالغفلة عن الصوت الصامت لخطا الزمن الهارب، ويتعلم تخصيص نصف ساعة يوميًا لأداء واجب معين، فإذا خصص كل مسلم هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعّالة، فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية في جميع أشكالها... كما أن هذا الوقت المقدر بنصف ساعة؛ سيثبت عملياً فكرة الزمن في عقلية المسلم، أي: في أسلوب الحياة في المجتمع، وفي سلوك أفراد، "فإذا استغل الوقت هكذا، فلم يضيع سُدَى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي، وهذه هي الحضارة"<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف (دمشق: دار الفكر، ط2، 2000)، ص53.

(2) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 141-140.

## الفصل الثاني: مقومات الحوار الحضاري ومعوقاته في فكر مالك بن نبي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقومات الحوار الحضاري.

المبحث الثاني: تصنيف معوقات الحوار الحضاري.

المبحث الثالث: صراع الحضارات.

## المبحث الأول: مقومات الحوار الحضاري

### المطلب الأول: منطلقات الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي

لا يمكن للعالم الإسلامي اليوم أن يعيش منعزلاً عن الآخر، كما أنه لا يمكنه أن يحقق التطور والتقدم المنشود، وهو يعيش منعزلاً على نفسه، بل الحقيقة الجلية أن للمسلم دورين: دور ممثل، ودور الشاهد الحضاري، وهذا ما يفرض عليه أن يوفق بين الجانب المادي والروحي في حياته، وبين دوره في الإنسانية، فحتى يكون دوره فعالاً في حركة الرقي والتطور العالمي يجب أن يعرف العالم من حوله، وقبل هذا يعرف نفسه، فلا بد من الشروع في الحوار مع الآخرين لكي يعمل على تقويم مقوماته في الحوار الحضاري، ومعرفة مقومات البشرية من قيم ومبادئ، ويبدو أن كثيراً من الحكومات تسعى في هذا المجال إلى التمكن من فهم الغرب وفلسفاته، ونحن بحاجة ماسة إلى تحديد مكانة لنا في العالم الحديث، فالأكيد أن المجال العلمي والاقتصادي قد دفعا بالعالم إلى التقارب والاتحاد، لكن الأفكار على العكس من ذلك فقد أشعلت النزاعات وفتحت أبواب التفرقة<sup>(1)</sup>.

ولكوننا أمام عالم مليء بالصراعات وحب الذات علينا أن نفعل الحوار والإيجابية، من أجل تقاربٍ منشودٍ مع الآخر بتفعيل الحوار والإيجابية، والبحث عن مقومات الحوار الحضاري في ظل العالم الحديث؛ لأن حاجة الشعوب إلى العمل والتعاون المشترك في شتى المجالات، أصبحت من الحاجات الضرورية والملحة، ففي المجال السياسي ظهر توجه عالمي لتفعيله متمثلاً في عصابة الأمم المتحدة، ولا يزال العالم اليوم يصير في طريق التكتلات، وفي كل يوم تظهر بواكير اتحاد

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 166.

عالمي دولي، وما عزز هذا التوجه هي الحرب العالمية الأخيرة؛ وما آلت إليه من نتائج، ولعل أبرز مظاهرها ذوبان المسافات والحدود عن طريق العامل الصناعي الذي فرض نفسه وبقوة<sup>(1)</sup>.

لقد أصبحت الكرة الأرضية صغيرة، فلو شبت النار في طرفها لوصلت إلى الطرف الآخر بسرعة هائلة، ولم يعد ممكناً تقسيم المشكلات والحلول؛ فإما أن تكون الإنسانية وحدة واحدة أو أن تفتنى<sup>(2)</sup>، فلا مناص لقادة العالم من تفعيل لغة الحوار بين الثقافات والحضارات على جميع الأصعدة، باعتمادهم على منطلقات الحوار، ولا سيما في الأزمات الإنسانية، ومن شواهد ذلك انتشار فيروس كورونا الذي يتوجب على العالم أن يتوحد لمواجهة هذا الوباء العالمي الذي اجتاح العالم، ولا يمكن مواجهته إلا من خلال الحوار الذي هو أساس الثقافات والحضارات، فالحضارتان الإسلامية والمسيحية تنطلقان من الفكرة الدينية السماوية ولعله رابط مشترك لتعزيز الحوار.

#### أولاً: المنطلقات النظرية: "القرآن الكريم والسنة النبوية"

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما أصل المنطلقات النظرية الإسلامية في نجاح الثقافات والحضارات، إذا أحسن فهمهما والتعامل معهما، قال: تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد: 11. ولذلك أكد مالك بن نبي، من خلال تقديمه كتاب جودة سعيد بعنوان: "حتى يغيروا ما بأنفسهم"، أن المتتبع لأحوال العالم الإسلامي يلاحظ أن الحركات التغييرية، التي حدثت منذ عصر ابن تيمية، بل منذ عصر الغزالي إلى عصرنا الحالي، لم يكتب لها النجاح إلا في بعض التغيرات السياسية، كالتي تحققت في دولة الموحدين في حدود قيامها في الشمال الأفريقي والأندلس؛ حيث كان دور المعطل لحركة التحلل التي أدت فيما بعد إلى سقوط

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 122.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 167.

غرناطة<sup>(1)</sup>.

ويشير مالك بن نبي إلى أن النشاط البشري يخضع إلى السنن الاجتماعية، وإن اختلفت هذه السنن عن سنن الآلة المادية، وهو تشبيه يريد به أن يعضد المجتمع بالكائن الحي من حيث سنن مرضه، وسنن شفائه، وذكر أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الموضوع ليبين أن هذا التشبيه ليس من بدع العصر الحاضر، وإنما هي موجودة في القرآن والسنة، فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على المسلمين وأكثر رأفه بهم، حين كان يبدأ ويعيد ليقرّ في أذهانهم التشابه بين المادة والحياة والمجتمع، من حيث خضوع كل منها إلى السنن، فهناك سنن تفسر تماسك المجتمع، وسنن تُبقي الكائن الحي في وضع سليم، وكذلك سنن تحمي المجتمعات من الانحلال<sup>(2)</sup>؛ إذ يقول صلى الله عليه وسلم: « المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضاً » ثم شبك بين أصابعه<sup>(3)</sup>، ويقول الرسول الأكرم عن النعمان بن بشير: « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »<sup>(4)</sup>.

---

(1) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، تقديم مالك بن نبي، (القاهرة: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط8، 1989)، ص9.

(2) مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 140-141.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ج8، ص12، رقم (6206). (بيروت: دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، 1422هـ).

وأخرجه لبخاري في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، ج4، ص 1999، رقم (5852). (بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ج8، ص10، رقم (1106). (بيروت: دار طوق النجاة، تحقيق محمد زهير الناصر، ط1، 1422هـ).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، ج4، ص1999، رقم (6852). (بيروت: دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت).



ويرى مهندس الحضارة أن معرفة السنن التي تشد البنيان بعضه إلى بعض، هي التي تمكن من بناء يبقى على مر الزمن، فمهندس البناء هو الذي يستطيع أن يقدر ذلك التماسك لكل مادة وطاقة تحمّلها، وكذلك يعرف ما يحتاج إلى بناء الجسور والأنفاق والأبراج؛ إذ لا يمكن أن يقوم بناءً بناه من يجهل سنن تماسك البنيان، فكما أنه يمكن لمهندس البناء أن يدرك خطورة نوع الخلل الذي أصاب البناء؛ لأنه من بناه، ويمكنه أن يعرف أسبابه، وما الذي يجب أن يقوم به لتفادي السقوط وإصلاح مكان التداعي، وهذا هو حال مهندس بناء المجتمع، إذا نظر إلى المجتمع فإنه يمكنه أن يعرف تماسك المجتمع من عدمه، وما يطرأ عليه من خلل، وما سيتعرض له هذا المجتمع إذا استمر إهمال هذا الخطر؛ لأن السقوط لا بد منه في نهاية الأمر<sup>(1)</sup>. وهذا ما يؤكد القرآن الكريم {لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} يونس: 49.

ويذكر مالك بن نبي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يضرب مثلاً آخر يذكر فيه تمازج السنّة المادية بالسنّة الاجتماعية، بحديث السفينة وركابها، وبيان علاقة سنن المركب بسنن البشر، وذلك في قول رسول الله: «مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَقْعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدِ مِنْ فَوْقِنَا، فَإِن تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِن أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»<sup>(2)</sup>، فهذا المثل ذكره الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليبين أن للمجتمعات قوانين ترتبط بها لتحميها من الهلاك، ويجب معرفتها وتداركها، وألا

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 109.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ج3، ص139، رقم (3942) (بيروت: دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، 1422هـ).

يتصرف فرد بمفرده، وإنما ما ينسجم مع مصلحة الجميع لتنهض نهضة جديدة وتحقق مجداً إسلامياً، ولتمهد السبيل إلى هداية غير المسلمين للإسلام<sup>(1)</sup>.

ولذلك يرى مالك ضرورة الاستفاضة مما جاء في القرآن والسنة لحل مشكلات المجتمع؛ لإمكانية تجاوز الثغرات والوصول إلى الرقي والتطور ومد جسور التواصل مع الآخر، بالاستفاضة من العلم في خدمة إيماننا؛ لاعتقاده بأن نتائج استخدام العلم أجدى من وصفنا الإسلام أنه دين العلم، لا سيما أننا بعد ذلك لا نثق بالعلم بل نخاف منه، ونتهمه في كثير من الأحيان، ولو أحسنا التعامل مع العلم لوجدنا أنه يدعم ما نهدف إليه بأسلوب راقٍ، ونتأججه أنفع وأجدى من الحرص العشوائي لرفع شأن الإسلام دون فهم عميق له، فالعلم والإسلام لا يتناقضان إطلاقاً وعلوم الإسلام كانت سبباً في قيام الحضارة الغربية<sup>(2)</sup>.

إن الغيورين يكون على الإسلام الذي أخذ أهله في الوقت نفسه ينحسرون عنه، مثلما يبكي المحب الجاهل على المريض الذي اشتدت عليه وطأة المرض، ذلك أن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواءً، منه ما يكون في مجال الأمراض الجسمية أو النفسية، ومنه ما يكون في أمراض المجتمع<sup>(3)</sup>.

وإذا ما عدنا إلى حوار الحضارات وتأخر المسلمين في جانب التفاعل مع الآخر؛ فهو يرى أن النظرات الخاطئة هي التي تعرقل الحركة وكل ما يُسهّم من خطوات في توقف السير نحو ركب التاريخ، هي في الحقيقة ليست كبيرة وضخمة، ولكنها دقيقة؛ لأن الفكر لا يوقف عندها، وإنما

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 142-144.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 80، 82، 83.

(3) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 30.

يتجاوزها قفزاً دون أن يلمحها. إذاً هي مشكلة غفلة، صحيح أنها يسيرة لكنها قد توقف سير التاريخ، والفرد المسلم حينئذ سيفقد مراعاة السنن ويتسم سلوكه بالحنر والحيرة؛ فينتج عدم الثقة بالآخر، فيظهر على المسلم العجز الذي يكبله مع الحقد والمقت للآخرين، في حين أن إدراك سنن الانتقال من الموجود إلى المقصود بصورة دقيقة، يسهم في وقاية الإنسان من هذه المضاعفات، فلا يجعله يظن بنفسه ضعفاً أو قصوراً، ولا يحاول أن يستر عجزه، وإنما يسعى بكل اجتهاد إلى استكمال ما ينقصه بكل مثابرة وجد واستمرارية، وعندها لن يتمكن أحدٌ من صرفه عن غايته المنشودة<sup>(1)</sup>.

ويقول مالك بن نبي في هذا الشأن: "وبعض المسلمين الذين ما زالوا يحسون بقلوبهم بالمأساة، ولكن ليس لديهم ما يكفي من الصبر والأناة لدراستها، هؤلاء يترجمون دائماً عن المأساة قائلين: إننا لم نعد مسلمين إلاً بشهادة الميلاد، إنهم ليقرون حقيقة، ولكن ربما فعلوا شيئاً أكثر فائدة لو أنهم لاحظوا ملاحظات أولية في وسطنا"<sup>(2)</sup>. يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد: 11؛ فالقاعدة الموجودة في هذه الآية تعني أن كل الناس يشتركون في السنن الاجتماعية ولا تمايز في هذا، بدليل أن كلمة (قوم) في الآية لم تأتٍ مخصصة لقوم معينين، وإنما هي لكل قوم، ومجيئها نكرة في الآية أكبر دليل على أنها تنطبق على كل البشر بجميع أجناسهم وجميع طوائفهم الدينية، فالأبيض والأسود والمسلم والكافر ملزمون جميعاً كل في مكانه ومسؤولياته لتغيير أحوال الأمم من الصراع والحروب والتسلط، بتبني التغيير البناء والتواصل، وتفعيل السنن الكونية في الانتقال الحضاري من مجتمع إلى مجتمع آخر<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 29.

(2) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 104-105.

(3) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 31.

فالصراع مستمر بين الخير والشر ولا بد ألا تكون الأمة الإسلامية أدنى من الأمم الأخرى في المستوى الحضاري، وهذا يتحقق بالعدالة حتى مع الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ {الأنبياء: 105<sup>(1)</sup>، فتظهر الآية رحمة للبشر جميعا حتى الكافر، فمن قام بواجبات الدنيا فإنه لا يحرم من هذه الدنيا، وهذا هو ما تقتضيه الحكمة الإلهية فالصلاحية باستصلاح الأرض<sup>(2)</sup>.

ووجوب أخذ العبرة من تجارب القرون الماضية، وهي تجارب كثيرة تظهر فيها سنن التغيير والتبديل، التي يخضع إليها المسلمون أيضًا، مثل: أي قوم من الأقوام، وفي الواقع أن النظرة القرآنية تجرد الإنسان من ملبساته لترجعه إلى أصله المجرد الذي يخضع إلى السنن، فإذا استطعنا أن نصل إلى هذا النظر والاعتبار نكون قد أخرجنا المشكلة من مجال الغموض والتكهنات إلى مجالاتها المستقبلية برؤية واضحة وجليّة، لتمكّن المسلم من النظر إليها كمشكلة إنسانية عالمية وليس بوصفها مشكلة مبادئ خاصة، بمعنى أن ننظر إلى الموضوع بوصفه مشكلة مجتمع، لا مشكلة دين وعقيدة خاصة. وبعبارة أوضح: ينظر إلى الموضوع على أنه مشكلة بشر مسلمين يحتاجون إلى إعادة وجهات النظر في أنفسهم، وليست مشكلة إسلام<sup>(3)</sup>. وكثير من المسلمين يرون أن الإسلام فقد صلاحيته لما يرى من أحوال المسلمين، ولكن الإسلام صلاحيته ممتدة بمن يصلحون وكأن الأرض اليوم ورثها الصالحون ولو كانوا ظالمين أو مجرمين، فالله تعالى يتصرف

---

(1) نشار عواد معروف وعصام فارس الخرساني، تفسير الطبري، سورة الأنبياء (بيروت: دار مؤسسة الرسالة، ج 5 ط 1، 1994م)، ص 286.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 151.

(3) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 31-32.

بإرادته هو وليس بإرادة البشر التي لو قامت الدنيا على المسلك البشري لضاع العالم<sup>(1)</sup>.

فالمنهج القرآني - مثلاً - في بحثه عن مشكلات التقدم والتخلف المادي عند الناس، يواجهها كمشكلة عامة ومشكلة أقوام، لا كمشكلة دين وعقيدة، والمسلمون أصبح لديهم فهم خاطئ للمنهج القرآني بسبب الركود الطويل، الأمر الذي جعل كثيراً من الخرافات والنظرات الخاطئة تحمل قوة قداسة الإسلام والقرآن لديهم، فشككت عقبات في سبيل التجديد والإصلاح، فقد أصبحت أوزاراً تحمّلوها وابتدعوها ما كتبها الله عليهم، فظلت في أعناقهم تعوق حركتهم وتثقلهم، وغشاوات على أعينهم تحول دون رؤية الصواب؛ فأصبحت كالأقفال على القلوب تمنع إدراك الحق، وتجعل أمام إمكانية قبوله للأمم والشعوب الأخرى صعوبات مضاعفة<sup>(2)</sup>.

ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} الأنفال: 66. نفهم من الآية أن الغلبة أو النصر الذي يحزره المجتمع أو الأمة المخاطبة بقوله: (منكم) لا يتم بثبات فرد، أو بأن يكون بنفس فرد قد تغير؛ إذ لا بد من ثبات عدد معين، كحد أدنى أو أعلى، وإن كانت آية الأنفال هذه تحدد الكم، وتدخل عامل الكيف، ألا وهو الثبات في المعركة، إلا أن هذه الخصوصية ليست محصورة في المعركة القتالية، فمعارك الحياة كثيرة، فقد تكون معركة بناء مجتمع، كذلك تحتاج إلى التوازن نفسه، فمعركة التعامل مع سنن الله على أساس الوعي، أمر يخاطب الله به المؤمنين والكافرين، وأن فقه سنن الله يعطي نتائجه حتى للكافرين، يقول تعالى: {يغلبوا ألفاً من الذين كفروا}، أعقبه بقوله: {بأنهم قوم لا يفقهون}، فهذا

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 156.

(2) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 36.

يدل على تدخل فقه الكافرين أيضًا، كمًا وكيفًا<sup>(1)</sup>، فمن الضروري الفقه لسنن الحياة الدنيا لكل الأديان والأجناس، وأما المسؤولية الاجتماعية، أي: مؤاخذه المجتمع كله<sup>(2)</sup>، فهي واضح في قوله تعالى: {اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} الأنفال: 25.

فالمصيبة تنزل على المجتمع المقصر وتعم أفراداً لم يكونوا مقصرين، وبالمقابل قد يسعد أفراداً مقصرون في المجتمع السليم، فمحاسبة المجتمع في الدنيا جماعية، كما أن المصيبة تعم الجميع، وكذلك النعمة. ويتبين لنا أن الجهد المجدي للبشر، في محاولتهم تغيير المجتمع من الشر إلى الخير منطلقها النفس البشرية<sup>(3)</sup>، فإن كان الفزع العسكري يقتضي السرعة والفزع والخروج للاستبراء للناس، فإن الغارة الثقافية في عصرنا الحالي والفزع الثقافي، تستوجب على أهل العلم والحل والربط أن يكونوا أولى الناس بالخروج إليها، مسرعين راكضين حتى يعودوا إلى الناس بحقيقة الخبر، وبجلاء الفزع هذا؛ لأن المفاجأة في الغزو الثقافي تترك وراءها من الخسائر في الأرواح والعقول، أكثر مما يتركه أي غاز فاتح، فالغزو الثقافي باقٍ على مر الزمن، والبحث في مشكلة تخلف المسلمين وتأخرهم عن ركب الحضارات وحل تلك المشكلة "تخلف المسلمين" لن يتم إلا إذا سيطرنا على سنن تغيير ما بالأنفس أولاً، والتخلص من ذلك الإرث الفكري الثقيل، وتبني ما جاء في القرآن والسنة للتعرف مع الأمم والشعوب الأخرى، وينبغي أن يتغير ما في أنفسهم حتى تتغير أعمالهم، وإذا رأيناهم مترددين في موقفهم تجاه أمر، فإن ذلك يرجع إلى ما بأنفسهم عن هذا الأمر

---

(1) نشار عواد معروف وعصام فارس الخرساني، تفسير الطبري، الأنفال إلى النحل، مرجع سابق، ص 63.

(2) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 39.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 43-44.

من القناعة بعدم جدواه، أو بعدم إمكان الوصول إليه كما يظنون<sup>(1)</sup>.

فلا بد من الاستفادة من هذا الموضوع ونقله إلى المجال العلمي، في كشف سنن تسخيره لحماية الأمة من الوقوع في الأوهام، ولا يظل الموضوع مجرد فكرة في ذهن فرد متوقد؛ لأن هذا يحتاج إلى متخصصين في الموضوع لتثقيق جوانب متعددة لتطبيقه في نطاق النشاط البشري، فالقرآن يعرض لنا نماذج مملوءة بالسنن المرتبطة بواقعنا المعاش، وهذا ما أكده سعيد رمضان البوطي: "إن ثورة اجتماعية توشك أن تعم العالم الإسلامي كله.. إننا لا نشك في هذا لحظة.. بل نراها كما نرى الشمس الساطعة، وسيكون عنوان الثورة "حرية الفكر والضمير"، فإذا لم تحملوا أنتم هذه الرايات وأنتم أحق بها من غيركم فسيحملها غيركم ... ثم يقول: لا تستهينوا أيها السادة بهذه الكلمات فإن الشعوب الإسلامية سائرة إلى هذا المصير وعلى هذه الطريق ولن يثيبها عن ذلك شيء... فاحذروا! احذروا أن تغفلت الرايات من أيديكم"<sup>(2)</sup>.

ومجمل ما قصده البوطي -رحمه الله- أن حماية مجتمع ما، في الحروب والاقتصاد والعقيدة، ليس خاضعاً إلى المصادقة، وإلى أمور ارتجالية، وإنما يخضع إلى موازين دقيقة، مما بالأنفس من الأفكار، التي يمكن أن يُجري عليها الاختصاصيون التعديلات المطلوبة كما وكيفا، ضمن نطاق زمن محدد، بناء على خبرات سابقة من سنّة الأولين أو المعاصرين كل ذلك علم، وكل ذلك سنن، يمكن معرفتها والسيطرة عليها، ولزوم تصحيح الأخطاء فيها، ومسابقة الزمن بذلك، ولكن لن يتمكن من ذلك عقل خائف منغلق، لا علم له بأحداث العالم ولا صلة له بالأمم من حوله،

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

(2) البوطي محمد رمضان سعيد، همسات في أذن قادة الرأي والفكر في ديار الإسلام، مجلة المسلمين، المجلد السابع، (1962)، ص 770.

ولا يعرف من أين تأتيه المصائب، ولا كيف تُدفع، ولا كيف تُعطى المناعات للمجتمعات ضد تلك الأخطار الفكرية، لحماية المجتمع مما يهدده فضلاً عن أن ينشئ لها أجهزة لمراقبة الانحرافات أو تصحيح الأخطاء، على أساس السنن والقواعد التي تخضع إليها المجتمعات<sup>(1)</sup>. فالمعروف أن العقل والسنن المجتمعية يشغلان مكاناً بارزاً في القرآن، قصدًا لا عرضًا، حيث تجد الحديث عنهما مبنوثًا في الآيات القرآنية، سواء في نظر القرآن إلى مظاهر الطبيعة، أو في الاعتبار من الأمم الخالية، وذلك حين يعالج القرآن مشكلة الإنسان من الأمم الخالية، أو حين يعالج القرآن مشكلة الإنسان المتعلقة بموضوع الهداية، والضلال والمرتبطة بحياة الإنسان ومصيره، ومالك بن نبي رد مآل ما سبق للأفكار السلبية المتمخضة عن الأفكار الميتة والقاتلة، مما ينتج كل تلك السلبية عند اتصال المسلم بالثقافات الأخرى<sup>(2)</sup>.

والحديث عن السنن الكونية -سبق أن ذكرنا طرفًا صالحًا منها- وهي سنن المجتمعات، وهي آيات الأنفس: (السنن غير السنن التي تأتي في سياق المجتمعات والأنفس؛ المقصود بالأخيرة؛ القوانين الاجتماعية والكونية...)، التي تظهر في المستقبل جلية: {سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلت: 53، وظهور هذه الآيات في الأفاق والأنفس، سيكون سبباً لبيان أن ما نزل من عند الله هو الحق: {يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} سبأ: 6. وموضوع السنن ربما يمكن تقبله دون صعوبة كبيرة، إلا أن المشكلة مشكلة العقل، وما يعتريه من الركود والتعطيل، تحد من أداء وظيفته وعدم ارتباطه الوظيفي بسنن الكون، هذه الوظيفة هي وظيفة

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 163.

(2) ينظر: مالك بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، ص 131-133.



التسخير، لقد اعتنى القرآن الكريم باستنهاض الهمم، حتى لا يفقد العقل هداة وقوته، في إدراكه لسنن الحوادث وأخذ العبرة منها، وشبه الذين عطّلوا قلوبهم وعقولهم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً<sup>(1)</sup>.

ويضع مالك بن نبي للتخلف والانحطاط نذيره الإلهي بإبراز حقيقة القرآن الكريم كبرهان، وصدق الحقيقة الإلهية في القرآن حين يقرر أن مآل الأشياء والناس والمجتمعات يكون في إطار السنن الإلهية. وهذه الحقائق القرآنية في ظل كل هذا السبات والغفلة وضع لها بن نبي أسساً لكيفية استجابة المجتمعات إلى مرجعية القرآن في بناء حضارة والتخلص من مظاهر التخلف؛ ليكون في المصاف الأولى، والإيمان بأن الله يداول الأيام بين الناس وفي ذلك دعوة للعظة والعبرة. وهذا النهج الذي قال به مالك يتطابق مع النهج القرآني<sup>(2)</sup>؛ إذ يقول تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} آل عمران: 140.

إن مرض المجتمع الإسلامي ليس في عدم وجود المُنظَّماتِ والمخططات، بل في جمود التفكير، فإن كان لا بُدَّ من منظمات ومخططات، فليكن التنظيم والتخطيط، في سبيل رفع القيود والأغلال عن القلوب المُقفلة. فالتنظيم والتخطيط ليسا الهدف، بل هما وسيلة، للتخلص من الأغلال، وقد تُثبَّتْها، أو تزيدها، أو قد تأتي بأسوأ منها، وهو ما لم ندرکه -نحن المسلمين- جلياً، فنظل نبحث عنه في فلك التيه والضلال. وهذا التيه نتاج لبعض الأعراض للمشكلة الأساسية: وهي انفكاك جوهر الإنسان عن وظيفته التي خلقه الله من أجلها، فالمسلمون سيظلون يعالجون

(1) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 164.

(2) ينظر: عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع المسلم، (دمشق: دار الفكر المعاصر، د.ط، 2007م)، ص 52-53.

الأعراض، في حين تظل الأمراض تعشش وتفرخ، دون أن يمسه أحد بشيء<sup>(1)</sup>، ومن يحاول أن يضع يده على المرض، فسينظر إليه بشك وريبة، هذا إن لم يُعلن عليه الحرب، أو سيُقال عنه أنه اتبع غير سبيل المؤمنين<sup>(2)</sup>.

إن هذا الجمود، هو نوعٌ فظيخٌ من الجُود بآيات الله، مستتر في الأعماق، والمشكلة من عند أنفسنا، قال تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل: 118، وهذا التخوف من الفكر وإعماله، والتخوف من الهجمات التي تشن على من يريد أن يتبصر أو يتفكر، سلاح له فعالية في تلك المجتمعات، التي فيها الفكر كسيح، "ولكن تراثاً وثنياً قد تبقى في أعماق الضمير الشعبي، الذي شكلته القرون المليئة بخرافات الدراويش"<sup>(3)</sup>، فلهذا لا نزال نرى الأقلام في رُعبٍ حين الكتابة في هذا الموضوع، خوفاً من الهجمات التي يشنها (الآبائيون)، ويطاردونهم أتباع الآباء من خلال التاريخ، وتُطاردُ مؤلفاتهم أيضاً، سواء كانوا من أتباع الآباء الأولين، أو من أهل السياسة والسلطان، والجميع يعلم أن ابن تيمية مات في سجن القلعة في دمشق ممنوعاً من أدوات الكتابة<sup>(4)</sup>.  
إن ميدان الأفكار اليوم هو أكثر تجمداً في بلدنا<sup>(5)</sup>

يقول تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ؕ أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} المائدة: 104، والشيء الذي يجب أن نصبوا إليه في هذا الموضوع هو أن ترك المجتمع دون رفع مستواه يعرضه؛ لأنه يبقى في مستوى

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 41.

(2) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 54.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 9.

(4) المصدر السابق، ص 156.

(5) مالك بن نبي، من أجل التغيير، ترجمة عمر مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، 4، 2005)، ص 58.

المعتوهين. نعم، قد يكون عتته بعض الأفراد طبيعياً، مع إمكان تقليل عددهم إلى حد أدنى ولكن عتة المجتمع بأكمله ليس طبيعياً، وإنما هو عتة من صنع أيديهم<sup>(1)</sup>. ويرى بن نبي أن معظم مفكري العالم الإسلامي قد لجأوا لجبل جليدي بعيد عن الواقع، ويدعو لثورة ضد كل هذا الانعزال لتلك البطارقة الحردانة لتعود لها الفعالية من جديد<sup>(2)</sup>.

فإذا نزعنا عن هذه الآيات صفة الخصوصية، ونظرنا إليها على أنها مواقف تابعة لما في أنفس القوم الذين شأنهم هذا، نعرف كيف تتشابه دوافع النفوس في اتخاذ مواقف متشابهة، فإذا تجاوزنا هذا المستوى، ونزلنا إلى مستوى العوام من النساء والرجال في تقديس العادات والتقاليد الخرافية الحديثة منها والقديمة، في صورة لا شكل فيها؛ لإمعان الفكر، وتشغيل العقل أو محاكمة البتة- نرى ذلك واضحاً، أو نسمعه كل يوم حين يقولون: (الناس كلهم هكذا)، وهي كلمة تؤيد قوله تعالى: {بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون} الشعراء: 47.

وإن أخطر مرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي<sup>(3)</sup>، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعييل الأول من الصحابة رضي الله عنهم، ويرى مالك بن نبي أن هذه الروح الخلقية هبة إلهيه جاءت بها الأديان السماوية، ولا بد من تفعيل دورها، وهو إقامة علاقات اجتماعية بين الأفراد على وفق منهج اجتماعي، نجده في قوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۗ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} الأنفال: 63، والألفة تأتي من التعايش والتواصل والحوار، فمالك بن نبي أدى دوراً أيقظ

(1) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص 193.

(2) ينظر: مالك بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 58.

(3) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، المرجع السابق، ص 197-200.

المسلمين من السبات بتبني الإسلام كي يفرغه لدوره الاجتماعي في مستقبل العالم، وذكر في كتاباته كثيرًا من النماذج الفعالة للرجل الصالح، وجعل فيه المسلم، مثل: عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري، جنبًا إلى جنب مع غير المسلم بشمول إنساني جلي بتبني روحانية العمل، فذكر بن نبي "مهاتما غاندي" رجل اللاعنف "وماوتسي تونغ ولينين"... إلخ، في إشارة واضحة إلى روحانية الإسلام كمؤسس لأي نشاط إنساني فعّال<sup>(1)</sup>.

ولكي يعود الإسلام إلى تعاليمه في القرآن والسنة يدعو مالك إلى فقه العالمية، فقد كان الرجل الوحيد الذي ارتفع فوق وجعه من الاستعمار، ودعا إلى مواجهة المشكلة بحوار الآخر، ودعا إلى لغة سلام عالمي، تطوى فيها لغة العنف، ووضع هذه الفكرة في إطار سلام عالمي يستوعب خطيئة الاستعمار؛ انطلاقًا من مفهوم التسامح في مستوى عالمي؛ ليسود التناغم والوفاق بين الغرب والشرق، وصولًا إلى مستوى حضاري لائق، ودون هذا التلاقي الذي يُعيد إلى الإنسان إنسانيته لتجاوز كل العقبات لن يكون للسلام مستقبل على هذه الأرض<sup>(2)</sup>.

وأرى -هنا- أن الاهتمام بمالك بن نبي، هو رغبتنا في المساهمة بالتعريف بفكره ومدرسته، في فقه الحضارة والحوار والصراع أو التدافع الحضاري، وليس القصد منه التمجيدية الفارغة، أو الإمعة البليدة، أو الانحباس عنده، والإصرار على التغاضي عن نواقص تجربته، وإنما إنصاف لنهجه وأفكاره؛ لتمكين أجيال الأمة من الاستفادة من تجربته في استكمال حلقات الرشد القوية فيها، وتجاوز كل حلقات الضعف والقصور، للسير في طريق النهضة الحضارية الإسلامية العالمية

---

(1) ينظر: عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع المسلم، مرجع سابق، ص 61.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 72-74.

الإنسانية الكونية، التي لا تتوقف عند شخص أو جماعة أو حزب أو قطر أو جيل، ولا تتوقف على أي منها منفردة، بل هي مسار حضاري بنائي تراكمي تكاملي ومتواصل مع الآخر، يساهم في تأصيله وتفعيل حركته ومنجزاته، فقضية الحضارة دورية ولا ضير في ذلك **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** آل عمران: 140، فحوار الحضارات مبنوث في معاني القرآن الكريم وتحتاج إلى البحث والتنقيب.

وهناك وقفة نقدية على ما سبق، وهي أن مالك بن نبي قدم الجديد في مجال تفسير القرآن، فقد أشار إلى توسيع معاني القرآن الكريم ليشمل جوانب الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، لكنه من جهة أخرى أشار إلى منهج المفسرين، الذي يبدو أنه لم يكن راضيًا عنه؛ لأنه يرى أنه منهجه لا يغوص في عمق الضمير الإنساني، الذي يهتم بجوانب فكره وسلوكه، بل حتى التفاسير في معظمها خالية من المنهجية التي تعم المدارس العربية معتمدة على التفكير الديكارتية، وكأن العلم والثقافة في وادٍ والتفاسير الدينية في وادٍ آخر بدليل ما أضحى عليه العالم الإسلامي خارج حضارته لما بعد الموحدين، رغم شعار الإصلاح . فهو يؤكد أنه لا يوجد تفاسير تأخذ بعين الاعتبار قضايا المجتمعات الإسلامية بتبني علم الاجتماع، ويشير إلى أن الفقهاء ليسوا مرجعًا في تفسير آيات القرآن ذات الأحكام الفقهية المتوسعة للإيمان والروحانيات افتقدتا التواصل الاجتماعي، فانسحبت من العالم<sup>(1)</sup>. ومع ذلك لقد أحيا مالك بن نبي الحقيقة القرآنية في ظل السبات الطويل في المجتمعات الإسلامية، وفي أثناء ذلك يوضح بن نبي استجابة المجتمع الإسلامي إلى مرجعية القرآن الكريم في بناء الحضارة من جديد، ويحرر المسلمين من تخلف بعد الموحدين؛ ليطير بهم عاليًا فوق القمم بحسب السنن الإلهية لتعيش

---

(1) ينظر: عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع المسلم، مرجع سابق، ص56-57، 61 بتصرف.

الأرواح الكبيرة بسلام في ظل الإسلام، وليفرغهم لدورهم المحوري في هذا العالم<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> المرجع السابق، بتصرف بسيط.

## المطلب الثاني: دور الثقافة في حوار الحضارات

استطاع مالك بن نبي أن يبلور نظرية في الثقافة، وظل يلفت النظر إلى نظريته تلك، فقد كان أول كتاب له تحدث فيه عن الثقافة، هو كتاب (شروط النهضة)، الصادر باللغة الفرنسية في باريس عام (1949م)، وكتابه الذي خصص محتواه لهذه القضية وهو كتاب (مشكلة الثقافة)، الصادر باللغة العربية في القاهرة عام (1959م)، وهكذا فقد تحدث عنها كثيراً من خلال المحاضرات التي ألقاها في القاهرة ودمشق وطرابلس وفي الجزائر بعد الاستقلال، فهو يعرف الثقافة بأنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي، في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"<sup>(1)</sup>، و"الثقافة كل ما يظل عالماً في الذهن عندما ننسى كل ما تعلمناه على مقاعد الدراسة والجامعات"<sup>(2)</sup>.

وكان تعريف بن نبي للثقافة مرادفاً لما يسمى اليوم "الصناعة"، مع العلم أن لفظة الثقافة لم تستعمل في اللغة العربية بدليل خلو معظم الكتابات العربية منها<sup>(3)</sup>، وقد حاول بن نبي أن يعالج مشكلة الثقافة من ناحيتين، هما: التحليل النفسي للثقافة<sup>(4)</sup>، والتركيب النفسي للثقافة<sup>(5)</sup>، وكان حديث بن نبي عن التحليل النفسي للثقافة بقصد تعميق التمايز الثقافي بين المجتمع المسلم والمجتمع الغربي، ولهذا فقد عني مالك بن نبي كثيراً بمناقشة الأفكار من جميع التيارات والمذاهب، مثل: رواد الفكر الليبرالي ورواد الفكر الاشتراكي، أما منهجه في بناء الشخصية الإسلامية فيرتبط بالثقافة

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 83.

(2) مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 92.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 94.

(4) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 17.

(5) ينظر: المصدر السابق، ص 59.

أكثر من ارتباطه بالعلم<sup>(1)</sup>؛ فالثقافة صعيد من الفكر بعيد عن الدروس الملقنة في المدارس<sup>(2)</sup>،  
و"أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة"<sup>(3)</sup>.

ويعد مالك بن نبي جميع العلاقات السائدة بين الناس، علاقات ثقافية، أي: أنها خاضعة  
إلى أصول ثقافة معينة، ويرى أن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد ويشكل طباعه  
وشخصيته<sup>(4)</sup> وعلى هذا الأساس لا بد أن تُبنى ثقافة قابلة للبقاء، يتشارك فيه العالم وتساهم في  
تطوير الإنسانية وتقاربه؛ انطلاقاً مما يملكه المسلمون وما عند غيرهم من مستحدث، فلا شيء  
يمكن أن يغني عن التثقيف أو المثاقفة، وهذا يلزم المجتمع الإسلامي بمرحلة تربية الثقافة لإنسان  
ما بعد الموحدين، بحيث يكون هناك وعي وإرادة جماعية؛ ولهذا ففكرة التوازي التي يعتنقها الصفوة  
الملتزمون هي مهمة لتأسيس تقاليد ثقافية جديدة؛ تكون منتجة ومنعشة<sup>(5)</sup>، ومن الضروري المسيرة  
الخارجية والإبقاء على الاتصال العالمي بشكل مستمر، والعمل على ترقيته، فمستحيل لثقافة منعزلة  
ومنطوية على نفسها أن تستمر وتبقى<sup>(6)</sup>؛ فالتفكير المحلي وحده قد أنتج ثقافة، ولكن دون إبداع،  
فكانت مجرد ترديد للتراث دون نقد أو تجديد، والعكس صحيح، فمحاولة بلوغ العالمية دون تأمل  
المحلية يؤدي إلى تبني التبعية والتقليد، فبقدر ما يكون هناك توطد بين المحلي والخارجي يكون  
عندها التفاعل إيجابياً، وتظهر ثقافة جديدة ومتجددة، لها معالم متميزة، فمن الضروري بالنسبة إلى

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 82.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 93.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق ص 101.

(4) المصدر السابق، ص 74.

(5) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 87. بتصرف بسيط.

(6) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 64.



المجتمع المسلم أن يتخلص من النفسية الانعزالية الموروثة، التي أنتجت قرونًا من الانحطاط، ولا بد من أن يثبتوا حضورهم، ولا سيما الطبقة المثقفة في البلاد بتعايش ثقافي مع الشعوب الأخرى<sup>(1)</sup>، وأنه يمكن للثقافة أن تتضمن الترفيه والتسلية، وليست الثقافة العلم فحسب، فالثقافة هي التي تحقق للأفراد الانسجام مع الأديان الأخرى من منطلق {لكم دينكم ولي دين}<sup>(2)</sup>، لكن ما هو مفهوم التعايش الثقافي الذي ينشده بن نبي؟

### أولاً: مفهوم التعايش الثقافي:

جرى الكثير من الحديث حول الحضارة والتواصل الحضاري كبديل للهيمنة والصراع، لكن القليل من توصلوا إلى أن التواصل الحضاري هو في الحقيقة تربية ثقافية، ومنهم: مالك بن نبي، ولذلك فأبي تواصل حضاري مرتبط بحوار ثقافي يرتبط بمدى القيام بتلك المهمة على أكمل وجه في هذا العالم، التي تقاربت بينه المسافات وكثرت فيه المبادلات، ويلزم فيه الوصول إلى احترام متبادل لتفعيل قيم الحوار الحضاري، وكذلك القيم الثقافية؛ انطلاقاً من احترام الآخر عقدياً وثقافياً<sup>(3)</sup>، ولا بد أن تبنى له قواعد حضارية لمد جسور التواصل الحضاري المرتبط بالوعي الجماعي، فالإنسان بطبعه كائن ثقافي وحضاري، تمتد دائرته الثقافية لأبعد من حدوده الجغرافية، التي تتجلى فيها رسالته الإنسانية، والصلة وثيقة بين الثقافة والحضارة، وإن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة<sup>(4)</sup>؛ لأن الحضارة عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية، والثقافة بدورها تمنحنا قيماً جمالية في تحقيق الأساس الخُلقي، وهو أساس التعامل في

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 95-105 بتصرف.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 109.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 115.

(4) المصدر السابق، ص 101.

المجتمعات الذي يحقق وجودها الدين أو عقيدة ترشد سلوك الفرد وتحدد وظيفته<sup>(1)</sup>.

فالتواصل الحضاري أساسه الوعي الحضاري بالالتفاف حول الهوية الحضارية والانفتاح على الآخر في وقت واحد، ولا يمكن لهذا التواصل أن يتم إلا بالتربية الثقافية المصاحبة لأنشطة الفرد الاجتماعية والثقافية الحياتية<sup>(2)</sup>، على أن تكون التربية هي المؤسسة للحوار والتواصل الحضاري<sup>(3)</sup>، ومن خلال قراءتنا للإشكاليات الحضارية والثقافية التي أوردها مالك بن نبي كاهتمامه بالشخصية الإسلامية وبتقافتها وعوامل تحضرها ونهوضها ومقومات نكوصها ومقومات الحضارة الكامنة في تراثه وثقافته، فقد ركز فيها على الذات المسلمة، وكيفية تفاعلها مع الآخر، الذي يختلف معه عقديًا وثقافيًا، وسعيه الدائم إلى كيفية بناء الهوية الحضارية، وهو أبرز ما دعا إليه في مؤلفاته. وهذا يتحقق من خلال النماذج التاريخية المتمثلة في الحضارة الإسلامية والآسيوية، وهو ما يؤكد أن مالك بن نبي هو أحد المفكرين البارزين لفكرة الحوار الحضاري والثقافي في العصر الحديث.

ويتضح من ذلك أن نظرية مالك بن نبي عن الثقافة هي: عبارة عن تركيب لمجموعة من القيم المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد أو حتى بين المجتمعات المختلفة<sup>(4)</sup>، وغاية ما في ذلك بناء إنسان الحضارة والشعوب المتحضرة والتواصل مع الآخر، والرهان الأساسي لتحقيق هذه النظرية يتحقق من خلال الوسائل التعليمية والتنقيفية، وهو الأمر الذي يعُده صعبًا؛ لأن التواصل والحوار مع الآخر يحتاج إلى تركيب ثقافي بين كل أفراد تلك المجتمعات المختلفة في وسائلها الثقافية، وأن

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 110-111.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 138.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 77.

(4) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 82-87.

على المسلم المثقف أن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية، ويدرك جيدًا دوره ودور ثقافته ضمن إطار عالمي<sup>(1)</sup>، وهذا إن تحقق فهو يُفضي إلى التعايش والتواصل الحضاريين.

ويظهر في كتابات مالك بن نبي طيف الآخر المختلف ثقافةً وفكرًا، فالمجتمع المسلم من خلال اهتمامه بذاته الحضارية سيصل إلى أن الحوار بين الذات والآخر سوف ترسم معالمها الحضارية والتواصلية من خلال تلك الجدلية الفاعلة؛ لأن التواصل الحقيقي يبدأ حين تقدم الذات الثقافية والحضارية؛ فيؤدي إلى تواصل حضاري مشترك فعّال، ومن دون بناء الذات الحضارية يكون الحوار منقوصًا ونتائجه سلبية، فالتعايش الثقافي التاريخي الفعّال هو من يصور الثقافة في أبهى صورها؛ إذ يؤكد مالك فشل أي تواصل أو تعايش مع الآخر إن لم تُشكل الثقافة داخليًا أولًا، أي: في شكلها الأولي، ولكي يكتسي التعايش الفعلي ثوبه الحضاري يلزمه قيم ثقافية مشتركة، فالحضارة في تحققها التام ما هي إلا الثقافة في صورة تحققها؛ فالتواصل ضروري في تصور بن نبي مع المجتمعات الأخرى، سواء التي تشترك معها في بعض القيم الثقافية أو حتى التي تختلف معها في القيم الثقافية الأساسية<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من تأكيد بن نبي على أهمية التعايش، فإنه لا ينفي وجود مشكلات التعايش الثقافي، فقد أشار مالك بن نبي إلى ما أسماه الأزمة الثقافية، التي لا تحدث بين طرفين فقط، ولكنها تحدث داخل الحدود الجغرافية لأي بلد؛ مما تؤدي إلى عدم قدرة ذلك البلد على مواجهة مشكلات الحوار، وهذا كله يُعرّضه لمشكلات نفسية وامتهان لكرامته، ومثل على ذلك بما تمر به الجزائر آنذاك (في نهاية الستينيات)، من مشكلات أمنية على حدودها وهجرة الأفارقة غير الشرعية،

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 116.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 100-101.

وهذا يُظهر ضرورة التعايش مع الآخر في عالم تسيطر فيه التكنولوجيا على معظم الفضاء، الذي فرض وجود الآخرين<sup>(1)</sup> بجوارنا وداخل حدودنا. كما ميز مالك بن نبي بين الحدود الجغرافية لثقافة مجتمع ما والتبادلات التي تحدث بفعل الأحداث التاريخية، وميّز ذلك عن التعايش الثقافي المرتبط بإرادة إنسانية<sup>(2)</sup>، ففكرة الثقافة تبرز أكثر بفعل الأحداث الإنسانية؛ إذ يقول: " فالثقافة تتحد أخلاقياً وتاريخياً داخل تخطيط عالمي؛ لأنّ المنابع التي سوف تستجيب لها، والأعمال التي سوف تقوم بها، لا تستطيع هذه كلها أن تجتمع في أرض الوطن"<sup>(3)</sup>.

ويرى بعض المؤرخين أن نهضة أوروبا في القرن السادس عشر هي تركيبٌ حققه زمن وأحداث بين الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية ( الغربية) والحروب الصليبية، التي كانت قد بدأت شرارتها على الحدود؛ فالثقافات دارُ أمانها واستقرارها في مواطنها الحضارية، ولكن هناك أحداثاً تنتج عنها بشكل عام في ما يسمى بـ(المنطقة الحرام) على الحدود، مثل: البوذية على الحدود بين ثقافة الهند وثقافة الصين، فتحليل العناصر الثقافية الإشعاعية كان يحصل بفعل عوامل الطبيعة، ولكن الإنسان تدخل في هذا فقام بتوجيه التحليل نحو أهداف معينة، فحين أنشئت منظمة اليونسكو كان هدف الإنسان السيطرة من نوع جديد؛ لإحداث تكامل بين العناصر الثقافية وإيجاد ثقافة إنسانية موحّدة على المدى البعيد<sup>(4)</sup>. ولذلك يرى مالك بن نبي أن الذين نادوا بمؤتمر "باندونغ" عام (1955م)، لم يقوموا بذلك من أجل تبني حلول لمشكلات الثقافة، لكن الأحداث فرضت عليهم توجّهاً معيّنًا، مما جعلتهم يتجهون إلى تحقيق برنامج ثقافي بين المجتمعات الآسيوية والأفريقية،

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 94.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 97-98.

(3) المصدر نفسه، ص 121.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 98.

فحظ الأحداث في التأثير أكثر بكثير من حظ الإنسان؛ لأن المتتبع لاجتماعات الأفرو آسيوية خلال ثلاث سنوات ظلّ يلاحظ ما يصدر عنها من بيانات تخلو من أيّ تركيب ثقافي جديد رغم روعتها، فلا يزال الأشخاص يتحدثون عن بلدانهم؛ فالعربي يتحدث عن بلده، والهندي يتحدث عن الهند... إلخ<sup>(1)</sup>.

فالمسلم ملزم بالنظر إلى الأشياء من زاوية إنسانية؛ ليتمكن من معرفة دور ثقافته في إطار العالمية، وليس بالضرورة أن تكون هذه الأشياء مادية، فالجوانب الأخلاقية تقي بالغرض، بدليل أن "غاندي" لم يكن مجاله صاروخًا أو آلات ومصانع ذات مستوى عالمي، وإنما كان ضميرًا رحبًا يحمل السلام للعالم كله، فقد استطاع هذا الضمير أن يوصله إلى العالمية بمبدأ اللاعنّف، فهيبة الأمم أحيانًا كثيرة تكون بما تتبناه من أفكار؛ وبانسجام تلك الأفكار مع مرحلة الإنسانية التي تمر بها، فإنها عندئذٍ تُؤتي ثمارها<sup>(2)</sup>.

نلاحظ مما سبق أن مالك بن نبي ربما وقع في نفس ما وقع فيه ابن خلدون، الذي عمم أفكاره وتصوره بناء على الأحداث والوقائع التي دارت في عصره، فقد عمم ما وصلنا إليه على كل القرارات التاريخية وعلى كل الأمم، إلا أن مالك بن نبي استعمل كلمة الحضارة بدلًا عن كلمة الدولة في نظريته. وبذلك فالحضارة في حقيقتها مجموعة من القيم الثقافية المحققة، ومصير الإنسان مرهون بثقافته<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 97-99.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 117، 116.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 101.

## ثانياً: دور الثقافة في الحوار الحضاري العالمي عند بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن لعامل الثقافة في فعالية الحوار الحضاري العالمي دوراً محورياً، ولهذا تحتل الثقافة في مشروعه الحضاري مساحة كبيرة؛ إذ تؤدي إلى حل مشكلات الحضارة. كما يرى أن الثقافة موضوعٌ مهم يجب على المثقفين والمفكرين أن يشتغلوا به إن أرادوا السعي إلى نهوض حضاري حقيقي؛ ولذلك فإن أي فشل يسجله المجتمع في هذا الباب، هو تعبير حقيقي قد يصل إلى درجة الأزمة الثقافية لهذا المجتمع؛ ولذلك يرى مالك بن نبي أن الثقافة عبارة عن "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، ويصبح عنده لا شعورياً، وهي العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب حياته في وسطه الذي يعيش فيه"<sup>(1)</sup>. فالتعريف يوضح أن محيط الشخص هو المؤثر الأقوى في طباعه وسلوكه؛ مما يعكس حضارةً معينة، ويوضح حدود الشخص المتحضر التي يتحرك فيها؛ ولذلك فإنه لا بد من اندماج لهذه المعطيات لتكون كياناً واحداً.

كما يتضح من تعريف مالك بن نبي للثقافة دور الفكرة الدينية؛ إذ إن لها دوراً ريادياً في البعث الحضاري، فالرابطة الدينية في اعتقاد بن نبي هي من أنتجت مظاهر الحضارة الغربية؛ بل إن عبادة الديانة المسيحية هي من قدمت الحضارة الغربية<sup>(2)</sup>، وأدخلتها التاريخ؛ فالدين هو الأخلاق والقيم السامية وهو قوة الأمة الروحية وأساس نهوضها وتقدمها، فالقيم الأخلاقية ثابتة مستقرة، منبثقة عن الرؤية الإيمانية، وتكتسب موضوعية في ميدان العلاقات الاجتماعية، كما أنها تُسهم

---

(1) المصدر نفسه، ص 74.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 47-50. بتصرف بسيط.

في الدفع الحضاري، وتتأثر حركة الحضارة سلبيًا وإيجابيًا بثبات القيم الروحية والأخلاقية<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم مما يعتقد الكثيرون من أن الحضارة الغربية ونهضتها لم تحدث إلا بفصل الدين عن الدولة، فقد شخّص مالك بن نبي العلة الحقيقية، وكيف تأثرت المادة بالفكرة فصنعت الحضارة، وتلك الفكرة المرتبطة بروابط دينية أساسًا لأي حضارة، وتعبير آخر فإن عالم الأشخاص لا يمكن أن يكون له دورٌ فعال إلا إذا انضم إلى كيان اجتماعي؛ حيث يرى أن الفرد وحده لا يمكن أن يقدّم شيئاً، وأن عليه أن ينظر إلى الأشياء نظرةً إنسانية شاملة؛ ليعرف دوره ومكانته في إطار مجتمعي، ومن ثم الإطار العالمي، وأن يعي أن عالم الأفكار وعالم الأشخاص لا يمكن أن يكونا مؤثريين في الحضارة إلا بتحول تلك الأجزاء إلى وحدة متكاملة، فالانعزال يجعل الفرد غير مدرك للثقافة، ومن بواعث الحوار الحضاري الانفتاح على العالمية؛ لتفعيل الحركة الاتصالية للتآلف والتعارف الحضاري، ومفهوم الحضارة يشمل أرقى أنواع الثقافة، التي حققت الإنجازات الفكرية والمادية في المستوى الإنساني العام، فالثقافة هي الإطار المعنوي للحضارة، وكل تخطيط حضاري لا بد أن يستند إلى محيطه الثقافي وتراثه التاريخي، فالحضارة ثمرة للثقافة التي تقوم عليها، ولا بد للأمة صاحبة الرسالة أن تؤمن بها<sup>(2)</sup>.

ويقول مالك في هذا السياق: " فالضمير الإنساني الذي لم يألف العمل على حدود الثقافة تسيطر عليه جاذبية مزمنة تحمله على رؤية الأشياء من زاوية ضيقة"<sup>(3)</sup>، وهذه النظرة تجعله ينفر من أي تواصل حضاري أو ممارسة أي دور حضاري وثقافي وإنساني، فوجب على المجتمع المسلم

---

(1) سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، نفس المرجع السابق، ص 140-141.

(2) ينظر: ابن كوسه دليلة، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية كلية العلوم (الجزائر: جامعة الجزائر 3، 2010)، ص 67.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 99.

أن يتخلص من الموروثات التي تحت على الانحطاط وتدعو إلى الانعزال<sup>(1)</sup>، وأن يُثبت المجتمع المسلم وجوده في المحافل الدولية؛ على ألا يغفل دور القيم في التفاعل الثقافي الإنساني وتقبل الآخر لتأسيس بناء ثقافي، يؤدي إلى حضارة جديدة تحت مظلة إنسانية، وأن نتخلص من سلبيات الماضي؛ فالحضارة أصبحت هدفاً للثقافة الغربية وعملاً مقصوداً، وتُمثّل في الفن والسياسة والاقتصاد، والنموذج الغربي في محور واشنطن - موسكو في توجه للتوحد بين الأطراف المختلفة في المشكلات العلمية والاجتماعية والعقلية رغم كل التوترات السياسية، ولكن التبادل الثقافي قوي في نطاق علاقة حضارية موحدة، وترجم ذلك بمؤتمرات ولقاءات في مؤتمر جنيف<sup>(2)</sup>، فالتبادلات الثقافية لا يجب أن تمثل فرق العروض الاستعراضية والتراثية الفنية فحسب، بل يجب التأسيس لحضارة مشتركة والخروج من الإطار الثقافي الضيق إلى معنى إنساني حضاري رحب<sup>(3)</sup>؛ وليصبح ذلك الهدف وظيفة اجتماعية للإنسان، يستعمل لذلك ذكاه وإرادته، وهذه الذاتية الجديدة قد عملت على توسيع مجال حقل الحضارة، حين مدّته من نطاقه المحلي القومي والعنصري إلى نطاق العالمية الإنساني<sup>(4)</sup>، والعالم الإسلامي أولى بإحياء الحضارة ومد جذور الثقافة إلى نطاق عالمي يجمع كل الثقافات والحضارات.

### ثالثاً: رؤية مالك للحضارة الغربية:

عندما نتحدث عن الحضارة الغربية فإننا نعني بها مجموعة الاعتقادات والعادات السائدة في أوروبا في جزء من أراضي الكرة الأرضية، التي يسكنها سكان من أصل أوروبي أو ما يمكن

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 248.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 101.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 101-102.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 118. بتصرف بسيط..



تسميته بالعالم المسيحي؛ فهي البلدان التي شملتها النهضة الصناعية؛ فالغرب هو أوروبا الممتدة من اليونان بعاداتها وتقاليدها وقيمها المسيحية، أولت وأعيد صياغتها بعمليات متوالية، بداية بعصر النهضة وامتدادا إلى عصور الحداثة الكبرى بكل التقنيات الحديثة، ويمكن أن يطلق عليه العالم المسيحي<sup>(1)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن هناك أسبابا دعت إلى تناول الحضارة الغربية بحكم احتكاكه بالعالم الغربي بصرف النظر عن طريقة هذا الاحتكاك<sup>(2)</sup>؛ فيرى أن الكثيرين لا يزالون يجهلون تاريخ الغرب الحضاري، وكيف تكوّن<sup>(3)</sup> ويرى أن الحضارة الغربية في طريقها إلى الهاوية وإلى التحلل؛ لأنها فقدت روحها، وطغت المادة والعلم على حساب القيم، وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف، والروح والمادة، وبين الغاية والسبب، فأينما اختل هذا التعادل في جانب أو في آخر ستكون السقطة رهيبة فاضحة<sup>(4)</sup>.

ويشير إلى أن الحضارة الغربية بمثابة درسٍ للتعرف على مصير كثيرٍ من الحضارات والشعوب، ومعرفة أسباب الإخفاقات؛ ليدرك من خلالها أسباب نهضته وأسباب مشكلاته الحضارية<sup>(5)</sup>. والعالم الغربي رغم قوته الاقتصادية والصناعية غير قادر على حل المشكلات التي

---

(1) ينظر: راندال جون هرمان، تكوين العقل الحديث، ترجمة: جورج طعمه، تحقيق: حسنين هيكل، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013)، ج1، ص 41.

(2) ينظر: عبد الرزاق عماد الدين إبراهيم، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 45-

46.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص44.

(4) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص168-169.

(5) ينظر: المصدر السابق، ص 122.

تهدد العالم، التي أفرزها الجشع الغربي من تلوث وظلم وأمّية وحروب أهلية<sup>(1)</sup>.

كما أدرك العالم الإسلامي أن الظواهر الأوروبية هي نسبية، فوجب عليه أن يتعرف بأوجه النقص؛ ليتمكن من إقامة المبادلات مع العالم الغربي والتعامل معه، انطلاقاً من الإنسانية وليس التعامل معه كعدو مستعمر<sup>(2)</sup>، فهناك إيجابيات في الحضارة الغربية؛ إذ استطاعت بمنتجاتها في كل بقاع الأرض أن تجعل من حضاراتها عالمية وأوصلت المستوى الإنساني إلى مستوى العالمية، وهذا يتجلى في السياسة وفي النشاط العقلي والمظاهر الفنية والاجتماعية، فحتى مظاهر السلوك وأساليب التفكير صارت متقاربة بين محوري واشنطن وموسكو وجاكرتا-وطنجة<sup>(3)</sup>.

وقد سادت المفاهيم والممارسات الغربية؛ إذ ظهرت في العلم، وفي كل مجالات المعرفة، وفي المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي؛ فالحضارة الغربية قربت المسافات بين الشعوب بظهور وسائل التواصل التكنولوجية والمواصلات حتى أصبح مصير الإنسانية واحداً، وصارت هناك مشاكل وهموم مشتركة، وأنماط الحكم متقاربة، وحتى النمط الاستهلاكي صار غربياً بجدارة في الزي والأكل والشرب، وباختصار تمكنت الحضارة الغربية من (أمركة العالم)<sup>(4)</sup>. وهو ما أعده بعضهم هيمنة، في حين أن بن نبي يؤكد أن الحضارة الغربية تحاول أن تصدر نموذجها إلى الشعوب الأخرى، لكنه ينظر إلى الموضوع من زاوية اجتماعية، فالإنسان ارتبط بدوائر عالمية أكبر، ولا يمكن لبلد أن يبني مشروعاً اجتماعياً أو التفكير في تغيير حضاري، دون الأخذ بالحسبان

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص168.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص123.

(3) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 260-259.

(4) ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص40.

العامل الخارجي، أي: الإنساني<sup>(1)</sup>، ومبرراته التي جعلته "يؤمن بعالمية الحضارة الغربية، هي مبررات واقعية من منظور اجتماعي؛ حيث يرصد الظاهرة في حركتها وتأثيرها في التاريخ.. ولعل من المبررات التي جعلته يتبنى هذا التحليل السوسيولوجي (الاجتماعي) عدة مظاهر، منها: النظر إلى الحضارة الغربية من زاوية حضورها العالمي وانتشار المفاهيم الغربية في العالم كله"<sup>(2)</sup>.

**سلبيات عالمية الحضارة الغربية:** يتضح مما سبق أن الشعوب قد استفادت من مظاهر الحضارة الغربية العالمية، ولكن هذا لا يعني أن جميع ما في الحضارة الغربية إيجابي، فهناك مظاهر يمكن وصفها بالشريرة، وأبرزها الاستعمار، الذي شمل كل شعوب المعمورة، لا سيما الضعيفة منها خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولا يزال هناك استعمار للعالم الإسلامي، لا سيما في عصرنا هذا كاحتلال (العراق وأفغانستان وسوريا وجميع الدول المستعمرة بشكل خفي أو علني).

إن ظاهرة الاستعمار الغربي للبلدان المسالمة كان من أجل توفير مصادر الطاقة، وتوفير المناجم والأسواق، فقد كانت لأهداف مادية ومصالح استعمارية؛ بعيداً عن الجوانب الروحية والإنسانية؛ إذ انهارت القيم الاجتماعية مع تضاعف أطماع الاستعمار وسيادة قانون الغاب أو قانون القوة، ويقول مالك بن نبي: "إن أوروبا حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم.. ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروح عليها ويرفقه عنها، ويسندها في وقت المحن؛ لأنه يربطها بوجود الله... فحضارة القرن العشرين أفقدت أو أتلفت قداسة الوجود في النفوس وفي

---

(1) ابن الحسن بدران بن مسعود، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة، (قطر: سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 73، ط1، 2000)، ص 112.

(2) المرجع السابق، ص 113.

الثقافة وفي الضمائر، فقد أتلقت القداسة؛ لأنها اعتبرت شيئاً تافهاً لا حاجة لها به؛ حيث أُلجأت كل شيء لقانون ديكارت الكم<sup>(1)</sup>، وبذلك فإن أوروبا لفظت كل ما هو مقدس في سلة المهملات، وكانت القداسة للأشياء بقدر ما تراكمت الأشياء، " وبقدر ما تراكمت الإمكانيات الحضارية تضمنحل القاعدة الأخلاقية الروحية المعنوية، التي تتحمل في كل مجتمع عبء الأثقال الاجتماعية والأثقال المادية"<sup>(2)</sup>. ويمكن فهم الموقف الأوروبي إزاء الإنسانية بصفة عامة من خلال الفتوحات الاستعمارية والحروب الصليبية، التي "ركز الاستعمار على محاربة الوازع الديني عند المسلمين وإضعافه؛ ليتحكم فيهم أكثر من الناحية المادية بعدما أضعفهم فكرياً ودينيًا، فقد فرض الرقابة على الحياة الدينية، ولم ينجح في ذلك "إلا لعلمه أن الدين وحده هو الوسيلة النهائية لتصحيح أخلاق الشعب، الذي فقد في غمار أزمة تاريخه كلّ هم أخلاقي، وإذا كنا نجد اليوم شيئاً يدوي في جوانب النفس الإسلامية، فيردها قادرة على تغيير ذاتها، والتخلي عن جمودها، فلن يكون هذا الشيء سوى الإسلام، ولذلك لم تنزل هذه القوة العابثة تنتهجم على الإسلام، بفرض كل أنواع القيود وأشكال الرقابات، حتى أصبح ميسورًا اليوم في المجتمعات الإسلامية أن تفتح ناديًا للميسر أو مقهى، أكثر من أن تفتح مركزًا لتحفيظ القرآن، وأعجب من ذلك أن تجد الإدارة هي التي تعين رجال الدين كالمفتي والإمام، لا طبقاً لمشيئة جماعة المسلمين، بل تبعاً لهوى المستعمرين"<sup>(3)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن أوروبا التي كانت تريد السيطرة على العالم عن طريق القوة انقلب عليها سحرها وأصبحت مقيدة بتلك القوة، فالعلم والضمير اللذان كانا سبباً في تقدم أوروبا، هما

---

(1) مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 177.

(2) المصدر السابق، ص 178.

(3) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 116.

من جعلها تعيش في تناقض وانفصام بين علمها وضميرها، فالعلم يدفعها إلى التوحد مع الإنسانية، في حين أن ضميرها يختلف عن علمها المتطور<sup>(1)</sup>. وهنا يتضح أن "إرادة القوة التي لا تفارق حضارة القرن العشرين، هي قانون للنفسية الغربية، قانون يسجل التأخر الخلفي لإنسان الغرب، حتى كأنه يعيش في القرن التاسع عشر، فأوروبا المدفوعة بصناعاتها في العالم قد انتكست بأخلاقها إلى قاعدة الانطلاق الفكري الذي انطلق منها الاستعمار، فهي تعود دائماً إلى العنصرية وإلى احتقار الإنسانية"<sup>(2)</sup>.

كما يرى أن عالمية الحضارة الغربية يغيب عنها البعد الإنساني الحقيقي، ولهذا يمكن أن نحكم عليها بأنها متركزة حول ذاتها، وتتعامل مع غيرها من شعوب العالم كأطراف دون فعالية، وتبرز في هذا الشأن وصية بن نبي للإنسانية جمعاء، وللإنسان الأفريقي الآسيوي بشكل عام، وللإنسان المسلم بشكل خاص، وهي وصية تتمثل في أن "الرجل الأفرو آسيوي يجب أن يغزو ميدان المواطنة العالمية في عالم كان يعيش فيه منبوذاً تحت ضغط الاستعمار والقابلية للاستعمار، ولكن في مقابل هذا التوقع لا يصح أن نترك أوروبا تتطوي على محورها أو تتسحب من العالم لتراوغ الإنسانية التي لم تعد تسيطر عليها، بل يجب أن نبين لها أن أمنها لا يصدر عن القوة، وإنما يصدر عن تطور وعيها ليتسع لوجود الآخرين"<sup>(3)</sup>.

ويؤكد أن الحضارة الغربية تسير على خطأ الحضارة الإسلامية وإن كان هناك اختلافٌ فهو بسيط؛ إذ يوافق توينبي في قوله: "إن الحضارة تولد مرتين؛ فأما الأولى فميلاد الفكرة، وأما

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 124-125.

(2) مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 37، 38.

(3) المصدر السابق، ص 270.

الثانية فهي تسجيل هذه الفكرة في نفوس أتباعها، وذلك بدخولها في أحداث التاريخ<sup>(1)</sup>، " فالحضارة الإسلامية جمعت المولدين معاً؛ لأنه خلا لها الجو للتمكن من النفس العربية العذراء، أما الحضارة المسيحية فقد نشأت في خليط من الثقافات والديانات الرومانية والعبرية واليونانية، فلم يتح لها ذلك الوصول إلى قلوب أتباعها إلا عندما بلغت وسط البداوة الجرمانية في أواسط أوروبا"<sup>(2)</sup>. فمالك بن نبي يرى أن المجتمع الغربي ينهار ويتحلل، وقد استطاعت المسيحية أن تتلقفه وتبني مجتمعاً جديداً، يتمثل في مجتمع الغرب بصورته الحالية؛ فهو يرى أن الفكرة المسيحية هي من أنقذت النسق الغربي من الفوضى والاندثار وأدخلته التاريخ العالمي، فلملمت شعثها في إطار وحدة واحدة عبّرت عن صورة الغرب اليوم وحضارته<sup>(3)</sup>.

ويؤيد -أيضاً- أفكار كسرلنج في تخطيطه التحليلي بقوله: "ولقد يبدو في أفكار كسرلنج ما يمهده بتخطيط تحليلي للواقعة المسيحية، نستطيع أن ندرج في نطاقه الواقعة الإسلامية، وذلك لما فيها من وجوه التماثل البيولوجية التاريخية المعينة، التي تضع الحضارة في كلتا الواقعتين في حالات تطورية متشابهة"<sup>(4)</sup>.

ويرى أن للدين النصراني أثراً في تركيب الحضارة الغربية، ويظهر في الجانب الخلقي الذي انتزع المجتمع الغربي من البدائية والهمجية والفوضى، ثم كان للنزعة النفعية دور في جعل الأخلاق ذات بعد نفعي مادي، وأدى هذا فيما بعد إلى الاستعمار واستعباد العالم الثالث، ثم تسخير العقل لتنظيم ضروب نشاطه تنظيمًا علميًا (ديكارت)، مما أدى إلى التقدم الصناعي وازدهار أوروبا

---

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 55.

(2) المصدر السابق، ص 55.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 89.

(4) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 65.

وتطورها<sup>(1)</sup>.

وهنا يمكن أن نقدم نقدًا موجزًا لرأي مالك بن نبي؛ وهو أن القول بأن الحضارة الإسلامية سجلت فكرة الإسلام في نفوس أصحابها، ويمثلها سلوكًا وقيماً؛ الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام، وكذلك من جاء بعدهم، فإن هذا يعود إلى قوة التعاليم الإسلامية، فالحضارة الإسلامية نتاج لفكرة دينية قوية في كل الجوانب، فقد غيرت من حياة العرب التي واجهت الدعوة تحديات جسيمة لعقول لم تألف إلا ما توارثته عن الآباء والأجداد؛ فحقق الإسلام نقلة نوعية حينما تشربته قلوبهم، وأدرسته عقولهم، وليس السبب أن الجو كان خاليًا للإسلام ليفرض نفسه كما ذكر الأستاذ مالك. أما المسيحية فلم يكن لها منهج قويم أو مقومات تمكّنها من الدخول في مسرح التاريخ، بوصفها بناءً حضاريًا له مفاهيمه وأسسها، وهي أسس لأي حضارة، كما أن فكرة أن العرب في الجزيرة كان جهلهم مطبقًا هي فكرة ليست منصفة، فالعرب أهل الفصاحة والشعر والفراسة والبلاغة والمنطق، وهم أصحاب حكمة وكانت لهم بعض الإسهامات الثقافية كالشعر والرفادة والسقاية، وأسواق عكاظ خير شاهد على ذلك وغيرها.

إن الحضارات نشأت بفعل الفكرة الدينية، ويرى مالك بن نبي أن تأثير المسيحية بصفتها عاملاً مركباً للحضارة الغربية<sup>(2)</sup>، وفي المقابل الكل يعرف الصراع الذي دار بين العلم والدين في عصور الظلام، ولم تتشكل الحضارة الغربية إلا باختلاف وتباين بين مذاهبها، فقد خرجت الحضارة الأوروبية عن مسارات الحضارة ودورها رغم ما حصل لها من ازدهار، مؤذنة بقرب تدهور حضارة الغرب وزوالها؛ ولذلك يرى مالك بن نبي أن الحضارة الغربية قد انحرفت في مرحلة من المراحل،

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 125-127.

(2) ينظر: مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 201.

فبدل أن تقوم بهداية البشرية قامت باتخاذ مشعل الحضارة فتيلاً يحرق بدل أن يضيء، وتمثل هذا الإحراق في المستعمرات والاستعمار؛ حتى وصل وهج هذا الإحراق إلى أوروبا نفسها، وانتشار الفوضى في أراضيها متمثلاً في الحرب العالمية؛ فقد كان الطفل الأوروبي يولد وهو مهياً للاستعمار، وأُخضع العالم للاستعمار، ولذلك تُعد مقولة أن الغرب واحدية هي مقولة خاطئة<sup>(1)</sup>.

ويتضح لي من خلال قراءة رؤية مالك بن نبي للحضارة الغربية، أن هناك تناقضاً، فقد ذكر أن الحضارة (كل الحضارات) تمر بدورة حضارية في مراحلها الثلاث: النشوء والارتقاء والأفول، والنتيجة هي حتمية تاريخية تبعا لتلك الدورة، ثم يعود في مؤلفاته وينكر أن الحضارة الغربية قد تحررت من الدورة الحضارية، وأصبحت خالدة بفضل تقدمها الصناعي، فقد أصبحت حضارة عالمية، ثم يعود ليتحدث في موضوعات أخر عن أن الحضارة الأوروبية الغربية تمر بفوضى، وأنها أردت على مثلها الأخلاقية، وأن العالم الغربي اقتربت قيامته، مع اعتقاده بأنها إحدى التجارب الحضارية الإنسانية الكبرى التي لا يمكن إغفالها وتجاهلها<sup>(2)</sup>، وأنها قد شارفت على الانهيار والأفول<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: وجهة العالم الاسلامي، ص 130-131. بتصرف بسيط.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 165-169.

(3) ينظر: أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 428-430.



### المطلب الثالث: نماذج واقعية في الحوار الحضاري عند مالك بن نبي

يفرض مفهوم حوار الحضارات في عالم اليوم نفسه وبقوة؛ بحكم الاختلافات والتباين بين الأمم والشعوب، ولعل أهم حدث جعله ضرورياً؛ هو أحداث (11) سبتمبر، الذي جعل المسلمين في نظر معظم دول العالم مصدر تهديد عالميٍّ فضلاً عن أن يكون تهديداً غربياً، وجعل الكثير يظن بأن نبوءة هنتنجتون قد بدأت تباشرها في التحقق في صراع الحضارات، وظهر دعاة ينادون بعبادة الإسلام والمسلمين، وأنهم العقبة التي تقف في وجه تطلعات الغرب وأهدافهم المستقبلية، و"المشكلة الأساسية بالنسبة إلى الغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، أفرادها مقتنعون بسمو ثقافتهم ومهووسون بضعف قوتهم"<sup>(1)</sup>. وفي ظل كل هذا التداخيات فُرض على المسلمين الدفاع عن أنفسهم لكي يثبتوا أنهم أصحاب سلام، وينبذون العنف، وينادون بالحوار مع الآخر والتعايش معه، أيًا كان عرقه أو دينه؛ لأن الإسلام هو دين الوسطية والشمول والعالمية، فالصراع مهما كانت مبرراته هو شيء عارض عن التاريخ الإنساني، ودائماً تظهر قوى الخير لتغلب قوى الشر وتنتصر عليها، وأصبح حوار الحضارات رمزاً لقوى الخير ومصدراً لسلام والتعايش في وقتنا الحالي، الذي تتقاذفه العولمة وأمواجها العاتية؛ وتؤجج خلالها فكرة الصراع الحضاري، الذي أصبح كابوساً مرعباً يهدد الدول والشعوب، فالحوار فرضته الأوضاع برغم كل المعوقات التي لم تستطع أن تخفي تطلعات الشعوب وآمالها للوصول إلى منطق الحوار العالمي، ووجب فتح مسارات الحوار الحضاري مع الغرب؛ لتصحيح الأخطاء وفتح آفاق فرص التعاون والتكامل للتواصل والتعايش من أجل الاستقرار والأمن العالمي<sup>(2)</sup>.

(1) صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 188-190.

(2) ينظر: نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مرجع سابق، ص 57-60.

وهذا ما نادى به مالك بن نبي، ذلك المفكر؛ إنساني الروح بفكره؛ عالمي الأبعاد، فقد نادى إلى نهضة العالم الإسلامي بناء على فكرته الدينية وخصوصيته العقدية، مدركًا تمامًا أنه لا يمكن للمسلم أن يعزل نفسه في عالم زالت الحدود بينه وبين الآخرين؛ فلا بد من أن ينخرط المسلم في عالم اليوم، الذي يبدو غربي الملامح، وهو بحكم تجربته في الغرب كان من أوائل من نادوا بالحوار مع الغرب مع إدراكه لمكامن السلبيات والإيجابيات، التي تمكن المسلم أن يكون فعالاً بدوره العالمي دون أن ينسلخ عن هويته وثقافته<sup>(1)</sup>. فكيف ينظر مالك بن نبي إلى حوار الشرق من الغرب؟

### أولاً: حوار الشرق والغرب من الصراع إلى الحوار:

قامت دراسات كثيرة في السنوات الأخيرة من القرن العشرين تتحدث عن علاقة الشرق بالغرب، وكيف سيكون مستقبل هذه العلاقة في ظل صراع الحضارات الذي تبناه بعض مفكري الغرب في دراساتهم؟ ومن هذه الدراسات جاءت نظرية "هنتجتون" بكل ما فيها من كراهية وعنصرية تجاه الحضارات الأخرى، لا سيما الإسلامية منها؛ إذ يرى أنها تقف موقف المتحدي النابع من التنامي السكاني والتعبئة الاجتماعية متمثلة بالصحة السياسية والثقافية والاجتماعية، مما ولد شعورًا بالتفوق على الغرب<sup>(2)</sup>. ويصنف هنتجتون طبيعة هذه العلاقة القائمة بين الغرب والحضارات الأخرى، ومنها الإسلام إلى ثلاث تصنيفات، وهي: **الحضارات المتحدية**: وتشمل الحضارة الإسلامية والصينية، **الحضارات المتأرجحة**: وهي الحضارة الروسية واليابانية والهندوسية، و**الحضارات الضعيفة**: وهي حضارات أمريكا اللاتينية وأفريقيا<sup>(3)</sup>. ويرى أن الخطورة تكمن في

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 55-56.

(2) ينظر: صامويل هنتجتون، **صدام الحضارات إعادة النظام العالمي**، مرجع سابق، ص 169-170.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 75-79.

الإسلام كله وليست الأصولية الإسلامية؛ لأن أصحاب الحضارة الإسلامية -بحسب ما يرى- معترفون بحضارتهم وسموها ويرون الآخرين أعداء لهم<sup>(1)</sup>، وبهذا هو يجعل الدين والتاريخ سببي الصراع الحضاري، متناسياً تماماً أن أكثر الصراعات التي دارت عبر التاريخ قد حصلت ضمن حضارته وبين الطوائف المسيحية نفسها، ووصف العالم الإسلامي بالحدود الدموية بالرغم من أن التاريخ يشهد بما حصده الحروب العالمية لأرواح ملايين البشر إبان الحرب العالمية الأولى والثانية، التي كانت بين دول الغرب، ويقول: إن أكثر الصراعات انتشاراً والأكثر خطورة هي بين الهويات الثقافية، وليس كما يظن البعض بأنها صراعات اقتصادية بسبب الطبقات الاجتماعية<sup>(2)</sup>.

والصورة العدائية للإسلام مع الغرب لم يصنعها "هنتجتون" وأستاذه برناد لويس من قبله فحسب، بل تبني هذه الفكرة كثير من المستشرقين، الذين كان هدفهم أن يحول دون تسرب مبادئ القرآن إلى الشعوب الغربية، فتؤثر على مصداقية التوراة والإنجيل عندهم، ومن جهة أخرى إضعاف مكانة القرآن في قلوب أتباعه، وهذا ما أكده "وليام إيوارت جلاستون" حين قال: "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا يمكن أن تكون في أمان"<sup>(3)</sup>.

وكل هذا لا ينفي أنه كان هناك تواصل حضاري بين الشرق والغرب في المراحل التاريخية؛ عن طريق الحرب، وأحياناً عن طريق الاتصال الحضاري؛ وساهم في تكوين علاقات ثقافية وسياسية وفكرية وحتى تجارية عن طريق التجار المسلمين، فالشرق شديد الحضور في الغرب منذ وصل المسلمون إلى صقلية والأندلس، ثم وصولهم إلى حدود فرنسا، فتركوا بصمات لا تمحى

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 295-296.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 415-416.

(3) نصري أحمد، آراء المستشرقين في القرآن الكريم، (المغرب: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009)، ص2.

وتاريخاً لا زال شامخاً حتى يومنا هذا، أما الحروب الصليبية فقد كانت فرصة للتواصل بين الغرب والشرق؛ إذ اكتشف الغرب ما كان عليه الشرق من تمدن وتطور في الثقافة الإسلامية، وعرفوا أن هناك مسيحية شرقية وغربية<sup>(1)</sup>.

فالتواصل الفكري مع الآخر والحوار الحضاري يعمل على ربط جسور التفاهم وعالم اليوم مهما كانت حضارته متباينة، فلا بد أن يكون عالماً متعاوناً، ينبذ الصراع ويسعى إلى الاعتراف بالآخر وحقوقه، فالحاجة إلى حوار الحضارات أصبحت ملحة وواجبة لتوحيد الشعوب في كل المجالات، وأن يستند حوار الحضارات لمعايير بعيدة عن القوة والهيمنة؛ فالحضارات تتعرض للانهايار والزوال حينما تكون الحرب خيارها، والدفاع عن الحوار هو دفاع عن القيم الحضارية للإنسانية جمعاء، والشعوب والحضارات لن تستمر وتتواصل إلا بالحوار ولا حل سواه<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: موقف مالك بن نبي من حوار المسلمين مع الغرب:

يتضح لنا مما سبق أن نظرة الغرب للإسلام والمسلمين تتفاوت وتتباين، وكذلك موضوع الدعوة إلى الحوار مع المسلمين، فتجد الغرب ينقسمون إلى مؤيد ورافض لأي تفاهم أو تواصل مع المسلمين، كل بحسب خلفيته وفكره، والأمر نفسه في العالم الإسلامي فهناك مؤيدون وهناك رافضون تماماً، فالمؤيدون يقبلون بالحوار مع الغرب العلماني المسيحي مجازفة ومخاطرة على الدين وعلى الهوية الإسلامية؛ لأنه لا تكافؤ بين الطرفين؛ فالغرب هو الأقوى والمتسلط علينا، وقبول الحوار معه هو في نظرهم خيانة ومؤامرة ضد المسلمين والإسلام، ومن المؤيدين المفكر مالك بن نبي الذي يرى في الحوار سنة من سنن الإسلام، وهذا يعكس إيجابية المسلمين في

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 18-19.

(2) ينظر: نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مرجع سابق، ص 59-60.

التسامح والتعايش، فالحوار فرصة للمسلمين للتعرف على الغرب، ومعرفة نقاط قوتهم وضعفهم لتلافيها في مسيرتنا الحضارية، إضافة إلى ذلك ما يمثله حوار الحضارات مع الآخر من ترسيخ الإسلام وتعزيزه، وإيصال معانيه السامية، حتى لا يظل منعزلاً بعيداً عن الأحداث ومجرياتها، فالإسلام دين عالمي للبشرية جمعاء<sup>(1)</sup>، وقد قامت مؤلفات مالك بن نبي بمحاولة ربط جسور التواصل والتفاهم والمعاملة الحسنة بين العالم الإسلامي والغربي. وقد استطاع مالك بن نبي أن يتبنى رؤية حضارية راقية للدفع بعجلة الحوار مع العالم الغربي وكل الأمم الأخرى، دون تقييد بالعقيدة ولا بالهوية، ودون غض الطرف عن سلبيات الآخر.

### ثالثاً: حوار المسلم مع الآخر غير الغربي:

يرى مالك بن نبي في هذا المجال أن رسالة المسلم رسالة عامة بحسب ما اختاره الله له، فالإسلام له دور مركزي في العالم الحديث بعد أن تركت الحضارة الغربية فراغاً روحياً؛ فمحت التكوينات الأخلاقية والتقليدية، وأن يكون الإسلام هو الحل لتكوين حضارة آسيوية؛ لتساهم في طريقها بتكوين حضارة أشمل، وهي حضارة عالمية، وهو دور الإسلام في عصرنا الحديث، فقد محت الحضارة المعاصرة التكوينات الأخلاقية والأوضاع التقليدية، وتركت فراغاً هائلاً؛ ولذا يجب أن نبني أولاً مجتمعاً يكون في مستوى عالمية الرسالة أولاً، ثم في مستوى البشر الذين نبلغهم<sup>(2)</sup>؛ لتكون حضارة عالمية تتبنى الحوار الحضاري، على ألا يكون حواراً أحادياً مع الغالب فقط، بل حواراً عالمياً تحت مظلة الإنسانية؛ لأننا بالحوار مع الغرب الرأسمالي فقط نقزّم من دور الحوار الحضاري الذي لا بد من إقامته مع كل الأمم والشعوب والحضارات الأخرى؛ لأن الاستعمار -

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 60-61.

(2) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مرجع سابق، ص 70-71.

في نظره- يسعى إلى عزل الشعوب المستعمرة عن المجتمعات الأخرى وإظهارهم بمظهر برابرة ووحوش؛ لتعلن حالة الطوارئ ضد كل ما هو إسلامي<sup>(1)</sup>.

كما يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي يجب أن يقوم بحوار حضاري مع الشعوب الأخرى، مثل: الصين، فقد تكلم كثيرًا على المجتمعات الصينية والحوار مع أفريقيا ومع الهند، وألا نسلم عقولنا إلى مركزية الغرب الرأسمالي في الطبيعة وفي التاريخ وفي العالم، وأن نتجاوزهم إلى غيرهم، وبذلك تتحقق شمولية الرسالة الإسلامية، فتستوعب العالم كله بجميع طوائفه، فيجد الأفريقي فيه حاجته، كما يجدها الآسيوي والأمريكي والأوروبي، وكل من يعيش على هذه الأرض؛ إذ إن الحوار الأفريقي الآسيوي يحقق ازدواجًا جغرافيًا وسياسيًا، وإمكانية تعايش جديد يحمل شروطًا أخلاقية بعيدًا عن منطق القوة والحرب<sup>(2)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن ارتباط الشعوب الحضاري ببناء حضارة، لا بد له من أن يغير العالم الإسلامي نفسه أولاً، ثم يسعى إلى تغيير العالم، ويتحقق ذلك بمعرفة الآخرين دون تعال ولا نقصان ولا تجاهل أحد؛ ليحصلوا على مؤيدات القدوة الحضارية بالإمكان الحضاري وتفعيل الإرادة الحضارية؛ ليسد المسلم الفراغ الروحي عند كل الشعوب الأخرى، فالقوة السياسية لا يُعتد بها لدخول التاريخ، ومصير الشعوب مرتبط بالمجتمعات المتحضرة<sup>(3)</sup>.

ولقد خص الله المسلمين بتبليغ الرسالة الإسلامية في إطار عالمي، وتغاديًا للهيمنة على

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ترجمة: عمر مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، د.ط، 1981م)، ص 42-45.

(2) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 58-59.

(3) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 70-74.

الآخر؛ فقد ميز الله الإسلام عن غيره بمقومات التعايش مع الحفاظ على الخصوصية الدينية والثقافية، انطلاقاً من مبدأ {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (1)، فالإسلام هو نواة لتحقيق الأمن الإنساني الشامل للبشرية جمعاء، ونتيجة لطبيعة العصر الذي نمر به فقد وقعت تغييرات جذرية؛ حيث إن الإنسانية بشقيها المتقدم والمتخلف يعانون أزمة إنسانية خطيرة، فالواجب على المسلم أن يقوم بواجبه لإنفاذ الإنسانية المتورطة في الضياع برغم علمها وكبرائها وقدرتها التكنولوجية، وأن رسالة المسلم يلزمها الإقناع والافتناع، فرسالة المسلم عالمية لكل الشعوب غربية وغيرها، والزامية تبليغها على المسلمين، وهذا لن يتسنى إلا بالحوار والتواصل الذي يحقق الإقناع بالإسلام وبمبادئه وقيمه (2).

والأهم قبل ذلك الافتناع؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن لمسلم لم يقتنع برسالته أن يبلغها، ومعظم الشكوك التي ساورت الآخرين تجاه المسلمين كان بسبب رسالتهم وليس عقيدتهم؛ ولا تدرك رسالة المسلم إلا من خلال المنطق العملي بأن يلمسوا ذلك، ففضيلة المسلم وأخلاقه وعزته تظل محجوبة عن الآخرين، فالمسلم جاهل وقليل الحيلة من خلال المظاهر الاجتماعية؛ فالقيام بواجباته تجاه الآخرين بجميع توجهاتهم وعقائدهم وفي كل محيط المسلم العالمي (3)، يجب أن تكون من أولويات المسلم وبتبناها خلقاً وخلقاً اجتماعياً. ومنهج تبليغ الرسالة يلزم تغيير ما في النفوس؛ إذ يجب عليه أن يعرف نفسه أولاً، وأن يعرف الآخرين دون تعال أو تجاوز لأي منهم، ومعرفة نفوس الآخرين لاتقاء شرهم وهدايتهم، ويعرفهم نفسه بعيداً عن كل الرواسب والخلفيات

---

(1) الكافرون: 5.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 185-186.

(3) ينظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط4، 2000)، ص 269-270.

الموروثة؛ ليستطيع أن يوصل إشعاع حضارته ورسالته الإسلامية الدعوية دون حواجز؛ فيتاح له تبليغ الإسلام<sup>(1)</sup>.

ويتضح لي من خلال ما سبق أن مالك بن نبي توهم عندما دعا إلى دمج الإنسانية في المجتمع العالمي؛ لأن العالم دخل في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلب مشكلاته، إلا على أساس نظام الأفكار، وهذا المفهوم اللإنسانية هو مفهوم وهمي، ربما يوصل إلى محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع أو أمة، فإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان، فلا بأس أن يستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم، أما أن يتم توحيد العالم في مجتمع واحد، فهذا مفهوم مجرد أكثر منه واقعي، فإذا كان مالك بن نبي يرى أن فكرة الأفرو آسيوية صعبة التحقق، وهي على نطاق ضيق، فكيف ستتحقق وحدة العالم!؟

#### رابعًا: الحوار وتجربة حياة مالك بن نبي:

كان سفر مالك بن نبي لباريس بداية للتعرف على روح الحضارة الغربية ومن خلالها تعرف على الوجه الثقافي للغرب، والوجه التقني التكنولوجي لحضارة الغرب؛ فتوصل من خلالها لغربة ابن المستعمرات عن منجزات حضارة الغرب وعمق تلك الحضارة في فاعلية بنائها لشبكة العلاقات الاجتماعية؛ إذ خرج بتجربة ثرية عن الغرب وطريقة تفكيرهم، فعرفهم بنفسه وتعرف عليهم عن قرب، بطريقة المعاينة والمعايشة والمعاملة، فأعطاهم صورة للإسلام الذي انتهجه سلوكًا وعملاً في أثناء حياته في فرنسا بحضور شخصيات مختلفة وأعراق متعددة وديانات كثيرة، وقد أتاح ولوج بن نبي في الاطار المسيحي الحضاري الموازنة بين حضارتين: حضارة خرجت من التاريخ، فتركت الأجيال في هوة استطاع أن يقيس عمقها بمقياس تقدم حضارة الغرب وما كانت توحى به باريس من انطباعات

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 183-186.



ارتسمت على شاشته<sup>(1)</sup>، وقد كان بن نبي يطرح الأسئلة الكثيرة في كل ما يشهده، وهو بذلك كان يختلف عن كل الطلاب الذي حضروا باريس لنيل اللقب العلمي، فباريس في تصوره تمسك بالجيل الصاعد من البلاد الإسلامية والعربية، فكانت فرصته للإحاطة بفكر الشباب القادم من شمال أفريقيا والقادم من الشرق وتوجيههم بما يتفق والخروج من قيود القابلية للاستعمار<sup>(2)</sup>.

وهناك تجارب أخرى مر بها مالك بن نبي في أثناء حياته في فرنسا ولقائه بشخصيات مرموقة؛ مفكرين ومستشرقين ودعاة، شكّلت لديه رؤية أسهمت في تطوّر تصوّره وفكره، بالإضافة إلى ما اكتسبه في طفولته من دراسة في المدرسة الفرنسية. وكل معاناته مع المحتل الفرنسي في بلده؛ هي عوامل كثيرة مكّنته من صياغة فكره وتوجهه نحو التفاعل مع فكرة الحوار الحضاري الإنساني، الذي لا يمكن أن ينجح إلا إذا توفّر له شرط أساسي وجوهري ألا وهو شرط الثقافة، وهذا ما تحدث عنه مالك بن نبي كثيرا في مؤلفاته<sup>(3)</sup>.

وشكّلت تلك الثقافة رؤية إيجابية في تصور ابن نبي من خلال تجاربه التي عاشها هناك بحلولها ومرها، متمثلة في كل ما تربى عليه واكتسبه، ابتداء من معاناته مع الاستعمار، إلى سفره إلى فرنسا، فقد خلع القناع عن وجهه الاستعماري. وعلى الرغم من معاناته النفسية، بسبب كشفه لأسرار الصراع الفكري الرامي إلى تعطيل المشروع الحضاري الإسلامي، أنصف مالك الغرب في تفكيره وتوجهه؛ حيث لم ينكر دوره الفعال وإسهامه الضخم في البحث العلمي، وتوفير أسباب الراحة المادية للبشرية، ولم ير مانعا من التفاهم مع الغرب، وتنظيم علاقات معه تكون قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم المشترك.

---

(1) عمر مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 106، 107.

(2) المرجع السابق، ص 108.

(3) ينظر: نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مرجع سابق، ص 61.

## المطلب الرابع: الشهود الحضاري، وصور الغرب في فكر مالك بن نبي

### أولاً: معنى الشهود الحضاري للمسلم:

تفيد مادة شهد معاني العلم والبيان والحضور والتبليغ، ومن حيث النظم تفيد الشهادة على الناس، وهي بمعنى المناعة والنفاسة والعزة؛ لأنها علة للوسطية، والوسطية تتضمن تلك المعاني كما وضحها المفسرون<sup>(1)</sup>. وشهادة الأمة الإسلامية على الناس تعني أن تكون قائمة بتبليغ الناس بحقيقة الكون شهادة وغيباً ومبلغاً للناس كافة وشهادة على الناس، ويتحقق بتوفر شروط التحضر الإسلامي وخلافته في الأرض فإذا ما تخلفت أو تخلف بعضها فإن هذا سيؤدي إلى تخلف الخلافة والشهود الحضاري<sup>(2)</sup>.

ركّز مالك بن نبي على دور المسلم الحضاري من خلال منهج القرآن وهو اختيار المسلم من بين الأمم لأداء الرسالة الإسلامية، ومن ضمنها الدور الحضاري، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: 134، ففي الآية إشارة واضحة إلى أن الله تعالى حدّد دور المسلم بشكل عام في إيصال رسالة الإسلام؛ وخطورة هذا الدور تبرز من قيمته في التغيير والإصلاح، وتحديد مصائر الأمم الدنيوية والدينية، وكأن الله جعل دور المسلم مؤجلاً حتى تنتهي جميع التجارب السابقة الفاشلة؛ ليستطيع تلافي أخطائهم؛ ليتيسر له أن يسير في اتجاه التاريخ، ويستغل الفرص التي تهيأت له، فيبدأ بإنشاء الداخل وبنائه، ثم الاتصال والامتداد إلى الخارج. وبمعنى آخر: أن يبلغ الإسلام. ولن يستطيع فعل ذلك ما لم يقدم

---

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الكتاب الأول، (تونس، الدار التونسية للنشر، ج2، 1984م)، ص20-22.

(2) ينظر النجار عبد المجيد عمر، فقه التحضر الإسلامي الشهود الحضاري للأمة الإسلامية النادي الشبابي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006م)، ص6-10.

المبررات لحاجتهم إليه، وتعريفهم بقيم الإسلام حتى يستطيع أن يصل إلى هضاب الحضارة المتعطشة فيروبوها بنهره الممتد في التاريخ. ولن يستطيع المسلم القيام بهذا الدور العالمي الحضاري إلا إذا رفع مستواه الحضاري ليرقى به إلى حضارة جديدة تمتاز بقداسة ربانية، فيصبح واعياً لقيمة شهوده الحضاري بالتقى والورع، وأن يكون إنساناً معاصراً يأخذ بزمام التقدم والتطور، فيحقق البعد الروحي؛ وهو بعد السماء، والبعد الأرضي، وهو بعد التقدم المادي، والأخذ بأسباب الخلافة والعمارة<sup>(1)</sup>.

والواقع أن المسلم هو الشاهد في أساسه الماضي والحاضر في عالم الآخر؛ ولهذا فالمسلم يلزمه أن يكون على اتصال بذوات بشرية كثيرة ويعانق أكبر مدى ممكن، على أن تعانق شهادته أقصى حد ممكن من الوقائع والأحداث، وأن يكون حضوره إيجابياً ومؤثراً في أعمال الآخرين، والعمل على أن يكون فعالاً في مجريات الأحداث ومحاولة ردها باتجاه الخير الإنساني<sup>(2)</sup>. كما أن دور المسلم مزدوج يفرض عليه التوفيق بين الحياة الروحية والمادية في نفسه، ودوره في مصير البشرية لكي يثبت وجوده ويسهم في التقدم العالمي؛ فيبدأ بمعرفة نفسه وتقويمها، ومن ثم معرفة الآخرين وتقويم قيمهم الإنسانية<sup>(3)</sup>.

والإنسانية بشطريها المتحضر وغير المتحضر تعاني أزمة حضارية في الثلث الأخير من هذا القرن، ورسالة المسلم تتمثل في الإنقاذ، وهناك سؤال يتبادر إلى الذهن كيف لمسلم لا يكاد يجد لقمة عيشه أن ينقذ الآخرين؟ والإجابة تكون بأن المسلمين في عهد الرسول وصحابته كانوا

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، مصدر سابق، ص 35-40، بتصرف بسيط.

(2) ينظر: مالك بن نبي، فكرة كومونيلث إسلامي، مصدر سابق، ص 72-73.

(3) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 155-156، بتصرف بسيط.

يشعرون أمام الإمكانيات البيزنطية والفارسية بإرادة حضارية قوية منقطعة النظير؛ ولذلك يمكن للمسلم أن يقوم بما قام به أجداده على أن يحقق شرطين، هما: الاقتناع والإقناع؛ فالاقتناع هو أن يقتنع بدوره الريادي في رسالته السماوية، وإقناع الآخرين بأن يعرف نفسه وأن يعرف الآخرين، فيعرف الآخرين بنفسه ليعرفوا ما لديه، ومعرفة الآخرين تجنبه شرهم وخططهم ضده، فلو ظل الناس مجهولين وصناديق مغلقة؛ فكيف سيوصلون الإسلام وتعاليمه وإنقاذ الإنسانية إلى مستوى حضاري جديد يستظل به الجميع<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: صور الغرب في فكر مالك بن نبي:

لقد تعددت مواقف مالك بن نبي بتعدد رؤيته للغرب؛ ومنها فكرة فصل العلم عن الضمير في بعض توجهات الفكر الغربي<sup>(2)</sup>، ولذلك فإن حكمتنا لا يقتصر على بن نبي وإنما الحكم بالإطلاق على كل من اتصف ببعض من توجهات الفكر الغربي، فمن اتصف بها فلا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون مصدرًا أو قدوة يُحتذى به في أثناء الانطلاق الحضاري، وهذا لا يعني أن هذا هو موقفه عمومًا من الغرب، أو أنه لم يتقبل من الغرب أفكارًا وعلومًا، بل تتوّعت مواقفه وتصوراتته تجاهه، وقد اتضح هذا في مؤلفاته؛ إذ نجد نماذج متعددة للغرب؛ يمكن أن نجملها في ثلاثة أنواع:

**(1) الغرب المستعمر:** وهو أسوأ الوجوه وأكثرها خبثًا التي عرفت الإنسانية بشكل عام، وعرفها المسلمون بشكل خاص، وقد أطلق عليها بن نبي مصطلح "الشیطان"، وهو يقول في تعريفه لهذا النوع: "فالاستعمار يُعد في نظر كل مسلم الشيطان، وما ينبغي أن نضيفه للاستعمار

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 180-186، 181.

(2) ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 166.

فوراً هو أن الاستعمار نفسه يعلم ذلك جيداً...<sup>(1)</sup>، فهو يرى فيه جماعة إبليس؛ لأن إرادة الاستعمار وضعت الإنسان في خانة الأشياء. ووصفُ مالك بن نبي للغرب الاستعماري بهذا الصفات نتاج لمعايشته لهم، فقد كان الاستعمار حاضرًا في حياته الاجتماعية والعملية، والشاهد على ذلك ما يقوله: "ولست أدين فيما أقدم هنا من آراء تخطئ أو تصيب، ولكن أدين إلى وقائع محددة شاهدها بنفسي، وسجلتها تجربتي الاجتماعية"<sup>(2)</sup>. وهو يشير إلى فلسفة الإنسان في الغرب؛ فهو يرى أن الفلسفة الغربية لا تزال رهينة تعابير ومصطلحات عنصرية؛ لا تسمح لفكره أن يتصور أن الإنسان واحد على وجه الأرض، فهناك كلمات ومصطلحات؛ مثل: الرجل الأسود والجلد الأحمر والأهلي، وهذه كلمات لعينات من البشر ينظرون إليه نظرة دونية، وعبارات أخرى تُضفي على الجنسيات ألقابًا تكاد تكون دارجة؛ مثل: العربي غير المكتثر، والصيني الغامض<sup>(3)</sup>.

كما يبيّن مالك بن نبي موقف الغرب إزاء الإنسانية بصفة عامة وهو يتربص بها الدوائر ويحاول امتلاكها والتسلط عليها، عندما تسنح له الفرصة بالبدء بفتوحاتهم الاستعمارية الصليبية<sup>(4)</sup>، ولا زالت المسميات العنصرية حتى يومنا هذا؛ فالعالم الإسلامي هو دول العالم الثالث والدول النامية وغيرها. وكلما تقدم الغرب في المجال العلمي، زادت الشُّقة بين العلم والضمير، فهو قد حقق وحدة العالم من الناحية المادية بسبب التقدم العلمي، ولكن بمنطق القوة والرغبة في استعباد البشرية، واستغلالها إلى التناقض مع ما حققته من ناحية التقدم العلمي، فهو بضميره المتخلف

---

(1) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 123. المصدر السابق، ص 67.

(2) مالك بن نبي، في مهبط المعركة، مصدر سابق، ص 123.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 162.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 160.

حاول إعادة العالم إلى وضعه في القرن التاسع عشر<sup>(1)</sup>.

(2) **الغرب المستشرق:** اهتم الكتاب والمفكرون الغربيون بفكر المسلمين وحضارتهم؛ مما أثار

انتباه مالك بن نبي بشكل كبير<sup>(2)</sup>، فقد ذهب إلى أن للمستشرقين القدماء تأثيراً في تفكير العالم

الغربي دون أن يكون لهم تأثير على أفكار العالم الإسلامي، بدليل أن ما كتبه تبناه الغرب

في النهضة الأوروبية، وتحركت حوله الأفكار، في حين أنه لا وجود لتأثيرهم في مرحلة رجال

النهضة في العالم الإسلامي البتة، والعجيب أن نرى كثيراً من الشباب المسلم يتلقون ثقافتهم

الدينية من المتخصصين الأوروبيين؛ فالدراسات الإسلامية تبناها كبار المستشرقين، وبلغ

الأمر إلى درجة فائقة الخطورة؛ في أن يكون أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر

فرنسيًا، فمعظم الدراسات الإسلامية في أوروبا تكتب بأقلام كبار المستشرقين، ولكن لك أن

تتصور كيف ستكون النتائج إذا كانوا هم من يحركون الاتجاه الفكري في البلدان الإسلامية

الحديثة، والخطورة تكمن في أن هؤلاء يحضرون دراسات في الدكتوراه التي يقدمونها في

جامعة السوربون، وهم أساتذة اللغة العربية وباعثو نهضة الإسلام، في حين أنهم يصرون

على ترديد أفكار أساتذتهم الغربيين<sup>(3)</sup>.

وكان الغرب الاستشراقي في فكر مالك بن نبي دائماً موضع تأثير سلبي في واقع نهضة

المسلمين، وقد انقسم المستشرقون الغربيون إلى قسمين في تصوره: قسم المحدثين وقسم القدامى؛

فالمُحدَثون انقسموا إلى قسمين، منهم من مدح الثقافة الإسلامية ومنهم من ذمها؛ أما القداماء فهم

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 37.

(2) ينظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 167.

(3) ينظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، مصدر سابق ص 54.

من لا دخل لهم في نسيج الأفكار الإسلامية؛ وهم الذين يقول عنهم مالك بن نبي: "فمن الواضح أن المستشرقين القدامى أثروا في مجرى الأفكار في العالم الغربي، ولا يوجد لهم أيُّ تأثير على أفكارنا في العالم الإسلامي"<sup>(1)</sup>.

كما يرى أن الفئات الحديثة القادحة كان لها تأثيرٌ في أفكار المسلمين إما كان لدى المسلمين من استعداد لتلقّي هذا التأثير وتفنيده، وبشكل أوضح يقول بن نبي: "على فرض أنه مسّ ثقافتنا إلى حدِّ ما؛ إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا، إما كان في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائيًا لمواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاعات الفطرية"<sup>(2)</sup>.

وأما عن الفئة المادحة من المستشرقين، مثل: المستشرق الهولندي "رينهارت دوزي"<sup>(3)</sup> و"أسين بلاثيوس"<sup>(4)</sup>، فكتابتهم كانت انتصارًا للحقائق العلمية وللتاريخ، ولكن بالمقابل يرى بن نبي أن أفكار هؤلاء أثرت تأثيرًا مباشرًا في طبقات المثقفين في المجتمع الإسلامي، بل إن الجيل المسلم اعتمد على كتابات هؤلاء المستشرقين لسد الناقص الحادث في الضمير الإسلامي لمواجهة الظاهرة

---

(1) مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 167.

(2) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، (بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط1، 1388-1969)، ص 6.

(3) ولد دوزي في ليدن من أسرة فرنسية، وتعلم مبادئ العربية في المنزل، ثم واصل دراسته في جامعة ليدن، وأحرز جائزة على بحثه عن (ملابس العرب). المصدر: رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل (بيروت: الدار العربية للموسوعات ط1، 2012).

(4) المستعرب الكبير أسين بلاثيوس، ولد في سرقسطة؛ وتخرج من معهدها الديني، في اللاهوت المسيحي، وتلقى العربية على ريبيرا عام 1891م، وحصل على الدكتوراه من جامعة مدريد عام 1896م، ونشر رسالته عن عقيدة الغزالي في الأخلاق والتصوف عام 1901، وخلف كويديرا على كرسي العربية في جامعة مدريد 1903. المصدر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين (بيروت دار العلم للملايين، ط3، 1993)، ص121-126.

الغربية؛ فسدوا النقص لديهم بمؤلفات هؤلاء المستشرقين<sup>(1)</sup>. وبهذا يتوصل مالك بن نبي إلى حقيقة موضوعية؛ وهي أن المستشرقين الغربيين كانوا وبالاً على المجتمعات الإسلامية، سواء المادحين؛ لأنهم الذين حولوا تأملات الجيل المسلم عن واقعهم إلى تصبير النفس بالتعني بأمجاد الماضي التليد؛ ليظلوا مخدّرين غير مدركين لفداحة الحاضر من أجل تلافيه، أو القادحين؛ الذين قلّلوا من شأن المجتمعات الإسلامية، وكأنه لا فائدة من الدفاع عن مجتمعات منهاره ولا فائدة من محاولة انتشالها، وأن لا أمل في النهوض بها؛ فتسلل اليأس والقنوط، ولذلك أصبح من السهل عليهم جدّاً أن يمرّروا كل التحيزات الاعتقادية ضد الإسلام، دون أن يجدوا مقاومة من العقل المسلم، فقد صار اليوم عقلاً مأزوماً، يعاني من عقد النقص، و"يبحث عن حقنة اعتزاز للتغلب على المهانة التي أصابته من الثقافة الغربية المنتصرة، كما يبحث المدمن عن حقنة مخدّر ليستطيع بها مؤقتاً إشباع حاجته المرضية"<sup>(2)</sup>.

وفي نهاية حديث مالك بن نبي عن المستشرقين وإدراكه لخطورة المستشرقين بصنفيهما المادح والقادح يضيف أن "الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شراً على المجتمع الإسلامي... سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا الحاضر، وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التقييد والإقلال من شأننا؛ بحيث صيررتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار... في حين كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق 169.

(2) المصدر السابق، ص 171، 170.



لغيرنا حق الإصداغ بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب"<sup>(1)</sup>.

**(3) الغرب المسالم:** تحدث عنه مالك بإيجابية، وتأثر بتجربته التي تعكس السلوك الراقى والتفكير الواعي المتزن، الذي جنح من خلاله إلى عدم إقصاء الآخر؛ حيث اكتشف غربًا لا يظهر كثيرًا في وسائل الإعلام وبعيدًا عن السلطة والسياسة لحد ما، ولا علاقة بالخطط والاضطرابات والأفكار المصطنعة الرامية إلى تحقيق المصالح على حساب الشعوب الأخرى، وهذا الوجه المسالم الفرنسي والغربي عمومًا؛ لم يكن لمالك بن نبي أن يعرفه لولا التعايش والتواصل في ذلك البلد في مرحلة شبابه؛ مما دفعه إلى الالتحاق بها حيث لم يجد مانعًا من أن يكون أحد أعضائها، وهي المرحلة التي غير فيها مالك بن نبي أفكاره عن الغرب؛ وقد كانت مجموعة "الشبان المسيحيون" متنوعة عرقيًا ودينيًا، ولعل أغرب من انضم إلى المجموعة هو مالك بن نبي المسلم، فشاركهم مناسباتهم واحتفالاتهم وبعض طقوسهم المسيحية، واستطاع خلال تلك المرحلة أن يتعرف على صورة للأسرة البرجوازية في فرنسا<sup>(2)</sup>، وتدرجيًا بدأ فكره يتجه اتجاهًا علميًا، وابتعد عن توجهات مدرسته الكلاسيكية، وتزامن هذا مع جولات قام بها في متحف الفنون والصناعات، مع اطلاعه العميق على كتب الأب (مورو)، فقد كان لها تأثيرها في بلورة فكره الجديد عن الغرب وعن كيانه الحضاري، وقد كان منصفًا في أحكامه تجاه الغربيين، ودورهم الفعّال في البحوث العلمية، وضرورة فتح قنوات التفاهم معهم بناءً على الاحترام والتواصل والتفاهم المشترك<sup>(3)</sup>.

---

(1) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص 25.

(2) ينظر: بن نبي، مذكرات شاهد للقرن: الطالب، مصدر سابق، ص 211-216.

(3) ينظر: نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مرجع سابق، ص 70.

## المبحث الثاني: تصنيف معوقات الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي

### المطلب الأول: معوقات سياسية وما بعد الاستعمار عند مالك بن نبي

لقد مثل الاستعمار دائماً وأبداً ذلك الوجه البشع في تاريخ البشرية جمعاء، لما ترك من آثار تخريبية على الشعوب الضعيفة؛ إلا أنه بالنسبة للدول القوية كان مطلباً طبيعياً من مطالب المجتمع الإنساني (من وجهة نظر الاستعمار)؛ فقد كانت شعوب العالم الإسلامي فريسة سهلة لهذه الدول الاستعمارية، ويشهد لذلك التاريخ فلا تزال كثير من تلك الدول تتخبط في تخلفها جراء الاستعمار، فهو تخريب أصاب التاريخ والشعوب، واعتدى على المبادئ الإنسانية والقيم<sup>(1)</sup>. وهنا يبرز دور مالك بن نبي فقد كان خبيراً بقضايا الاستعمار ومواقفه من العالم الإسلامي، ولذلك جاءت ملاحظاته وتعليقاته على هذا الجانب على درجة عالية من العمق والتحليل، بحكم تجاربه القاسية التي عايش فيها الاستعمار، فتعرّف على مكره ودسائسه. وفي هذا المبحث سأحاول التعرف على المعوقات السياسية للحوار الحضاري متمثلة في الاستعمار وتأثيره في فكر مالك بن نبي، بالإضافة إلى مفاهيم تتعلق بهذه الظاهرة، مثل:

- **العامل الاستعماري والقابلية للاستعمار:** كان لهذا العامل شهرة بالغة في كتاباته في هذا المجال، والبحث في الخطط والوسائل التي يمارسها الاستعمار لإدارة الهيمنة بشكلها الجديد، كالصراع الفكري الذي هو وجه الاستعمار الجديد الأكثر بروزاً مع خفوت الشكل التقليدي له؛ ألا وهو الصراع العسكري، ويمثل الاستشراق أحد الأساليب المنتهجة في بسط الهيمنة والسيطرة، باستخدام الطرق العلمية والآليات التي تطبق في هذا المجال من أطراف وخبراء الصراع الفكري

---

(1) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 35-38.

"فنحن نريد أن نبحثه بحثاً علمياً في بلادنا، ولكي نتبع المقاييس الصحيحة في دراسة الاستعمار نحتاج إلى أن نراه في أعماق التاريخ وأن نوسع نطاق البحث فيه"<sup>(1)</sup>. فهو لا يرى ذلك ضرورياً من أجل الجزائريين فقط، ولكنه يدخل في صلب علاقة الحضارة الغربية بالإنسانية ككل.

أما من حيث الجانب الفكري والتربوي الذي يُعد أهم الجوانب للشعوب، فقد شلّ الاستعمار الحركة الفكرية بضره للتعليم، فقد عمدت المدرسة الاستعمارية إلى عدم الاهتمام بإيجاد أيّ وضع قد يُعيد الإنسان إلى الحضارة، وفي الوقت نفسه اهتمت بتدمير النفسيات وتوزيع نفاياتها؛ مما يجعل المُستعمر عبداً للاقتصاد الأوروبي؛ فهي لم تكن تسعى إلى اكتشاف ذكاء وتطلعات، وإنما سعت إلى خلق آلات ذات كفاءات محدودة؛ إذ يقول مالك بن نبي في هذا الشأن: "إن الاستعمار تدخّل في تقرير مصير الأطفال في مدارسهم، فما إن يبدأ التلميذ امتحاناته في الشهادة الابتدائية حتى يصبح - دون أن يشعر - هدفاً للجنة الممتحنين المحترفين التي تقوم بتقدير درجاته، فيتأمرن عليه حتى لا يصبح متفوقاً على زملائه من أبناء أوروبا، بل يظل ذلك المستعمر الحقيّر الصغير"<sup>(2)</sup>.

ويعتمد هذا النوع من السيطرة الأجنبية ليس فقط على الجانب الفكري التعليمي، وإنما أيضاً على جميع الجوانب العسكرية والثقافية والسياسية في الدولة المستهدفة مع الاعتراف بسيادتها شكلاً، وذلك أشبه ما يكون بانتداب أو وصاية، وقد اعتمد هذا الاستعمار الجديد على وسائل عديدة للوصول إلى أهدافه، وجُلّها وسائل خفية لتحاشي المعارضة ضدها من الرأي العام العالمي، ويُدعى الاستعمار الجديد بالإمبريالية imperialis، ويعتمد على وسائل عديدة، كإبرام اتفاقيات غير

---

(1) المصدر السابق، ص 152.

(2) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 114.

متكافئة تؤدي إلى عدم تطور الجهة المهيمن عليها؛ فيُطلق عليهم دول العالم الثالث أو الدول النامية<sup>(1)</sup>، وهدف الاستعمار أن تجعل المسلم زبونًا مقلدًا لحضارتها دون أصالة، فتفتح له أبواب متاجرها أكثر من فتح أبواب مدارسها<sup>(2)</sup>. ولكي يتحرر العالم الإسلامي من الاستعمار لا بد أن يتحرر من اثره في حياة المجتمعات بالتخلص من القابلية للاستعمار<sup>(3)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن الاستعمار يُعد نكسة في التاريخ الإنساني؛ لأننا إذا بحثنا عن أصوله نجدها تعود إلى روما، فقد رسّخت المدينة الرومانية طابعها الاستعماري في سجلات التاريخ<sup>(4)</sup>، وكانت سيطرتها على أغلب العالم القديم، ولذلك أتيحت الفرصة لأوروبا للإطلال على الحضارات الشرقية القديمة وتحقيق السيطرة على البحر المتوسط فاستعبدت الشعوب الشرقية، ونهبت خيراتها. فهو بذلك يرى أن صورة أوروبا الاستعمارية تجسدت في العهد الروماني، ولما جاء العهد الإسلامي كان في واقع الأمر تجربة من نوع مختلف عن سابقه في تاريخ علاقات الشعوب، فالحكم الإسلامي قد فتح بلدان أفريقيا الشمالية، لا من أجل استغلالها، ولكن لنشر الإسلام، وجعلها امتدادا للحضارة الإسلامية؛ حيث بإمكانها أن تلحق بركب التخلق والتحضر والتقدم الإسلامي. وقد حاول مالك بن نبي من خلال دراسته للظاهرة الاستعمارية أن يضيف جانبًا إيجابيًا للاستعمار، على خلاف ما جرت عليه العادة عند الكتاب المسلمين الذين يؤكدون على السلبي فقط؛ فقد تحدث عن الدور التحفيزي وهو الجانب الإيجابي بالإضافة إلى الجانب السلبي،

---

(1) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 66-67.

(2) ينظر: وجهة العالم الإسلامي المصدر السابق، 70.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 95.

(4) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 148.

الذي يتمثل في الدور التعطيلي والشعور بالنقص والتبعية<sup>(1)</sup>.

أما من حيث الدور التحفيزي فقد أدى الاستعمار دورًا نافعًا في تاريخ الشعوب المتخلفة، عندما اقتحم عليها بابها وزرع دارها وأنقذها من فوضى القوى الخفية، التي بقيت فيها طيلة عقود طويلة، وشبه مالك بن نبي هذا الاستعمار بالديناميت الذي نفص عنهم غفلتهم وسباتهم في معسكر الصمت والأحلام، والذي بقي فيه إنسان ما بعد الموحدين إنسانًا أميًا وبطالًا، فشعر كما شعر البوذي الصيني والبرهمي الهندي بنفضة ألهمته قيمته الاجتماعية الجديدة، فحرر طاقاته التي خدمت منذ زمن<sup>(2)</sup>.

- القابلية للاستعمار: من أشهر المفاهيم المركزية التي أطلقها بن نبي، ولها علاقة وطيدة بالظاهرة الاستعمارية، والفكرة قائمة على أن الاستعمار نتيجة وليس سببًا، بعكس ما طرحه بعضهم في تفسير مشكلة التخلف في العالم الإسلامي، على أساس أن الاستعمار هو السبب الأول والأصلي له، ويؤكد أن مرحلة التخلف في الأمة الإسلامية تبدأ مع بدايات الغزو الاستعماري، فقد كانت الأمة الإسلامية متقدمة حضاريًا، ومتوفر لديها كل مقومات الحضارة، إلا أن ظروف تخلفها وتجهيلها جعل الأمة نفسها هي الأرضية التي ساعدت الاستعمار على السيطرة. واستعمل مالك بن نبي مفهوم القابلية للاستعمار بمعنيين مختلفين: المعنى الأول: تكون فيه القابلية ناتجة عن الاستسلام النفسي الداخلي للاستعمار وتقبله وعدم إزالته، أما المعنى الثاني فتكون فيه قابلية الاستعمار في الأساس لتسهيل طريقه في المجتمع<sup>(3)</sup>، وكذلك فُعل عمل العوائق

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 48.

(2) ينظر: شروط النهضة، مصدر سابق، ص 149-151.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 153-155.

الاستعمارية؛ وهو إحاطة المستعمر بكل العوائق، وتحطيم قوى المجتمع المسلم الكامنة، وذلك بنشر الأفكار التي تحط من قيمته وتعرقل مصالحه، فيحاط بشبكة من إنتاج الاستعمار التحطيمي الذي يشتم كل معالم الطريق للفرد المسلم، فيعيش لا يدرك غاية ولا يصل إلى هدف<sup>(1)</sup>.

فالعالم العربي والإسلامي ظل لأكثر من قرن يعيش مرض الاستعمار برغم مغادرته له منذ عشرات السنين، ورغم ذلك فأوضاع العالم الإسلامي الاجتماعية والإنسانية ظلت كما هي ولم تتغير كثيرًا، فمالك بن نبي يرى أن الإمبريالية والاستعمار يظلان عاجزين إذا لم نساعدهما بالضعف والتخلف الذي نعيشه اليوم، فالاستعمار يريد للعالم الإسلامي البطالة والانهيار الأخلاقي والرديلة والتشتيت والتفريق لأفراده، وهو بذلك يجمع عليه علتين؛ علة من الداخل بما هم فيه من هوان وانكسار وانهزامية، وعلة من الخارج بالاستعمار وما يبثه فيهم من أفكار هدامة بأساليب خفية<sup>(2)</sup>.

**المجال السياسي:** كانت العلاقة -أيضًا- بين متناقضين، فالحوار بين متكلمين في الطرف الأول الاستعمار أو من ينوب عنه من أذنيه، وفي الطرف الآخر القابلية للاستعمار المتمثل بالمجتمعات الإسلامية، وهذا الوضع ظل قائمًا ولا يزال حتى يومنا هذا؛ لأنه إن لم يتم تغيير شروط القابلية للاستعمار عند المجتمعات الإسلامية، سيظل الوضع على ما هو عليه، فصحيح أنه غُيرت بعض السطحيات في الفكر الإسلامي، لكن دون تغيير القابلية للاستعمار الراسخة في النفس الإسلامية والتمكنة منها، فضغط بعض الظروف الاقتصادية والسياسية وقوة الأشياء جعلت

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 150-151.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 147.

بعض المواقف الاستعمارية تتغير إلى حد ما تماشيًا مع مصالحها، ولكن لم تتغير كلها ولن تتغير ما دامت القابلية للاستعمار هي التي تحاور الطرف الآخر (الاستعمار)<sup>(1)</sup>، وسيظل الحوار بين الطرفين مجرد إملاءات وتبعية وهيمنة إن لم يتم التخلص من المعوقات الحقيقية.

وقد ربط مالك بن نبي بين الاستعمار وأحد أذرعه؛ وهو الاستشراق، بوصفه أحد المسببات التي تقوم بعرقلة أي أفكار إصلاحية في العالم العربي، ويستعمل الاستعمارُ الاستشراقَ للصراع الفكري ضد الإصلاح، وجعله ينبهر ويتغنى بماضيه عوضًا عن الالتفات لحاضره المليء بالمشكلات الكبرى، ويسعى الاستشراق في بعض كتاباته إلى افتعال النزاعات والمشكلات بين الدول العربية والإسلامية؛ مما يؤدي إلى تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات متفرقة ومتشردمة، لا تستطيع أن تنشئ حضارة ولا أن تدخل في حوارات حضارية واقعية، فهي منشغلة بالدخول في معارك وهمية ودفاعية جدلية، تهدر الوقت والجهد وتستنفذ الطاقات<sup>(2)</sup>.

ولكي يستطيع العالم الإسلامي التقدم بضع خطوات إلى الأمام، للوصول إلى مستوى التقدم، يفرض عليه حل المتناقضات الثلاثة: العلاقة النفسية، والعلاقة الثقافية، والعلاقة السياسية؛ فالواجب هو تصفية هذه الخريطة وتهيئتها للعلاقات ذات الطابع العالمي.

ويرى مالك بن نبي أن الاستعمار يعمل على تطبيق المقولة (فرق تسد)؛ حيث تصبح أوضاعنا غير قادرة على الشعور بدور الاستعمار إلا حينما يصدر ضجيجًا، كضجيج الدبابات والمدافع. ومن أساليبه أن يغتال رجلًا واحدًا حتى يثبت الفوضى والاضطراب، أو يقوم بشراء ضمير

---

(1) ينظر: بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 24-25.

(2) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 157-159. بتصرف بسيط.

أحد الزعماء السياسيين الذين تتجسد فيهم، في مرحلة معينة، طاقة البلاد الحيوية وفكرة نضالها<sup>(1)</sup>، فالاستعمار يستغل في المستعمَر ضعف بصره فلا يريه إلا ما يرى هو، "فنحن ندرك جيداً النشاط الاستعماري عندما يكون مرئياً واضحاً، كأنه لعبة أطفال، ولكننا لا ندرك مجال هذا النشاط ولا وسائله، منذ اللحظات التي يصبح فيها دقيقاً كلعبة الشيطان"<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، **ميلاد مجتمع**، مصدر سابق، ص 83-87.

(2) المصدر السابق، ص 83.



## المطلب الثاني: معوقات دينية وتجديد فاعلية الدين في الحوار الحضاري

إن الأمة الإسلامية تشهد اليوم تحديات كبيرة في العصر الحديث، فقد انشغل علماءها ومصلحوها ودعاتها بقضية التجديد الحضاري، والوصول إلى الحوار الحضاري بالعودة إلى حضارة غابرة، كانت هي منارة للعالم آنذاك. ولعل المفكر مالك بن نبي من أعلام الفكر الذين أعطوا أهمية لأثر الدين في تحقيق نهضة المجتمعات، وتحضُّرها وانخراطها، وتأثيرها في مسيرة الحوار الحضاري، فقد رأى في الدين ظاهرة كونية تقنن فكر الإنسان وحضارته، وفي هذا السياق يُقسِّم الأفكار التي تعيق حركية المجتمع إلى: أفكار مميتة (قاتلة)، وأفكار ميّنة؛ فالأفكار القاتلة هي الأفكار التي تقتل في الفرد حركته ودافعيتته للبناء والتجديد، وهي أفكارٌ تبعث على الخمول والكسل وكسر الإرادة، وتستنهض في الأمة بواعث الإجرام والأحقاد والنزاع بين أفرادها؛ فتؤدي به إلى الاقتتال والتفكك والتشردم، أما في ما يخص الأفكار المميّنة فهي ما يجول بالخاطر من أفكار فاقدة للحياة، وهي عديمة الفعالية، مثل: الخرافات والشعوذة والقابلية للاستعمار، وهي فكرة خذلت الأصول وتخلّت عن مثلها الأعلى أو أي صلة لها بالجذور الأصلية الثقافية كما ذكرنا سابقاً<sup>(1)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن الفكرة المميّنة (القاتلة) تُمثّل فضلات فكرية؛ جاءت نتيجة عملية غربلة لإرث فكري معيّن يرجع إلى بيئة مختلفة لبيئة العقل المقتول (العقل الذي استورد الأفكار القاتلة)، لهذا فهي تراكمات لا قيمة لها أخلاقياً ولا تاريخياً ولا علمياً، ومن الجدير ذكره أن الأفكار المميّنة تأتي من الغرب (أفكار خارجية)، وتستهدف فئة النخبة بالدرجة الأولى، أما الفئات الأخرى فهي أهداف للأفكار المميّنة (أفكار داخلية) تحت مسميات عديدة: منها الدينية، ومنها الفكرية<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي مصدر سابق، ص 153.

(2) ينظر: بن نبي، في مهبط المعركة، مصدر سابق، ص 127-132.

فالعقل العربي في هذه الحالة بين خيارين، إما أن يقرر البقاء في مستنقع الأفكار الميتة، وهي أفكار لا حياة فيها ولا فكر ولا إبداع، وتمثل الجانب السلبي في نهضتنا، وهي موروثات عصر ما بعد الموحدين، وهي أشد خطورة من الأفكار القاتلة، التي تُستعار من الغرب وتعمل على تعطيل فاعلية الدين، وفي السياق نفسه يقول مالك بن نبي: "إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، وتبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي أفكاراً ميتةً، وهي خطرٌ أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة؛ إذ تظل هذه الأفكار منسجمة مع العادات وتعمل مفعولها في كينونته من الداخل، إنها تنخر المجتمعات الإسلامية من الداخل ما لم تُجرِ عليها عملية تصفية، فالجرائم الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل تقوم بذلك؛ لأنها بذلك تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه"<sup>(1)</sup>.

وقد قدّم بن نبي مشروعه الفكري القائم على إعادة بعث الحضارة الإسلامية من محاور عديدة، كان على رأسها معالجة مشكلات الحضارة الإسلامية، وتغيير طرق بنائها وسبل إحيائها، مركزاً على ما أسماه "الفكرة الدينية"؛ لأنه يرى أن الدين والأفكار المستمدة منه هي محرك الحضارة، وأن الفكرة الدينية هي شرارة الحضارة التي تدخلها التاريخ، وتأخذها إلى عالم الإنجاز؛ ولذلك ركز بن نبي على مراحل الفكرة الدينية؛ لأنه يرى أنها من غيرت حال شبة الجزيرة من صحراء غير ذي زرع ولا ماء، ينتشر فيها الشرك والوثنية ويسودها الجهل ويحكمها الفساد، إلى أرض مخضرة مليئة بالتوحيد والعلم والتطور، وذلك من خلال ثلاث مراحل:

- **مرحلة النشوء والنمو:** وهي مرحلة الروح ودور الفكرة الدينية لانطلاقة حضارية أنارت العالم، وهي بداية الصعود بالعمل على تهذيب الغرائز وتنظيم فطرة الإنسان، واستدل على هذا ببلال، وهو تحت سوط عذاب، يرفع سبابته، ولا يكف عن ترديد: "أحد أحد"، فقد تغلبت يقظة روحه

---

(1) المصدر السابق، ص 129-132.

المتحررة من أسر الغرائز، ومن أسر العبودية، فسيطرت عليها العقيدة، فقد كانت العلاقات الاجتماعية في أفضل حالاتها، وسمي هذا العصر بالعصر الذهبي الذي كان فيه المسلمون كالبنيان المرصوص، وكان سيرهم فيه ارتقاء وصعود حضاري<sup>(1)</sup>، وما أحوج المسلمين إليها في ظل هذه الظروف المحيطة!

- **مرحلة التمدد الحضاري:** وفي هذه المرحلة انطلق المسلم ليصل إلى نقطة القمة، التي سجل فيها المجتمع المسلم توسعه وتطوره الحضاري والفكري غير المسبوق في شتى مجالات الحياة، وارتقى المسلمون في معظم المجالات، منها: العلوم، والفنون، والصناعة والترجمة والتأليف في العصر الأموي والعباسي، وفي هذه المرحلة تحررت الغرائز من قيودها تدريجياً - كما يرى بن نبي- وقل ارتباطها بالغيب وحصل تمدد وتوسع، وصارت الحضارة بشكل أفقي دون ارتقاء وصعود حضاري، وحصل ذلك بفعل قوة الدفعة الأولى، فقد شابها نقص وانكسار لصدمة (صغين)<sup>(2)</sup>.

- **مرحلة الغريزة ونهاية الفكرة الدينية:** وهي مرحلة هوان الحضارة وانهارها وسقوطها، حيث خَبَّت الروح، وفقدت الفكرة الدينية سلطانها على النفوس؛ فاندفعت الغرائز من قيودها، وعاد الإنسان إلى ما قبل الحضارة، واختل نظام الطاقة الحيوية الفعالة، وفقد الإنسان قيمته الاجتماعية، وأصبحت الفكرة الدينية لا تقوم بدورها في المجتمع الإسلامي المنحل والمتدهور والضعيف،

---

(1) ينظر: محمد البنعادي، أسئلة الفكر والمنهج والفعالية في تراث مالك بن نبي بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده (1905-2005)، (المغرب: جمعية النبراس الثقافية، د.ط، 2005)، ص 56.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 56.

ودخلت ليل التاريخ، واكتملت بذلك دورة الحضارة<sup>(1)</sup>.

لقد شكّلت الفكرة الدينية من حيث قوتها وفعاليتها في الحضارة أولاً، ثم في الحوار الحضاري مع الآخر ثانياً، حبر أساساً للإشعاع الحضاري، وقد حاول مالك الكشف عن أثرها اجتماعياً وخلقياً، وركّز على فاعلية الفكرة الدينية كدافع للحاق بركب الحضارات، فالدين أو الفكرة الدينية تؤدي إلى تحقيق جميع التغييرات في حركة المجتمع، وينتقل من السكون إلى الديناميكية (الحركة)، ومن ثم إلى الحركة الحضارية التاريخية، فيحدث الدين تألفاً وتركيباً حضارياً بين الشعوب؛ فالدين من أهم عوامل التغييرات المادية والمعنوية؛ ولذلك فإن إهمال أحد الجانبين سيؤدي إلى فشل أي مشروع نهضوي أو توجه حضاري، فالجانب الديني مهم لتحقيق التغييرات الاجتماعية المؤدية إلى حوار الحضارات<sup>(2)</sup>. فالفكرة الدينية أو الدين هي من أوجدت العلاقات الإنسانية وقوانينها، فالحضارات ولدت في ظل المعابد<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 68-71.

(2) ينظر: يزير: زهرة، وسرطوط: عائشة، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، 2019م)، ص 81-82.

(3) ينظر: بن نبي، الظاهرة القرآنية، مصدر سابق، ص 69.

### المطلب الثالث: المعوقات المعاصرة

ما دامت الحضارة هي تجديد وتقدم في الجوانب العلمية والفكرية؛ فهي التي تنعكس على النواحي المادية والعملية، فإن فعل التغيير الذي نادى به الإصلاحيون ورواد التجديد له دواعيه وانعكاساته ولذلك يجب أن يُستثمر، فالعالم العربي والإسلامي يعيش انحطاطاً وتدهوراً، ويكاد يتفق كل الناقدين والمجددين أن سبب ذلك عدم وجود رؤية فلسفية نقدية أو أي توجه نحو رؤى مستقبلية تراعي الواقع، وتراعي سنن التغيير وقواعدها، طبقاً لمقتضيات العصر، والعمل بلوازم النهضة والتعاون الحضاري للوصول إلى التطور والتحضر والازدهار.

وقد وجدنا أن مالك بن نبي اهتم كثيراً بموضوع النهضة ومشكلات الحضارة ودواعي التحضر واللاحاق بركاب التطور مع الآخرين، فقدم نظريات في البناء الحضاري، وكان يؤمن بأن العالم العربي والإسلامي لديه قدرات وإمكانيات مادية ومعنوية لا بد أن تُفعل لحل مشكلات العالم الإسلامي الحضارية؛ للسير به قُدماً في مصاف الدول المتقدمة، على أن ينطلق بداية من التغيير الداخلي ومن ثم التغيير الخارجي؛ بميلاد مجتمع يُنتج أشياءه المادية والفكرية، ليكون التوازن المطلوب بين الروح والعقل وبين الواقع والمثال، والذي لا بد من تحقيقه قبل النهوض الحضاري للعالم العربي والإسلامي.

لكن قبل ذلك يجب أولاً أن نُسلط الضوء على المشكلات الواقعية لمراجعة فرص الحوار والتعايش، أو بالأحرى لمعرفة معوقاته الأساسية بالدراسة والتحليل، ولتشخيص الداء وتبني الحلول الناجعة؛ لتُنير دروب الإقلاع من جديد، ويصنّف لنا مالك بن نبي هذه المعوقات الواقعية والتي كان أهم أسبابها الانعزالية: ولا بد من التفكير في هذا النقص الذي أصاب الإنسان المسلم، فقعد به عن ملاحقة توقيت التاريخ والتفكير في طريقة لسد هذا الخلل وإلي تتمثل في الكلمة القتالة

(عليك بخاصة نفسك) والتي ظل المجتمع المسلم يرددها منذ عصر ما بعد الموحدين<sup>(1)</sup>، وما تبع ذلك من انتكاسات ومحاولات فاشلة سواء في الميدان السياسي أو العسكري أو الصناعي أو الزراعي وكل هذه الإخفاقات ماهي إلا تعبير عن أزمة حضارية<sup>(2)</sup>، ومن هذا المنطلق بدأ بدراسة تحليلية نقدية لإنجازات المجتمعات الإسلامية في محاولاته لتحصيل شروط النهضة في مجالها، ومعرفة أسباب فشل هذه المحاولات؛ معتمداً على التحليل التجزيئي المنطقي، ثم تقديم هذه الدراسات والأفكار خلاصةً يمكن الاستفادة منها في الواقع.

ومن المشكلات الواقعية المعاصرة التي تحدث عنها:

أولاً: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي أساس تخلفها:

يرى مالك بن نبي أن المرحلة التي تمر بها المجتمعات الإسلامية؛ هي مرحلة مرض، تتناقلها الأجيال مثل الجراثيم؛ وجراثيم هذه الأمراض هي الأفكار، فلا بد من دراسة الحالة وتقييمها، ونستطيع معرفة المرض من خلال العرض؛ حيث نعرفها بنتيجتها، وهي عقدة القابلية للاستعمار. وفي الحقيقة تكمن المشكلة في الأفكار الميتة كما سبق ذكره؛ فهي ميتة لانتهاء دورها وانفصالها عن جذورها الأصلية، فالعالم الإسلامي تخطب في فوضى من التقليد<sup>(3)</sup>، وبعد أن استيقظ وجد خطر الاستعمار يجثم على صدره، ودون أن يشعر رمى بنفسه في هوة التقليد من جديد فانسحبت الفكرة، وتبني أفكاراً مميتة، من أجل الوصول إلى الحضارة الشيئية، دون استلهام الفكر، الذي هو طريق الحضارة ووسيلتها، والطريق إلى الحضارة قبل كل شيء هو طريق الفكر، الذي يتخذ الطريق

---

(1) بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 92.

(3) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 12-13.

القويم، فيعلم المسار للحضارة وبخريطة واضحة لمعالم الطريق للوصول إلى التطور والرقى والإنجاز<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: الانتقال من صراع القوة إلى صراع الأفكار في مسيرة الحضارة الغربية:

كانت العلاقات في القرن التاسع عشر بين الدول تحكمها القوة والسيطرة، وكانت كل أمة من الأمم يُحكم بمركزيتها بما تملك من مصانع وأساطيل وأرصدة وأسلحة ورصيدها من الذهب، ولكن شهد القرن العشرين تطوراً لشأن الأفكار، بوصفها قيمة إنسانية عالمية، ومع ذلك لا يزال الرجل الذي يعيش في دول العالم الثالث يشعر أنه أدنى من الرجل الغربي، وهذا شعور ارتبط لديه نتيجة للأشياء بتعبير مالك بن نبي. وبعبارة أخرى: نقص الأدوات والآلات من بنوك وطائرات وأسلحة ولّد لديه تشاؤماً وعقدة نقص، وصولاً إلى مشكلة التكديس؛ والمشكلة الحقيقية تكمن في أفكاره، التي ترهن الفكرة بالأشياء طريقاً إلى الحضارة، فالمعروف أن تطور العلوم الحديثة منشؤها الأفكار<sup>(2)</sup>، وهذا جوهر الفارق بيننا وبينهم، ولن تُحل المشكلة بالاستيراد والرغبة في الحصول على الآلات والطائرات والمدافع؛ ولذلك صبغت الأشياء من الخارج بصبغة الحضارة الغربية، واقتناء كل الوسائل المتطورة والأدوات، حتى تمتلك المجتمعات الإسلامية القوة المكافئة.

والحقيقة أن الواجب تدارك البنين المتهالك بإعداد مهندس حضارة يدرك الخلل ومعرفة السبب لرأب التصدعات، فطريق النهضة والتحضر يكون بدراسة الحلول والمناهج المنسجمة مع أفكار الأمة الإسلامية، ومع معتقداتها وبما يناسبها؛ فالأمة الإسلامية فاتها أن تقدم حلولاً إصلاحية

---

(1) ينظر: بن نبي، كتاب البناء الحديث، ضمن ملاحق الأعمال الكاملة لمالك بن نبي، تقديم: عمر مسقاوي،

المجلد الخامس، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2018م)، ص 2673.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 2674.

وأسسًا سليمة؛ تنسجم معها، وأي حل خارج هذا التصور سيُخرجهم خارج الطريق الصحيحة للحضارة، وبعيدًا عن عقدة المشكلة، ومشكلة كل شعب في حقيقتها هي مشكلة حضارته، ولن يتمكن أي شعب أن يفهم مشاكله إذا كان بعيدًا عن مستوى الأحداث العالمية والإنسانية، وفهم كل العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها<sup>(1)</sup>، وهذا لن يتسنى إلا بالتفاعل والتواصل مع المجتمعات المتحضرة لمعرفة عوامل ومقومات كل حضارة وعوامل انهيارها وتصدها.

ويضع مالك بن نبي للإسلام مهمة عليا، ذلك الإسلام الجديد الذي يولد في إطار جديد ويفتح على كل المعتقدات، من أجل تجديد العالم، ويبني الإنسان من جديد بطاقة وفاعلية تتحرك في كل الجهات، فالمسلم اليوم مدعو إلى الولوع في مسيرة العالم بروح الإسلام العليا، التي يظهر فيها المسلم ضمن منظومة كونية؛ إذ يقول في هذا الشأن: "المسلمون اليوم لا يستطيعون إلا أن يكونوا عمل اتصال وتلاحم للمناخ الجوهري نحو الإنسانية، والعيش المتناغم مع العدالة والمساواة، إن عليهم أن يجددوا العدالة الاجتماعية"<sup>(2)</sup>، وهي دعوة صريحة إلى الحوار والتواصل وتحويل فكرة الاستعمار والعوائق الأخرى لمصير مشترك يجتمع فيه الجميع.

### ثالثاً: الحضارات هي تغيير النفس من حالة الركود إلى حالة التوتر والفاعلية:

يرى مفكر الحضارة توينبي ضرورة الإصلاح والتغيير وعدم الثبات؛ وأن تراجع تطور الحضارات يرجع إلى أسباب متعددة، منها: تبدل وسائل الإنتاج، أو ضعف القوة الخلافة، ولذلك

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 2675.

(2) عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 21.



يترجع الأكثرية عن دعم الأقلية المسيطرة ما ينجم عنه الانشقاقات والانقسامات وضياع الوحدة<sup>(1)</sup>. وفيما يخص الحضارة الإسلامية نلاحظ أمرين: أولاً: أن الإسلام كمقوم لإحياء الحضارة الإسلامية عبر تراثها ما زال قائماً حتى اللحظة، لكن دون تفعيله في السلوكيات وفي مناحي الحياة المختلفة، وهذا سبب تقهقر الحضارة الإسلامية، وثانياً: أن تراجع الحضارة العربية الإسلامية كانت لها أسباب خارجية، من أهمها: الاستعمار أو الحملات الصليبية، وإن الاحتلال والاحتكاك مع الغرب كشف النقاب عن مدى التخلف العربي الإسلامي مقارنة بالغرب، الذي كان ناجماً بالأصل عن أسباب داخلية، ومواجهة المشاكل لا بد لها من روح جديدة وتوجيه للأهداف وتوحيد للجهود<sup>(2)</sup>.

ولعل من أهم هذه الأسباب المرض والجهل والنفس المستكينّة؛ والتركيز يجب أن يكون على بناء النفس، فلتغيير المجتمع يلزم تغيير النفس لترسيخ فاعلية الشعور بالواجب، الذي هو مفتاح الإبداع والإنتاج، ومعظم ما يُركز عليه في وسائل التواصل ودور السينما وما سُبِس في العقول أن الحقوق تُؤخذ ولا تُعطى، والحقيقة أن الحق إنما هو نتيجة للقيام بالواجب<sup>(3)</sup>، فمالك يؤكد "أنها لشرعة السماء غير نفسك تغير التاريخ"<sup>(4)</sup>. فلا بد من مواجهة المشكلات بروح تجعل توحيد الجهود نحو فكرة الحضارة، والحضارة لا تكون بأجزاء مفككة ومتناثرة ولا بمظاهر دون الجوهر، ومن الضروري احتواء أحد أطرافها على الأفكار والأشياء والمظهر والروح أيضاً، وفي الجانب الآخر قطب يتجه نحو تاريخ الإنسانية؛ لأنه بدوره يتجه بكل قوة نحو الحضارة المهيمنة في

---

(1) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 413-416.

(2) ينظر: بن نبي، كتاب البناء الحديث، ضمن ملاحق الأعمال الكاملة لمالك بن نبي، تقديم: عمر مسقاوي،

المجلد الخامس، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2018م)، ص 2675-2677.

(3) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 32.

(4) المصدر السابق، ص 35.

العالم<sup>(1)</sup>، فالأمة الإسلامية في أفريقيا وآسيا تجمعها ظروف اجتماعية ونفسية واقتصادية جعلتها خارج الركب الحضاري، ومن أجل تبني حلول لتزليل الفارق بين خطي واشنطن -موسكو وطنجة - جاكرتا لا بد من تخطيط لبناء الحضارة من جديد.

ويبدأ البناء الحضاري من جذور المشكلة ليرفع الإنسان المتحضر إلى مستوى الإنسانية، ومهمة الحضارة اليوم التي أعقبت عهد الاستعمار أن تجعل الاعتبار الأول هي الغاية الإنسانية، والعلاقات الأقوى هي العلاقات الأخلاقية بين الشعوب، والسعي الحثيث إلى تحقيق السلام العالمي، فجميع المشكلات الكبرى في العالم الراهن هي أسباب نفسية واقتصادية وسياسية، بسبب النظام الثنائي (الاستعمار والشعوب المستعمرة)، وهو من مخلفات القرن التاسع عشر، مما ولد السباق المحتوم في مجال القوة، والتسابق من أجل التسلح بين الدول المتقدمة من أجل الرقابة على الجماهير، وهذا يحمل مشكلة السلام حمولة ثقيلة من الصعب تجاوزها؛ فالسلام أصبح ضرورة عند الشعوب المتخلفة الخائفة من بطش الدول صاحبة القنبلة الذرية، والسلاح الذري الذي قد يفتك بالجميع، من يملكه ومن يفتقر له؛ لذلك فالجميع يصغي إلى صوت السلام، ولكي تتجاوز الحضارة كل تلك المعوقات يجب عليها أن تلبي الحاجات الإنسانية؛ لتحل المركزية الحضارية في العالم، وهذه الحضارة مضامينها روحية وتنتشر السلام وتحفظه للعالم بأسره<sup>(2)</sup>.

ولا شك في أن الخيار البديل للعالم كبديل للصراعات هو الحوار الحضاري بتجاوز كل المعوقات العصرية، والإسلام كحضارة ودين يدعو إلى منتهى حضارات، ويدعو إلى الدخول في السلم للشعوب كافة، فالغرب بنهجه هذا وتدخله في حياة الأمم، فقد سمح لنفسه بالتدخل في المناهج

---

(1) ينظر: بن نبي، كتاب البناء الحديث، مصدر سابق، ص 2675.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 2686.

العلمية والخطاب الديني وأسلوب حياة المجتمعات، وهذا يشكل أزمة حضارية راهنة، ولا يمكن للعالم الغربي ولا لدول العالم الثالث أن تتجاوز الأزمة الحضارية الحالية إلا بالحوار الحضاري، فأزمة الغرب لا يمكن تجاوزها إلا بالتخلي عن التسلط والهيمنة<sup>(1)</sup>؛ ليتمكن من تجاوز الفناء المحقق وجميع المشكلات لا يمكن أن تحل إلا على المستوى العالمي الإنساني، بإتاحة الفرص للتعاور مع ثقافات أخرى لا غربية، فقد آن الأوان للعربي أن يستفيق من سباته الطويل وأن يتجاوزوا خلافاتهم المذهبية الإقليمية؛ ليعودوا إلى الصدارة في بناء حضارة كونية شاملة، فقد كان أجداده الأولون متفاعلين مع كل الحضارات والأمم الأخرى؛ فساد في عهدهم التفكير العقلي والإبداع العلمي، وضربوا أروع الأمثلة في التسامح الديني، على أنهم مع ذلك كله لم يكونوا من مستهلكي الثقافات الأخرى. فلا بد من تغليب التيار العقلاني على التيار المتطرف والمتشدد، وتبني خطط ثقافية وتنموية واقتصادية وإعلامية لمواكبة تطورات العصر؛ وهذا هو ما نادى به مالك بن نبي في مؤلفاته، فهو السبيل الوحيد لمجتمع إنساني متسامح يسوده الاستقرار والتعاون، فالحوار هو طريق الحضارات، وحوار الحضارات هو الطريق الوحيد لإنشاء فضاء حضاري يُؤسس لنظام عالمي جديد<sup>(2)</sup>.

ويعتقد مالك بن نبي أن تبني الحلول لمناهضة التخلف وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والتمسك بالهوية الثقافية والحضارية - هي طريق لخلق حضارة جديدة بناءة، فهو يرى أن المجتمعات التي لا تصنع أفكارها لا يمكن لها أن تصنع منتجاتها الضرورية، فالمشكلة ليست مشكلة أدوات وإمكانات، وإنما دراسة الجهاز الاجتماعي الأول ألا وهو الإنسان، فإذا تحرك الإنسان

---

(1) ينظر: عبد الرزاق عماد الدين إبراهيم، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 48.

(2) ينظر: بن نبي، كتاب البناء الحديث، مصدر سابق، ص 2686-2688.

تحرك المجتمع والتاريخ، وحل الإنسان الإيجابي محل السلبي، ولا يكون هذا إلا باقتباس تجربة الآخرين وفهمها، في ضوء ظروف المجتمعات الإسلامية والعربية، والمجتمع الأمريكي خير مثال لذلك فقد تكوّن بفعل عناصره الاجتماعية المختلفة، التي قدمها له التحضر في المجتمعات الأوروبية، وولد هذا التقاطع بين الثقافات والحضارات الإنسانية، والتوليفة البشرية تفسر أن تطور تلك المجتمعات يعود إلى التغيير المطرد، الذي استطاعت من خلاله أن تتجاوز مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية ومواكبة مصاف الدول<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: التلخص من الاستبداد التاريخي السياسي وتبني محددات داخلية وخارجية:

يرى مالك بن نبي أن جذور الاستبداد السياسي يعود إلى أحداث التاريخ الإسلامي وتحديداً حادثة صفين، حيث كان بداية لانقلاب في القيم الإسلامية لتتحول إلى العصبية المتمثلة في صورة (الخليفة)، الأمر الذي أدى إلى هوة بين الشعب وبين الحاكم، فأفرز تمزقاً في المجتمع الإسلامي والانفصال السياسي؛ إذ تُعد أكبر الأزمات التي تجعل الفرد غير قادر على حفظ السلطان، وانقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة، وهي لحظة انكسار في التطور التاريخي وبداية انقلاب قيم الحضارة الإسلامية، فالتغيير الحادث لم يمَسَّ الجانب السياسي بقدر ما أصاب الإنسان نفسه، الذي أودى به وبفكره التحضري، فظهر المسلم عاجزاً عن أي إنجاز حضاري فالدوافع النفسية داخله قد تحللت، وعادت إلى الحياة البدائية، والانحطاط مع سقوط دولة الموحدين<sup>(2)</sup>.

ويتضح مما سبق أن التفرد بالسلطة والاستبداد بأمر الأمة، هو ما يؤكد حال معظم الدول

---

(1) ينظر الضيفاوي الساسي بن محمد، الرد على الاستشراق في الفكر العربي المعاصر (مالك بن نبي أنموذجاً)،

(الدولة: مؤمنون بلا حدود، مؤسسة للدراسات والأبحاث: الدراسات الدينية، د.ت)، ص 12-13.

(2) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 36.

العربية والإسلامية في عصرنا الحالي، فقد فقدت الشورى معناها؛ والتشاور ينسجم مع التحاور والتناصح المفقود بين الحاكم والشعب، فالنخبة الفاعلة في الأمة نالت استقلالها العسكري، وانتقلت إلى الاستبداد على مقاليد الحكم، وحل نظام جديد استبدادي حبس الأمة من التجديد ومواكبة العالم، فأفرز سلبيات انطبعت على الشخصية المسلمة جعلت الشعب يتجه إلى مقاومة الاستبداد على شكل ثورة كما كان في الثورات العربية، بعد أن فشل الاتجاه الإيجابي ونتيجة الانتكاسة لنتائج الثورات والمقاومة ولدت لدى المجتمعات الإسلامية اللامبالاة، وأدارت ظهرها لكل أمور الحياة الداخلية والخارجية؛ بسبب فشل الشورى الذي يشترك فيه العالم الإسلامي في مضامينها الشرعية مع تراث الأنظمة العالمية، وحكمت الأمة على نفسها باستبداد داخلي وخارجي، وساد صمت رهيب ولد الاستبداد والهيمنة الخارجية فسيطرت الحضارة الغربية، فلا وجود للندية والتكافؤ فضلاً عن أن يكون هناك حوار على مستوى حضاري، فالانهزامية النفسية والشعور بالنقص ولد الاستسلام والاهتراء في جسد الأمة. "فمن يزرع الهواء يحصد الريح"<sup>(1)</sup>.

ولذلك فإنه لا بد من التوعية المؤثرة لإصلاح أرضية العمل السياسي وقواعده، وأنظمة الحكم المتسلطة، والسعي إلى تكوين تاريخ ثقافي سياسي جديد منفتح على كل ألوان الحياة الداخلية والخارجية، وأن تجفف كل منابع الاستبداد السياسي، الذي أدى إلى خنق الإبداع وتدمير الأخلاق العملية، ووأد العلم، ومسح الهوية الإسلامية، والعمل الجاد في كل المجالات على نمو المجتمعات الإسلامية، ولا سيما في الجانب السياسي والاجتماعي، قياساً بالمجتمعات الأخرى في الحضارات الأخرى المشابهة لها، فالعالم اليوم يمر بعصر الحريات العامة والحدثة والتطور والانفتاح والثقافات العابرة والمصائر المشتركة، في حين تبقى الشعوب العربية الإسلامية بعيدة عن ذلك

---

(1) بن نبي، من أجل التغيير مصدر سابق، ص 91.

كله<sup>(1)</sup>، وعرضةً -على مدار تاريخها السياسي الحديث- لهيمنة فكرها، وثقافة الاستبداد، والرأي الواحد الذي يختزل الأمة كلها في شخص الحاكم المنفرد.

أما من حيث الناحية الاقتصادية فقد أوجد الاستبداد السياسي واقعًا اقتصاديًا قائمًا على الاستغلال؛ نجم عنه بؤس اجتماعي، ونتج عن ذلك نسقٌ ثقافي، فقد رأى مالك بن نبي أنه تسبب في أزمة النمو التي تجتاح العالم الإسلامي بجميع جوانبها، فالوضع السائد امتاز بتشكّل محيط جديد تمثل بانقلاب في الواقع من عالم الأفكار إلى عالم الأشياء، وبالنظر إلى المعيار الاجتماعي يظهر جليًا أن العالم الإسلامي يعيش في الحالة الصبانية المتعلقة بعالم الأشياء<sup>(2)</sup>، فنتج التقليد والتمثل وهو الخاصية التي طبعت الفكر الإسلامي منذ عهد النهضة منتصف القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا، ففوضى الأشياء والأفكار والاضطرابات هي سمات غالبية في المجتمعات الإسلامية خلفت كل هذه السلبيات الاجتماعية، والتأخر على مستوى تكوين الفكرة، وعلى مستوى الجانب الأخلاقي، الذي يترجمه سلوك الفرد، إما بالوهن في الرأي أو بالسخط والتطرف في وجهات النظر<sup>(3)</sup>.

وكان الاستبداد -ولا يزال- منذ عصر ما بعد الموحدين السمة الرئيسة في أنظمة دول العالم الإسلامي، فلم تعرف الأمة -التي وجدت نفسها بين حديّ الصراع بين الحاكم والمفكر- واقعًا مخالفًا لما عهدته من السلطة الحاكمة المستبدة إلا واقع أحلامها التي هُدرت، ومشاريعها التي حُرقت، وأفكارها التي أجهضت، فلم يتبق منها سوى حالة نفسية برزت تقاسيمها في الانطواء

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، (دار الفكر، دمشق، 2000)، ص 37-39.

(2) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 89.

(3) ينظر: بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، مصدر سابق، ص 29-32.

والانتكاس، يغشاها البؤس والفقر، سواء كان في الجوانب الروحية أو الجوانب المادية<sup>(1)</sup>، فالتأخر في عالمنا الإسلامي كان سببه العامل النفسي والتاريخي حين غابت الفاعلية التي جاءت بعد الموحدين، فعالمنا الحديث والإنسانية عموماً أضرت به الحضارة الغربية، حين نصبت نفسها وصياً على المجتمعات الإسلامية، فعطلت ركابهم عن اللحاق بالعالمية؛ ومن هنا يتضح أن المشكلة حضارية بسبب القابلية للاستعمار، التي لا بد للعالم الإسلامي أن يعرف أسبابها كي يؤسس معنى إنسانياً في قيمها وتقدمها؛ ليلج العالمية ويرتفع بالإسلام إلى مستوى الحضارة، ومن ثم ترتفع هذه الحضارة إلى مستوى الإنسانية<sup>(2)</sup>. ومالك بن نبي يتفائل بإمكانية أن يصبح الإسلام هو البديل لبناء وحدة سياسية فقد تقرر خضوع الإنسان لسلطة الله في هذا النظام أو غيره<sup>(3)</sup>؛ لإنشاء مشروع حضاري حوارى في إطار المبادئ الإسلامية، التي تتسجم مع الأوضاع الراهنة، فهو يرى أن الحضارة تبنى على تكريم الإنسان، فيشعر بقيمته ويشعر بقيمة الآخرين من حوله، فيتعاون معهم ويتعاونون معه بطريقة الحوارات الحضارية؛ ولذلك فإن الحضارة تنتهي حينما يفقد الإنسان الشعور بالتكريم لنفسه ولغيره<sup>(4)</sup>.

---

(1) ينظر: ابن كوسه دليلاً، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة، مرجع سابق، ص 168.

(2) ينظر: عمر بن عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 10-11.

(3) بن نبي، تأملات، (دمشق: دار الفكر، د.ط، 2000)، ص 48.

(4) ينظر: حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 108.

## المبحث الثالث: صراع الحضارات في كتابات مالك بن نبي

### المطلب الأول: دلالة مصطلح صراع الحضارات

ظل الصراع بين الحضارات يأخذ في طابعه صراع معتقدات أو طبقات أو عرقيات، فالحضارة وإن تكونت من عناصر عديدة إلا أن عنصر الثقافة هو الأهم، وأهم عنصر في الثقافة الدين، ومعظم الحضارات الكبرى قامت على الدين، فالصراع جاء بين الحضارات لمخالفة الحضارة لمعتقد ديني في الحضارة الأخرى<sup>(1)</sup>؛ إذ أصبح الصراع الحضاري من الموضوعات الكبرى منذ السنين البعيدة، ويحدث نتيجة وجود قطبين يتنافى أحدهما مع الآخر، وهي ظاهرة كونية تجسدت بسلوك الإنسان الحركية والفكرية، فقد أصبح الصراع ضرورة يتطلب فيه الدفاع عن النفس ضد الآخر، والصراع هو نتيجة لموقف معارض بين اثنين من الفاعلين والمؤثرين في الأحداث التاريخية، وصراع الحضارات وُجد بين شعوب الحضارات في الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية<sup>(2)</sup>. والمعروف أن الصراعات نشأت في المجتمعات وقد تصل إلى مستوى كبير من العنف بحسب شدة الفاعلين فيها، وتتنوع أسبابها إما على توزيع الثروة أو بسبب السلطة أو تصادم الأفكار، والصراع مهما كانت نتائجه فالجميع خاسرون لما يخلفه من خسائر بشرية ومادية طالما والمجتمعات هي ساحة الصراعات، ويشتد الصراع إذا كان هناك تساوي وتكافؤ بين أطراف النزاع، وهنا يظهر أهمية التنظيمات والتفاوض من أجل التسوية، وذلك جيد، لكن الأسوأ حينما يقوم الطرف الثالث باستغلال

---

(1) ينظر: إدريس جعفر شيخ، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، (السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1433هـ)، ص9.

(2) ينظر: أحمد محمد عمار: صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، (الجزائر: جامعة تلمسان، 2014)، ص 23.



العداوة لتحقيق مآربه الخاصة<sup>(1)</sup>.

ويظهر في الوقت الراهن حرب الأفكار بامتياز التي هي أبرز أنواع الصراع التي ركز عليها مالك بن نبي، فكثير من الدراسات تعمل على إنكاء الصراع القيمي والفكري بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، من خلال زرع التناقضات في علاقة الطرفين؛ فالغرب يرى في العالم الإسلامي العدو الجديد خلفاً للعدو الاشتراكي، وكثير من المفكرين والدارسين في الغرب انضوى الصراع في كتاباتهم، مثل: "ماركس" و"دوركايم"، وألتمس في مؤلفات "جورج سيميل"؛ إذ بُرر له في مدارس فكرية واجتماعية كمدرسة "مدرسة القوة" و"المدرسة المادية التاريخية، وحتى نعرف من أين تسربت فكرة صراع الحضارات للعالم الغربي لا بد من التعرف على مفاهيم الغرب ونظرياتهم في مجال صراع الحضارات.

**وهناك مفاهيم عديدة للصراع الحضاري من وجهة نظر علماء الغرب:**

- **توماس هوبز (1588-1679):** يرى أن البشر في حالة صراع وحرب مستمر، والغلبة للأقوى، فيرى أن البقاء للأقوى والأصلح، والصراع الحضاري هو حالة طبيعية تمارس من أجل البقاء، ويرى -أيضاً- أن الحالة الطبيعية الأولى للمجتمعات هي حرب الجميع على الجميع؛ حيث إن لكل واحد هاجساً للبقاء والخوف على وجوده من تربص الآخرين، ولذلك يلجأ إلى القوة والعنف من أجل أن يردعهم، وحينها تعم الفوضى. إذاً من الطبيعي في حالة كهذه أن تتعدم منظومة الأخلاق التي تُعرف الظلم والعدل والإنصاف والاعتداء، فلا صوت حينها يعلو على صوت

---

(1) ينظر: جيل فيربول، مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 56-57.

غريزة البقاء<sup>(1)</sup>.

- **كارل ماركس (1818-1883):** يرى أن أي اكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضروريات المادية، وحاجات الإنسان الأساسية والوسائل الفنية التي يبتكرها لتلبية الحاجات، فالحاجة والفن الصناعي يمثلان مركزي التقاطب لقوى الإنتاج المركزيين، ويحددان العلاقات الاجتماعية والحضارية مادياً ومعنوياً<sup>(2)</sup>، وكذلك نشر الماركسية لفكرة حرب صراع الطبقات، وأنها وسيلة للتقدم الاجتماعي<sup>(3)</sup>، والبشر ما هم إلا آلات تسخر لخدمة الاقتصاد، بل أرجع كل النظم والظواهر في المجتمعات للعامل الاقتصادي<sup>(4)</sup>.

- **فريدريك هيغل (1770-1831):** جعل التحضر مسألة ديناميكية تنشأ عن صراع النقيض في الأفكار، باعتبار أن الحرية التاريخية تقوم على الصراع، في ظل البحث عن الذات والوصول إلى الاعتراف بالآخرين، فالتاريخ عملية صراعية مستمرة، وقد أتت الفلسفة الهيجلية بفكرتها، التي مفادها وحدة الروحي والمادي، وبتفاعلها وصيرورتها المتضامنة، وقدرتها على النفاذ والتحكم بالعالم الواقعي، وتقديسه للنظام البرجوازي، وكذلك تقديس النظام الإلهي الذي سلم قداسته إلى النظام الإقطاعي<sup>(5)</sup>. "إن الحرب تعالج بجد تفاهات الخيرات الزمانية والاهتمامات

---

(1) ينظر: عليلي: نسيم، ومحجوبي: أنيسة، الأسس المادية عند هوبز، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة قاصدي مرياح ورقلة، 2015)، ص 40.

(2) ينظر: إسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية والسياسية الدولية، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1985)، ص 239.

(3) ينظر: شتراوس: ليو، وكرويسي جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ترجمة: محمود سيد أحمد، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2005)، ج1، ص 536.

(4) ينظر: جيل فيربول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 12.

(5) ينظر: إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيغل، المكتبة الهيجلية للدراسات، (القاهرة: مكتبة مدبولي الإسكندرية، د.ط، 1997)، ص 444-448.

العابرة، إن للحرب دلالة ومغزى عن طريق فاعليته"، حتى وصل إلى قوله: "إن هبوب الرياح تحفظ البحر من التلوث؛ نتيجة للسكون، وكذلك فساد الأمم قد يوجد نتيجة لسلام دائم"<sup>(1)</sup>، فالمجتمع في تصورهم تكنات عسكرية والشعب الألماني هو الشعب الخالد يتحكم في الآخرين، ولو كان بالقوة والعنف فهو ربيب العظمة<sup>(2)</sup>، ولعل نظرياتهم هي من أنتجت هذا التفكير المحتدم بالصراعات. ومن هذه النظريات:

- **نظرية الجنس:** وهذه النظرية تقول: إن بعض أجناس البشر تصعد حضاريًا وتتقدم؛ لأن جنسها مهياً لذلك، في حين أن الأجناس الأخرى ليس لديها مواهب للتقدم؛ بل تميل إلى الركود، ولذلك تبقى خاضعة لتلك الأجناس المتقدمة، التي لها الحق بتسيير العالم<sup>(3)</sup>. فالمجتمعات خليط من البشر، وتختلف في الصفات والخصائص، ويعد الجنس في تصور أتباع هذه النظرية عاملاً رئيساً في تقدم المجتمعات وتأخرها، ومن أبرز من نادى بهذا التوجه "مومسن"<sup>(4)</sup>.

- **نظرية البيئة:** يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك نوعين من البشر بيولوجياً: عليا ودنيا في الجنس بناء على المؤثرات البيئية، فهناك نوع جبلي غزير المياه، وهناك نوع ذو تربة ضعيفة عديمة المياه؛ فالنوع الأول قوي البنية، خارق الذكاء والشجاعة؛ في حين أن النوع الثاني يتواجد في الأماكن الحارة المنخفضة؛ لا يمتلكون الشجاعة ويميلون إلى الغضب، مثل من يعيشون في أفريقيا<sup>(5)</sup>، فأصحاب هذه النظرية يجعلون كل ظواهر المجتمع وليدة للبيئة والظروف

---

(1) شتراوس: ليو، وكروبيسي جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 400.

(2) ينظر: جيل فيريول، مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 12.

(3) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 86، 94.

(4) ينظر: فيريول، مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 13.

(5) ينظر: توينبي، مختصر دراسة التاريخ، مرجع سابق، ص 96-108.

الطبيعية، والإنسان يتصرف بحسب ظروف بيئته ومناخه، ومن أهم مؤيدي هذا التوجه "فريدريك راتل"؛ وهو منشئ علم الجغرافيا والإنسان<sup>(1)</sup>.

وتكلم مالك بن نبي في هذا السياق عن صراع غير الصراع المعتاد العسكري المسلح، ألا وهو الصراع الفكري بوصفه أحد أنواع الصراع الحضاري؛ وهو يعني الصراع الأيديولوجي؛ الذي انتهجه الاستعمار لتشويه وعي الشعوب، ومنع امتلاك وعي صحيح للتخلص من ظاهرة القبول بالاستعمار، كما يقوم بمنع القوى الواعية إما بوسائل مغرية أو بوسائل ترهييبية، وهو يرى أن كل نشاط فكري عمومًا، وكل نشاط إسلامي بشكل خاص يظل تحت المجهر، وهو ما يسمى بمراسد الصراع الفكري، ويسخر لذلك شخصيات وجهات إسلامية، ويسوقون العالم العربي إلى خطتهم سوقًا<sup>(2)</sup>.

وأراد مالك بن نبي من الحديث عن واقع هذا الصراع الخفي والمعلن؛ أن يحقق هدفين:

**الهدف الأول:** تحديد آلية للرصد الاستعماري؛ لمراقبة تطوّر الفكر العربي للعمل على تعطيل أي تفكير إيجابي نهضوي، من الممكن أن يهدف إلى التقدم والتطور في المجتمعات الإسلامية.

**الهدف الثاني:** إظهار الغياب الكامل لأي تفكير منهجي عربي وإسلامي لحل المشكلات، مما يشكل قصورًا، وترك فرصة لآلية الرصد الاستعماري، وتعطيل أي مسار يعمل على الفاعلية ويسدل ظلامًا دامسًا على بعض القطاعات الفكرية؛ لتشل حركتها ويعزلها عن ضمير الشعب

---

(1) ينظر: فيربول، مصطلحات علم الاجتماع، مرجع سابق، ص13.

(2) ينظر: بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص35.

والضمير العالمي<sup>(1)</sup>؛ لأن الصراع الفكري في عالمنا العربي والإسلامي قد وصل إلى أقصى مدى يمكن تصوره.

ويرى مالك بن نبي أنه يمكن إبطال مفعول الصراع الفكري من خلال وجهين:

أولاً: إعطاء فكرنا أقصى ما يمكن من الفعالية.

ثانياً: لا بد من إدراك الوسائل التي يستخدمها الاستعمار ضدنا ليحبط من فاعلية أفكارنا وجهودنا، وبناء الكفاءة الفكرية لحيوية الثقافة<sup>(2)</sup>. فالصراع الفكري الذي يُديره الاستعمار يظل في دائرة الغموض حتى لا يتنبه له أحد، فهو يحافظ على مبدأ الغموض ومبدأ الفاعلية والاستمرارية، ويستخدم قناع القابلية للاستعمار، ويظل يتتبع الأفكار الفاعلة حتى يُحطمها أو يعطل عملها في المجتمعات الإسلامية، ويقوم بديلاً عنها بتوجيه الطاقات الاجتماعية في البلاد المستعمرة؛ فالاستعمار يهدف من خلال مبدأ الفاعلية إلى أن يصل بالمكافح إلى حلبة الصّراع وعزله، والوصول به إلى حالتين:

- أن يُنفر الرأي العام في مجتمعه من أفكاره في جميع الوسائل بتدبير من الاستعمار وأذنايه.
- أن ينفر هو نفسه من قضيته التي يجاهد من أجلها عندما يشعر بعدم جدوى ما يسعى إليه<sup>(3)</sup>. فينشر حوله كل المشتبكات حتى لو تشكلت هذه الفكرة، التي سعى صاحبها إلى الدفاع عنها وحمايتها حتى تصل إلى مرحلة أن يحتويها كتاب ما أو مؤلف؛ فالاستعمار لا يكل ولا يمل من المطاردة في إشعال ردود فعل مناهضة لأفكار هذا المؤلف أو الكتاب، من خلال اللعب

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 35-36.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 36-37.

(3) ينظر: بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مصدر سابق، ص 37.

بأزرار خفية وأذنان تابعه له، تقوم بتنفيذ مخططاته، فمعظم الصحف والمجلات كانت من ضمن الأساليب الخفية التي يستخدمها استعمار الصراع الفكري لقول رأيه بلسان غيره دون أن يظهر في الصورة<sup>(1)</sup>، فيصبح الصراع بين الكاتب وهيئات وطنية تمثل تلك القضية، وتهدر الجهود، وتبدد الأفكار، ويضيع الوقت.

أما الصراع السياسي فقد رُبط بالصراع الفكري؛ إذ يسعى الاستعمار إلى:

- تخطيط على المستوى الروحي أو ما يسمى الأيديولوجي.
- العمل على تشتيت الجهود في أرض المعركة للحد من معنوياتها وقداستها في فكر الجماهير وتوجهاتهم، والمعروف أن أكبر لحظات التاريخ هي التي كان فيها كفاح شامل متوحد ضد الطبيعة أو ضد البشر، فهي بذلك تكون معركة ذات توجه أيديولوجي، ولها مكانة عالية من القداسة، حتى إذا فقدت طابع الشمولية والوحدة هبطت من مستواها الأعلى؛ فتصاب بالتدهور والانحطاط، وقد كان التدهور الروحي في العصر الإسلامي هو بداية للتدهور السياسي، فالاستعمار يستهدف الحط من مستوى الكفاح الأيديولوجي للوصول إلى الأهداف المقصودة، وهذا هو ما كان في مواجهتهم لفكرة مؤتمر باندونج<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 38.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 41.

## المطلب الثاني: عوامل الصراع والصدام في فكر مالك بن نبي

(1) الاستشراق: يعرّف بعض الباحثين الاستشراق "أنها محاولة للغرب انطوى فهم الإسلام تحويل تنوعه إلى جوهر وحداني، غير قابل للتطور، وقلب أصالته إلى نسخة منحطة، من الثقافة المسيحية، ونسخ تعود إلى كاريكاتيرات مثيرة للربح، ومثل أية سمة ناجحة كان الشرق المضطع ممنوعاً من التبديل وإذا حدث ودخل جزء من تاريخه في تناقض مع خصائص السلعة كما يراها المستشرقون، فإن هذا الجزء يلغى ويبطل"<sup>(1)</sup> فهو تيار فكري؛ قام بدراسات مختلفة عن الشرق الإسلامي، شملت حضارات الشرق، ولغاته وآدابه وثقافته. وقد عمل هذا التيار على صياغة تصورات الغرب عن العالم الإسلامي، وعبر عن خلفية فكرة الصراع بين الشرق والغرب، ومن الصعوبة التفريق بين الاستشراق والتبشير والاستعمار<sup>(2)</sup>، وقد دأب على تصوير ذهن الإنسان العربي مختلفاً عن ذهن الإنسان الأوروبي؛ فالإنسان العربي في تصوره يميل إلى التناحر والأنانية، وله أفق ضيق في التفكير، ولديه قصور في اتخاذ القرارات السياسية الصائبة ويرى أغلب المستشرقين أنه لا بد من مراجعة النصوص التاريخية والدينية وفهمها بطريقة علمية، والتفريق بين السلطتين الدينية والمدنية؛ لأن السلطة الدينية يمكن أن تؤدي إلى الاستبداد الفردي.

لقد عاش مالك بن نبي -رحمه الله- في بلد عرف بالاستشراق الأوروبي وهي العاصمة

الفرنسية، عاش حوالي ثلاثين سنة درس فيها الغرب وتفاعل مع أطيافه، وأدرك الاستشراق

---

(1) إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، (عمان: المؤسسة العربية للنشر، ط1 (1961)، ص 159.

(2) ينظر: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، (الدولة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

ط1، د.ت)، ص 16.

بعمق، واكتشف أساليبهم وممارساتهم، فهو لم يعتن بالاستشراق كفكرة، بل أراد أن يفهم العامل النفسي لحملة فكر الاستشراق؛ إذ يقول:

"يجب أن نحدد المصطلح أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين، الذين يكتبون أولاً عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات إلى صنفين: من حيث الزمن: طبقة القدماء، مثل: جرير دوريباك والقديس توماس الأكويني، وطبقة المحدثين، مثل: كاره دوقو وجولد تسهير، ومن حيث الاتجاه العام، نحو: الإسلام والمسلمين لكتاباتهم؛ حيث هناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها"<sup>(1)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أن هناك من المستشرقين من يمدح الإسلام والمسلمين والعرب عمومًا، وهناك من يحقد عليهم، وقد نبّه لدهاء المستشرقين، حين قال: إن مدح بعضهم للإسلام ما هو إلا تحدير للمسلمين؛ ليستمروا في نومهم وسباتهم وأحلامهم السعيدة، والتغني بأجداد والآباء والأجداد، حتى إذا أفاقوا وحدثت الصدمة رأوا واقعهم المرير وتأخرهم عن الركب الحضاري<sup>(2)</sup>.

وحتى فئة المادحين هم في الحقيقة منفذون، فالاستشراق يعلنها بصراحة أن لا نصيب للعرب في إنتاج العلوم، وربما هذا التوجه يلتقي بفكر سطحي آخر لبعض المفسرين، مما يتوجب على رواد الفكر الإصلاحي بطرح فكرة صلة العلم والدين بكل تلك الاختراعات، التي ذكرت في القرآن الكريم، ولو كان على المسلمين أن يبرروا دور الفكر الإسلامي في تقدم العلوم، لكفاهم أن يبين دوره في عدّ الحساب والجبر والنظام العشري والقواعد الأساسية لمعرفة العلم النووي، فالعقل الإنساني مدين للفكر الإسلامي، ولا ينقصه هذا ما قاله العبث الصبباني لبعض الجاحدين، مثل:

---

(1) بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص 5-6.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 20-23.



فريد وجدي وغيره من تلاميذ المستشرقين<sup>(1)</sup>.

لقد نُسبت كثير من هذه الاكتشافات والعلوم إلى غير أصحابها من المسلمين، مما تسبب بصدمة للمسلمين، وأحدثت شبه شلل في جهازهم الثقافي؛ بل وأدى إلى أن ولى كثير منهم مدبرين أمام زحف الغرب الثقافي، وألقوا بكل ما لديهم من أسلحة كجيش منهزم فر من أرض المعركة، بل فضّل بعضهم أن يتوشح بالزي الغربي الثقافي، وقد كان حينها الصراع الفكري الثقافي يحتدم بين الشرق والغرب؛ فكان انتحال الطابع الغربي في السلوك والذوق خيار بعضهم، ثم بدأت تظهر قيم الحضارة الغربية في الأفق الإسلامي في أكثر مناحي الحياة<sup>(2)</sup>.

إن الإنتاج الاستشراقي بنوعيه كان شرًا على العالم الإسلامي؛ لأنه كوّن في تركيبه العقلي عقدة حرمان سواء عن طريق المديح، الذي حوّل واقعهم وتأملاتهم المستقبلية بغمسهم في النعيم الوهمي إلى الماضي؛ ليستمروا في سباتهم، أو بالصورة الأخرى وهي التقليل من شأن العالم الإسلامي في مجتمع منهار لا جدوى من محاولة إصلاحه. وبعد الصدمة أصبح الفكر الإسلامي ينقسم إلى اتجاهين:

- تيار يتبنى الناحية العقلية والسياسية والاجتماعية؛ وهو تطورٌ يؤدي إلى الشينئية والتكديس.
- تيار يرتبط بإنتاج المستشرقين وما دعا إليه من أدب الفخر والتمجيد، وهذا مثل المدمن الذي يبحث عن حقنة مخدّرة للتخلص من إسلامه دون علاجها<sup>(3)</sup>.

ويرى مالك بن نبي أنه لا يجوز نكران القيمة العلمية للمستشرقين نهائيًا، فالإنتاج العلمي

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 25-28.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 10-11.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 11، 12، 25.

لبعض المستشرقين لا يمكن أن يُجدد، مثل: ما خلفه "سيديو" و"جوستاف لوبون"... وغيرهما، دون أن نغفل جانبه النافع، فقد يستطيع أصحاب الفكر والإصلاح أن يحولوه إلى صالحهم، ومن ثم وضع الأفكار تحت المجهر، فيُنظر إليها من الزاوية الفكرية والفنية. ففكرة افتضاض الضمائر تقول: إن أي فراغ أيديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارًا منافية ومعادية لنا أن تشغله، والأرجح أنهم لا ينتظرون الفراغ الأيديولوجي وربما شغل المسلمون بأفكار غيرهم؛ لتكون فاصلة بين العالم الإسلامي وأفكاره، وربما للوهلة الأولى تشعر بأن الموضوع لا صلة له بالمستشرقين ولكن المتبصر في الموضوع يكتشف حقيقة الأمر، فعقار النوم والسُّلوى لشباب الإسلام اليوم هو من إنتاج المستشرقين؛ فالشباب المسلم إما مصابون بالشلل المضطرب، أو يحلمون ببلاد تتطلب الجدية والنظام؛ وهذا كله من سيناريو أخرجه وأعدّه المستشرقون في إطار ما أسميناه بالصراع الفكري<sup>(1)</sup>.

**(2) العولمة:** يواجه العالم الإسلامي اليوم الاستعلاء الغربي ذا النزعة الإمبراطورية، والمغزى من ذلك أمركة العالم، وأن يجعله سوقًا دائمة لما يراد ترويجه من أفكار وبضائع، وكل هذا تحت ستار مسمى براق ألا وهو (العولمة)<sup>(2)</sup>. والعولمة هي: عبارة عن نمط سياسي اجتماعي اقتصادي بنموذج غربي متطور، وقد خرج من العالم الغربي إلى عالم الآخر، ودعمه الغرب تقنيًا، الأمر الذي سهل مهمته في تدفق المعلومات ونشر سياساته حول العالم، لا سيما دول العالم الثالث التي اكتسحها وكان لها نصيب من تداعيات العولمة.

ويرى الكثيرون أن العولمة نظام مرادف للنظام العالمي أو أمركة العالم، فهو نسق حضاري

---

(1) ينظر: بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مصدر سابق، ص 42-47.

(2) ينظر: عبد الوهاب بوخلخال: قراءة في فكر مالك بن نبي كتاب الأمة، (قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 152، السنة الثانية والثلاثون، 2012)، ص 94.

يستهدف كل الحضارات، وعملت العولمة على رفع الحدود ليظهر الإنسان الطبيعي الذي لا هوية له ولا خصوصية، ويضيف المسيري: أن الصراع الذي ستفرزه العولمة هو المصالح الاقتصادية حيث لا حاجة للصراع العسكري<sup>(1)</sup>.

وقد أثار هذا المصطلح -منذ أن طُرِح- جدلاً حاداً ونقاشاً كبيراً بين أفراد المجتمعات الإسلامية والعربية، وانقسم الناس فيه إلى مؤيد ومعارض، فالمؤيد له يعدّه نتيجة طبيعية؛ لما تحقق في العالم من تقدم وتكنولوجيا حديثة، سهلت سيولة المعلومة، وقلّصت المسافات والأزمنة بين أطراف العالم، حتى غدا كأنه قرية صغيرة، ومن الطبيعي ظهور عولمة العالم تماشياً مع وضع العالم الجديد.

أما الرفض له فيعدّه وجهاً جديداً من وجوه الاستعمار الغربي، تحت غطاء إنساني، ومصطلحات كونية، ولكنه يهدف في النهاية إلى تحطيم كل ما هو إنساني، وأن ما حققه الغرب من ديمقراطية ورفاهية بفضل العولمة ساهم في زيادة بؤس الشعوب، التي تعيش خارج المظلة الغربية، وبين هذين الصنفين صنف آخر من الناس، لم تتحدد رؤيتهم تجاه هذه الظاهرة المثيرة للجدل؛ ولأنهم ربما وجدوا أنفسهم أمام أدلة متكافئة دعتهم إلى البحث والتقصي، ومنهم مالك بن نبي؛ إذ يبرز الدرس الذي قدمه بن نبي -رحمه الله- في مسألة التعامل مع الظواهر، من خلال بحثه في مشكلة الحضارة، فقد قدّم لنا نموذجاً لكيفية النظرة الصحيحة إلى هذه المشكلات، ورسم أمامنا طريقاً واضحاً للخروج من الهيمنة الاستعمارية، من خلال قراءة كتاب (وجهة العالم الإسلامي)؛ لكيفية مواجهه العولمة، فقال: "أيا كانت وجهة الأمر، فإن صناعة تاريخ العالم

---

(1) ينظر: عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير: سوزان حرفي، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2013)، ص244، 265، 266.

الإسلامي لم تعد من مهمة المؤامرات الخارجية، التي قعدت به إلى حين بعيد عن أي تطور أو ازدهار، إنما هو العمل الصامت المُضنّي، المنبعث عن حركته الداخلية"<sup>(1)</sup>.

ومما يجب أن نقف عنده -ونحن نخوض في الجدل حول مسألة العولمة- أن النخب العربية والإسلامية -على اختلاف توجهاتها الفكرية والأيدولوجية- انخرطت في نقاشات حول العولمة ردًا أو قبولًا وفي أغلب الأحيان، ابتعدت عن جوهر المشكلة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الإنسان المسلم اليوم قادر على الانخراط الفعلي في العولمة بحيث يكون منتجًا وفاعلاً؟ سواء في حالة قبول العولمة أو في حالة رفضها، هل الإنسان المسلم اليوم قادر على رفضها والتصدي الإيجابي لها، ويستطيع العيش دونها بوصفها عاملاً من عوامل الصراع الحضاري؟ وحتى نتحقق من موقف مالك بن نبي من العولمة، وكيف يتعامل المسلم معها بوصفها فارضة نفسها في عالمه، سوف نجيب بلسان بن نبي؛ حيث أكد أن (إنسان ما بعد الموحدين) لا يزال يمارس تأثيره القوي على واقع الإنسان المسلم اليوم، فيقول: "هذا الوجه المتخلف الكئيب ما زال حياً في جيلنا الحاضر، نصادفه في المظهر الرقيق البريء، الذي يتميز به فلاحنا الوديع القاعد، أو راعينا المرتحل، المتقشف المضياف، كما نصادفه في المظهر الكاذب، الذي يتخذه ابن أصحاب (المليارات) نصف المتعلم، الذي انطبع في الظاهر بجميع أشكال الحياة الحديثة، فأكسبه (مليار) أبيه وشهادة (البكالوريا) مظهر الإنسان العصري، في حين تحمل أخلاقه وميوله وأفكاره صورة (إنسان ما بعد الموحدين)"<sup>(2)</sup>.

ويصف مالك بن نبي أوضاع الفرد المسلم في المجتمعات الإسلامية، فيرى أنه طالما ظل

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 15.

(2) المصدر السابق، ص 37.

الإنسان المسلم عاجزاً عن تخلصه من الميراث السلبي، فلا يجدد فكره تبعاً لتعاليم الإسلام، ولا يسائر المناهج الحديثة ومقتضيات العصر، فسعيه إلى التوازن مع كفة الغرب سيكون عديم الفائدة، فالعولمة سعت إلى تدجين الشعوب وتمييع مناعتها الثقافية، فسهل السيطرة عليهم، ومن جهة أخرى فقد سعت إلى فرض الهويات القطرية والطائفية والعشائرية المستجيبة للهيمنة العالمية على العالم الإسلامي، وقد كانت المهمة سهلة؛ حيث وجدت المجتمعات الإسلامية متهاوية في ظل كل تلك المتناقضات السياسية والتمزقات المجتمعية، فقد أصبحت الأفكار التي يأخذ منها المسلم توجهه هي من مخلفات عهد الموحدين، التي تمثلت بعبادات وتقاليد هي أقرب ما يكون إلى البدع والخرافات البعيدة عن الواقع<sup>(1)</sup>.

وقد قامت العولمة بقلب سلم القيم الإنسانية، فأقصت العامل الأخلاقي، فوجد المسلم نفسه يتأرجح بين البدع والانحلال الخُلقي، الذي يجره كل منهما في طرف نقيض الآخر، فكان إما رافضاً لحضارة الغرب بكل ما تحويه من سلبيات وإيجابيات، وإما منبهرًا بالحضارة الغربية بكل ما فيها، وعلى غير هدى، دون أن يميز جانبها العلمي والثقافي، الذي كان سبب تقدمها ورقبها، فقد تغمص القشور التي أودت به، وبذلك تبرز هامشية العقلية الإسلامية في صناعة التاريخ، فهو من همّش نفسه قبل أن يقوم الغرب بذلك؛ لأن العولمة انتهجت تهجين المجتمعات الإسلامية للقضاء على الهوية الإسلامية، واستبدلتها بما يشبه الملامح الغربية فعملت على التغريب فكرًا وثقافةً وسياسةً، حتى أنك لتجد المسلم يغير نفسه طبقاً لأهداف العولمة رغم رفضه لحضارة الغرب من منطلق اللاوعي الجماعي<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 36-37.

(2) ينظر: ابن كوسه دليلة، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة، مرجع سابق، ص 206.

فيقول مالك بن نبي في هذا الشأن: "فإذا نظرنا إلى هذا الوضع نظرة اجتماعية، وجدنا أن جميع الأعراض التي ظهرت في السياسة أو في صورة العمران، لم تكن إلا تعبيرًا لحالة مرضية، يعانها إنسان ما بعد الموحدين، الذي خلف إنسان الحضارة الإسلامية، فقد كان يحمل في كيانه كثيرًا من الجرائم التي نتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل، التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين، فالنقائص التي تعانها النهضة الإسلامية الآن؛ يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن الطليعة في التاريخ إنسان ما بعد الموحدين، فنحن ندين له بتلك الموارث الاجتماعية البالية، وبالطرائق التقليدية التي جرينا عليها في نشاطنا الاجتماعي، ليس ذاك فحسب، بل إنه يعيش الآن بين ظهرانا، وهو لم يكتف بدور المحرك الخفي الذي دفعنا إلى ما ارتكبناه من خيانة لواجبنا، وأخطاء في حق نهضتنا، بل لقد اشترك معنا في فعلنا، حيث لم يكتف بأن بلغنا نفسه المريضة، التي تخلّقت في جو يشيع فيه الإفلاس الخُلقي والاجتماعي والفلسفي والسياسي"<sup>(1)</sup>.

كما يوضح مالك بن نبي تداعيات ظهور العولمة في العالم الإسلامي، فيقول: "حتى إذا كان القرن الثامن عشر، كان العالم قد أتم منذ زمن بعيد دورة حضارته، فإذا الفرد ينتكس مرة أخرى إلى حياة يسيّرنا له مجتمع متحلل مشلول النشاط والحركة، فيما عدا بعض البلدان التي ظلت محتفظة برمق ورمزية الحضارة، كفاس والقيروان ودمشق، وهي بقايا مهيبة تُعد الشاهد الوحيد على ماض ضائع؛ فالإنسان ما بعد الموحدين قد آثر العودة على حياة أسلافه البدو على أن يركن إلى حياة متحضرة"<sup>(2)</sup>.

فالفرد المسلم الذي هو إنسان ما بعد الموحدين، يعيش في مجتمع فقد توازنه، لم يستطع

---

(1) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 37.

(2) المصدر السابق، ص 42.

عقله أن يتعامل بطريقة صحيحة ومنهجية منظمة مع الثقافة الجديدة، فإذا به يُحصل مزيجًا من المفاهيم التي تلقاها من المدرسة الاستعمارية في أثناء الاستعمار، ومن القراءات غير المنهجية؛ بالإضافة إلى الميراث الاجتماعي والعادات الفكرية المتخلفة، فيصف مالك بن نبي هذه الثقافة بأنها عبارة عن عناصر خالية من المعنى، أخذت عن المدرسة الاستعمارية، ثم أُضيف إليها بعض العناصر الأخرى التي التقطها الشباب المسلم في أثناء الدراسة الجامعية، الذين أقاموا في أوروبا إقامة قصيرة لم يتمكنوا خلالها من معرفة الحضارة الغربية<sup>(1)</sup> معرفة حقيقية بعين فاحصة، فالشباب المسلم القادم من أوروبا، أخذ ثقافة خاوية لا تُسمن ولا تغني من جوع، ثقافة لا روح فيها، واكتفى فيها بالأشكال والرسوم والمظاهر دون أن يحاول اختراق جوهرها وكنهها.

ويبدو أن هذه الملاحظة لا يزال العالم الإسلامي يتعامل به إلى اليوم، مع المنتجات الثقافية الغربية، حيث تجد دعاة التيار الحداثي أو العولمة - ولا سيما الشباب منهم- يرددون في كلامهم نظريات وأسماء غريبة، ويرددون آراء وأطروحات غريبة، ويكونون اتجاهات ومذاهب، ولكن حينما تمحص النظر فيما يقولون ويكتبون، تدرك أنه حديث من لا يفقه شيئاً! فحسبهم من الثقافة الغربية ومن الحداثة أن يرددوا ما وصلهم ويتغنون بهم نكراً لا فكراً، فيرددون أسماء، مثل: دريدا وريكور وهابرماس وفوكو وبارت، ولكنها في الحقيقة مجرد عناصر خالية من المعنى والفهم! أو هي معرفة التقطت مصادفة من الكتب أو من وسائل الإعلام! أو سمعوها في أثناء حياتهم ودراساتهم في الغرب.

ولذلك فالثقافة أو المعرفة غير الممنهجة لا يمكن أن تقود إلى عمل ونتاج صحيح، والعقل المسلم في بواكيره هو عقل مبدع وأصيل، وذلك حينما تعامل مع التراث الإنساني (الغربي) بطريقة

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 64.

واعية، استطاع من خلالها أخذ ما يتفق مع منظومته القيمية، بما جعله قادرًا على تطوير حياته وحضارته، فكان الإبداع وكانت الحضارة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

فالحضارة الغربية هي الحضارة المسيطرة شئنا أم أبينا، لا سيما منذ أن دأبت السياسات الغربية على ربط (القوة) بالثقافة، مما أنتج العولمة في شكلها الجديد، التي يراد من خلالها تنميط العالم طبقًا للثقافة الغربية أو الأمريكية على وجه الدقة، وهذا يجعلنا نعد العولمة عاملاً من عوامل الصراع الحضاري، بل وأخطر ما يهدد العالم اليوم، فالنظام بدأ يخنقي ليطرك مكانه فوضى، وهي فوضى نبه إليها مفكرون غربيون وغير غربيين على حد سواء، فصاحب كتاب (فخ العولمة) اقتبس من مسرحية لـ (تشيكوف)، قال فيها هذه العبارة: "أما الآن فقد صارت فوضى تعم كل شيء ولم يعد المرء يفهم نفسه"<sup>(2)</sup>، وهي الفوضى. والأمثلة أكثر من أن تُحصَر في هذا المجال. كما أشار مالك بن نبي إلى المأزق الذي وقع فيه الإنسان المسلم، حين انبهر في البداية بالنظام الغربي، ليجد نفسه أمام فوضى فبعد أن كان رواد الفكر الإسلامي ونخبه المثقفة، تبحث عن حل وسط بين عصر ما بعد الموحدين ونظام الغرب، ليكتشفوا أنهم يقفون الآن بين مجالين من الفوضى، ما بين فوضى ما بعد الموحدين والنظام الغربي، وكما ذكرنا سابقاً فقادة العولمة يحاولون أن يبحثوا لها عن سند فلسفي يبرر الهيمنة الغربية وتفوقها، وقد وجدوا ذلك بالفعل من خلال نظرية فاوكاياما (نهاية التاريخ)، أو من خلال نظرية هنتجتون (صدام الحضارات)، فالنتيجة واحدة في النظريتين، هي سيادة (القيم الغربية) رغبة ورهبة.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 65.

(2) مارتين: هانس بيتر، وشومان: هارالد، فخ العولمة.. الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 238، 1998)، ص41.



أما النظرة الاستشراافية لمالك بن نبي فقد جعلته يتصور المآل الذي وصل العالم الإسلامي إليه اليوم في علاقتنا بالغرب وتأثر تلك العلاقة بمشكلاته وأزماته، والأمر ليس راجعاً إلى ولع المسلمين كمغلوبين في تقليد الغالب فحسب، وإنما الأمر يرجع أيضاً إلى قدرة الغرب على جعل الثقافة الغربية ذات إشعاع عالمي، وإظهار قيمها بمظهر إنساني، فإذا أضفنا إلى هذا كله الهيمنة الإعلامية والثقافية وتأثيرها في صناعة المعلومات والترويج لها، سندرك لماذا تصبح مشكلات الغرب وأزماته شاغلا يشغل العقول الإسلامية المفكرة، وقد يذهب بها إلى أبعد من ذلك يصل إلى حد الانفصال عن همومها ومشكلاتها الحقيقية، فيقول بن نبي - متحدثاً عن الغرب في النصف الأول من القرن الماضي: " ولا شك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي جعل من فوضاه الحالية مشكلة عالمية، ينبغي لنا أن نحللها وأن نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة، وبالمشكلة الإسلامية خاصة"<sup>(1)</sup>.

فعلى المسلم اليوم أن يتخلص من الوعي المنشطر من تأثير صدمة اللقاء مع الآخر في صورة العولمة، وجعلت الأمة تسير في معسكرين متوازيين يعيشان في صراع وهمي، مما جعل الكيانات الإسلامية هشة ومتهاكلة تقف على هامش التاريخ، والمجتمعات الإسلامية تواجه اليوم طوفان العولمة<sup>(2)</sup> وكل تداعياتها، إلا أن بن نبي لم يتحزب في فكره ضد الآخر؛ إذ قال: " لقد وجد المسلم أن عليه أن يبحث عن أسلوب في المعيشة يتفق وشرائط الحياة الجديدة في المجالين الخلقي والاجتماعي"<sup>(3)</sup>.

---

(1) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 123.

(2) ينظر: عبد الوهاب بوخلخال، قراءة في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 100-101.

(3) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، الجزء الثاني (المسألة اليهودية) (دمشق: دار الفكر)، ص 48.

## (2) المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي وتأثيرها في الصراع الحضاري:

إن اللقطة المركزية التي أراد مالك بن نبي أن يحلها هي ذلك الرّبط بين الحضارة الغربية ومشروع تحديثها، وبين دخول اليهود إليها، فاليهود في تصوره هم روح الحضارة الغربية وهم قلبها، هذا ما اقتضى قيامه بتفكيك نقدي وإعادة كتابة للتاريخ الثقافي لأوروبا؛ فالفاعليات التي شكّلت الحضارة الغربية ليست فاعليات مرتبطة بجهود التّويريين فقط؛ وإنما هناك أسباب اجتمعت لا يتسع المجال إلى الحديث عنها؛ لأن ما أوده هو الإشارة إلى المسألة اليهودية، وهنا الملمح الجوهري لخصوصية التّحليل والمساءلة، ويستدرجنا مالك بن نبي إلى الإمساك بتساؤلات متشعبة من أوجهها: أوروبا هي مهد العالم الحديث؟ وكان اليهود قد وصلوا إلى أوروبا بشخصيتهم المنفصلة عن الديانة المسيحية، التي كان لها دور محوري في تعاقب حضارات أوروبا، فاليهود بعد التيه وما تلا ذلك من أحداث، قرروا أن يتجهوا إلى أوروبا بعد هدم هيكلهم، فالشعب اليهودي لم يكن مخدوعاً حينما أدار ظهره لعقده الطرق الآسيوية المزدهرة، واتجه إلى أوروبا برغم فقرها أيام الهجرة اليهودية، فالمعروف أن النقاء الطرق التجارية العالمية كانت تتلاقى في مدن الشرق وليس الغرب والياً، ظل لأكثر من ألفي عام بين الهند والصين، ولكن وقع اختيار اليهود نحو الغرب الفقير غير المتحضر<sup>(1)</sup>؛ فالمبرر النفسي هو أن الشرقي يختلف حسب "مالك بن نبي" عن الغربي، فالغربي عجيبة رخوة لا ماض ثقافي لها يُذكر، وفي المقابل يدرك اليهود أن الشرق لا يراه إنساناً معرّى عن أية أغلفة ثقافية، وإنما يراه من خلال نموذج ثقافي معين، والأعيبه في إخفاء هذه الذات والتّمويه عنها مكشوف لديهم بحسب تصورهم، ويقول مالك بن نبي: "فالشعب اليهودي له خصوصية معروفة جداً، ولها موقعها في علم النفس الإنساني، وخياره أنه قد وجد مساحته كاملة

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 42-43.

في العجين الرّخو البادي في طبيعة الأوروبي، وهذا هو السبب الأكيد في خيار لا محل له في طبيعة الشرقي على الخصوص؛ فالرّجل الشرقي يعيش روحه وفكره وينظر إلى علاقاته مع الآخر من فكره<sup>(1)</sup>.

كما أن اليهودي لا عقدة بينه وبين الأوربيين، وفي الوقت نفسه جاء اليهود مشتتين غير فاتحين؛ لأن أوروبا في ذلك الوقت لم تكن كما هي عليه الآن حينما قدم إليها اليهود، بل كانت في بداية نشوئها، كما أن لأوروبا مسوغًا آخر يتمثل في أن الإنسان الأوروبي في ذلك الزمان لم يكن يملك حضارة بمعناها الحقيقي، في حين أن آسيا هي من كانت حاضنة الحضارة والإمبراطورية؛ فأوروبا كانت خامًا وقابلة لتشكيلها من قبل العقلية اليهودية بالطريقة التي يريدونها<sup>(2)</sup>، ولذلك كان تأثير اليهود بارزًا في الحضارة الغربية وبرزت نجوم في سماء أوروبا، مثل: "أندريه موروا" و"سارا برتار" و"مدام كوري" و"روتشيلد" و"رينية ماير" وغيرهم الكثير، وهي قيادات بارزة في جميع الميادين في الصحف والاقتصاد والإنتاج السينمائي<sup>(3)</sup>، وفرنسا لم تكن بلدًا يهوديًا لكن الغريب أن الفرنسي مستعد للموت من أجل التقدم الذي يترأسه يهودي، وهذا الانتشار لليهود ومكانتهم مكنتهم من تولي رئاستها، حيث يسمى رئيسها بالفارس القدوس، وهي كلمة عبرية، وكذلك نجد نائب ملك الهند يهوديًا وكبار المسؤولين في وزراء بريطانيا "درزائلي" ذا التفكير المتعصب ضد الإسلام، وهو من قال: "لن يكون هناك سلام ما دام هذا الكتاب موجودًا"<sup>(4)</sup>، أي: الإسلام، والأكثر غرابة أن الحرب الكبرى عام (1939-1943م) لم تكن في حقيقتها إلا دفاعًا عن اليهود

---

(1) المصدر السابق، ص 50.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 48-50.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 45.

(4) المصدر نفسه، ص 46.

الذين اضطهدوا، فهولندا أصبحت ملاذًا لليهود ولمن فروا من هتلر، وكذلك استقبلتهم أمريكا، وأنيشتاين أحد هؤلاء، وكان لليهود اليد الطولى في السلطة السياسية العملية، ولا يخفى على أحد أن من يدير السياسة في أمريكا هم يهود، ولا ننسى في هذا المجال أن نقول بحسب ما ينكر بن نبي أن الذي حاز على شرف صنع القنبلة الذرية، التي أُلقيت في صحراء المكسيك، هو أوبنهايم من أصول يهودية<sup>(1)</sup>. وكل ما سبق هو من مظاهر الحضارة المسيحية<sup>(2)</sup>، التي كان اليهود فيها مكونًا رئيسيًا، وكانت أوروبا هي الآلة الجاهزة لمهمة إسرائيل القادمة<sup>(3)</sup>.

فحينما عاش اليهود في أوروبا؛ أصبح اليهوديُّ يهوديًا عصريًا كما يسميه مالك بن نبي، فقد تغيّر حال اليهود، ونزعوا اللحية واللباس والطاقيّة، وكل ما يدل على هويتهم اليهودية إلا فكرهم، فإنه ظل على مر الزمن كما هو، وإنجاز الهدف الذي سعى إليه آباؤهم، وصمموا على إكماله، ولذلك فقد بدأ البحث عن عالم جديد لهم بقيادة الآلة والتكنولوجيا، فاليهودي لن يرضى لنفسه إلا أن يكون رأس الهرم، واختار لنفسه العصب الاقتصادي، فدخل مجال البنوك والاقتصاد، فهو شريان الحياة في العالم الحديث، واليد الطولى في التحكم بالعالم، واقتضى الأمر مع مرور الزمن أن تتهود الديمقراطية، من حيث التعامل، فقد أصبح المجتمع الأوروبي مقتصرًا على نموذجين: الرجل الذي بيده ملفات، والرجل الذي بيده زواتته (كناية عن الاقتصاد)، وهكذا رويدًا رويدًا، وبفضل السيطرة المالية والاقتصادية أصبح العالم متهودًا<sup>(4)</sup>، أي: أصبح يُدار من قبل اليهود، وأصبحت الأسماء الأكثر بروزًا في ميادين البنوك والصحافة والمسرح والصناعة والأدب أسماءً

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 47.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 54.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 51.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 68-74.

يهودية، وظهر اليهود في المتظمات الماسونية، وبرز اليهودي في مظهر شخصيات سياسية بارزة<sup>(1)</sup>.

وتمتع اليهود بثراءٍ فاحشٍ؛ إذ كانت (85%) من المباني في برلين يملكها يهود، فالمسارح والصحافة والراديو ودور السينما والبنوك والتجارة؛ كلها بأيادي يهودية، وصار دور اليهودي أساسًا في مؤسسات الدولة وقوانينها. وتكلم مالك بن نبي على حرب قادمة، بتأثيرٍ أساسيٍّ ومباشرٍ لليهود، وستكون نتائج الحرب والصدام والصراع وخيمة على الغالب والمغلوب، وسيكون هنالك مذابح للأطفال والشيوخ والنساء وأحداثٍ وتخريبٍ ودمارٍ، ورشحت القارة الأفريقية؛ لأن تكون ساحة حرب، وستخلف هذه الحرب أرضًا محروقة. وقد تنبأ مالك بن نبي بهذا قبل الحرب الباردة، وقبل سقوط الحزب الشيوعي في الثمانينيات، حينما كان -ولا يزال- المعسكر السوفييتي يهيمن على بعض دول العالم<sup>(2)</sup>.

فاليهود حسب رأي مالك بن نبي وراء كل صراع وإثارة كل صدام؛ لأنهم يمسون بالاقتصاد والإعلام في العالم، إضافة إلى دور الصهيونية التي تعمل سرًا كمنظمة لصالح المشاريع والمخططات اليهودية. ففي إسبانيا كان للمال اليهودي دورٌ عالميٌّ في إبعاد الإسلام والمسلمين من أرض أوروبا؛ فالمال اليهودي سُخر وسيلةً لإدارة السياسة العالمية، التي تجلت أشكالها في الاستعمار والرأسمالية والعنصرية<sup>(3)</sup>.

وتظهر العبقرية الفكرية لمالك بن نبي واستشراف المستقبل بمعطيات الحاضر أن مالك

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 43-45.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 78-107.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 67.

بن نبي -بخصوص المسألة اليهودية- توقع أنهم سيملكون العالم، ويسودون في مجالات الحياة العلمية والسياسية والدولية، في الوقت الذي كان اليهود في ذلك الوقت لم يملكو العالم بصورة كما هم عليه اليوم، فهو نوع من الحس المستقبلي النبوي، والنظرة العلمية الفاحصة نحو المستقبل بناء على المعطيات.

وما أود أن أنوه عنه أن اليهود ليسوا على صورة واحدة {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} الحشر: 14، يسود تصور حول اليهود أنهم جماعة واحدة، لها توجه وشكل ثقافي واحد، إلا أن التحليل العميق يقر بحقيقة أخرى، هي أن اليهود هم جماعات وليس جماعة واحدة، والأصل في تماثل مواقفهم يعود إلى إيمانهم بالأرض الموعودة والوطن المفقود، فهذه هي الفكرة الموحدة لهم، أما البنية وتركيبها فتتسم بالتوليفة المختلفة، هذا ما نبه إليه "عبد الوهاب المسيري" من خلال إجابته عن سؤال: من هو اليهودي؟ فرد قائلا: إن الشخصية اليهودية هي نتاج لتفاعل بين مجموعة متعددة من البشر، ومركّب من الظروف التاريخية والبيئية، على مدى زمني معقول، وهو الأمر الذي لم يتوفّر إلا للعبرانيين، ولم يتوفّر للجماعات اليهودية التي انتشرت في بقاع الأرض المختلفة، فعاشت تحت ظروف اجتماعية مختلفة؛ لذا نرى أنه يجب الابتعاد عن التعميم المتعسف، والكف عن استخدام صيغة "الشخصية اليهودية"، لنتحدّث بدلاً من ذلك عن "الشخصيات اليهودية" و"الهويات اليهودية"، فصيغة الجمع لا تنكر الخصوصيات اليهودية، ولكنها لا تجمع بينها وكأن هناك صفة جوهرية أو عالمية كامنة في كل اليهود، فقد حرّمت القيادة الدينية اليهودية دراسة اللغات الأجنبية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا على الحاخامات، حتى أنهم كانوا غير قادرين على تحديد اتجاه القدس، لكن مع مشاركة اليهود في تكوين الحضارة الغربية، وانتشار العلمنة بينهم، وتولي العلوم الحديثة من قبل اليهود وظهور الاتجاه النقدي -تغيير تفكير اليهود وتنوع توجهاتهم

وأفكارهم<sup>(1)</sup>؛ وتبعًا للسقف المعرفي لمالك بن نبي الذي كان يمتلكه في زمن تأليف كتابه عن اليهودية، لم تتوفر لديه الأدوات التحليلية التي توصله إلى هذه النتيجة، وربما أن هذه الأمور قد تحتاج إلى مفكر تاريخ، يتخصص في قراءة التاريخ وأحداثه.

من المؤكد أن موروثات الكراهية نحو آسيا لازمت اليهود، وأصقت مسميات بها، كالخطر الآسيوي (الخطر الإسلامي)، والصاق التهم بالآخر، فقد تركوا بلادهم واتجهوا إلى أوروبا للتخلص من حاضر مشكوك فيه للعمل من أجل المستقبل، فالحنين إلى الأرض الموعودة شمل اليهودي الألماني والإنجليزي والأمريكي، وهذا الحنين هو من وحد التوجه السياسي والأخلاقي<sup>(2)</sup>؛ لأن اليهود وهم في طريقهم إلى تحقيق حلم العودة إلى الأرض الموعودة التقوا بالإسلام. وعلى الرغم من أن الإسلام تعامل مع اليهود في المدينة كجزء من وحدة المدينة، فإن الحرب في العقلية اليهودية كالماء للسمك؛ حيث سعى اليهود إلى المؤامرات وإثارة الفتن والقتل كقتل عثمان وعمر وعلي، وفي عهد لاحق ساهموا في إنشاء جماعات سرية كالإسماعيلية والقرامطة، وتسلمهم إلى دواوين الخلفاء والسلاطين وإثارة النزاع بين الأمويين وإمبراطور إسبانيا كانت بداية الحروب الصليبية؛ حيث أصبح اليهود من الوجوه الكبيرة في الكنيسة الرومانية، وأسسوا مؤسسة اليسوعيين التي حاربت الإسلام في كل مكان<sup>(3)</sup>، حتى في أثناء حياتهم تحت مظلة الإسلام، فقد التقطوا من الحضارة الإسلامية ومن فنونها؛ إذ انتقلت العلوم الإسلامية إلى أوروبا بجهودهم، وكانت سبب انطلاق إشعاع الغرب.

---

(1) المسيري عبد الوهاب، من هو اليهودي، (مصر: دار الشروق، د.ط، 2002)، ص 11.

(2) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، (المسألة اليهودية) مصدر سابق، ص 55.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 58.

فقد استطاع اليهود أن يرسموا خططهم وتكروا للإسلام وهاجموه من خلال توغّلهم العميق للنفسية الإسلامية وفهمهم لها نتيجة الانعطاف التاريخي، وكان من أكثرهم عداوة للإسلام "سبينوزا"، وظل اليهودي يحاول أن يخفي حقيقته، وربما أن حياته في الحيثو قد أثرت فيه، وربما أن مأساته مع هتلر جعلته يتجنب أن يتعرف عليه الآخرين، فظل غامضاً لاعتقاده أنه محاط بالكراهية، وظل ولاؤه للحيثو مكاناً آمناً له، ولعل هذا ما دفعه إلى التجارة حتى يفكّ عزلته ليندمج مع المجتمعات الغربية، ومن خلال التجارة يصور نفسه أنه إنسان هائم، باسط وجهه، ومثير للشفقة بدلاً من أن يُثير الريبة والشك<sup>(1)</sup>.

وبدأت النهضة الأوروبية ووصل الإسلام إلى أوروبا، وكان لليهود دور في إبادة المسلمين عن طريق محاكم التفتيش؛ تمثل في الشخصيتين "دي لولا وبيار ويو؛ إذ تولى الأخير إبادة المسلمين واليهود معاً من أجل تحقيق أهداف سياسية، وكان من الغريب أن يقوم المسيحيون بذبح المسلمين بدلاً من ذبح من قتل المسيح، وإنما جرى الاحتفاظ بهم ليؤدوا دوراً عالمياً بالمال والاقتصاد، ولذلك كان لا بد لليهود أن يتخلصوا من الإسلام وزرع العنصرية والرأسمالية والاستعمار، عوضاً عن تعاليم الإسلام، وصار سلاحهم الوسائل المادية والأيدولوجية<sup>(2)</sup>.

فقد شدّد اليهود حملتهم في رفع أسعار المواد الغذائية وغلاء الأسعار لاستثارة الناس لصنع ثورة، من خلال هذه الوسائل، فثورة فرنسا من إنتاجهم وتديبرهم "جان جاك روسو والإنسيكو بديين"<sup>(3)</sup>، أما بالنسبة إلى العالم الإسلامي فقد تطورت النفسية السياسية بعد حرب (1945م)،

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 61-63.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 68-69.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 82-83.



وانطلقت نحو أمريكا ونحو هيئة الأمم المتحدة، وأعلنت أمريكا تأييدها لإعلان ابن غوريون بإقامة ما أسماه "دولة إسرائيل"، وللمساعدات التي قدمتها أوروبا إلى إسرائيل لتصدي العرب؛ إذ أُخرج الفلسطينيون من بيوتهم بعد هُدنة مع إسرائيل، وظل الفلسطينيون يعيشون على أمل العودة إلى فلسطين حتى يومنا هذا<sup>(1)</sup>.

فيرى مؤرخون أن الهدف الذي من أجله قامت الصهيونية؛ تمثل في القضاء على ما سمّي بضائقة اليهود في العالم، والحقيقة أن كثيراً من اليهود لا يزالون يعيشون خارج فلسطين المحتلة؛ ولهذا فلا مضامين لإقامة هذه الدولة؛ حيث إنّه لم تستوعب اليهود داخل أراضيها<sup>(2)</sup>، وقد جاء المفكر اليهودي "بو عز عفرون" (1927)<sup>(3)</sup> لينفي ما قالته الادعاءات الصهيونية في كتابه: (الحساب القومي)، التي مفادها أن اليهود ظلوا يتطلعون للعودة إلى فلسطين، وأكد هذا الكلام المفكر الأديب (يهو شواع)؛ حيث ذكر أن اليهود لم يبذلوا على مدى ألفي عام، (منذ الخراب عام 70 بعد الميلاد، أي: من الفتح الروماني إلى خراب أورشليم، أي: سنة خراب بيت المقدس الثاني 70 ق.م- 70 بعد الميلاد)، الموافقة سنة 3408 إلى سنة 3828 عبرية<sup>(4)</sup>، لم يبذلوا أيّ جهود

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 109-110.

(2) ينظر: أبو غدير: محمد محمود، ومجموعة مؤلفين، المؤرخون العرب ودورهم في الكشف عن الخصوصية الإسرائيلية التي تتعارض مع مضمون حوار الحضارات، في كتاب (التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع)، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة، د.ط، 2003م)، ص (246).

(3) بو عز عفرون: هو أحد المثقفين الإسرائيليين القلائل الذي سار طوال حياته ضد التيار، بسبب رفضه للفكر الصهيوني، الذي اعتنقه معظم أبناء جيله من المثقفين والكتاب والأدباء والصحفيين. برزت جرأته وشجاعته الفكرية بوجه خاص، من خلال، بو عز عفرون "الحساب القومي"، ترجمة: محمد محمود أبو غدير (1995)، الذي أسس فيه لهيستريو جرافيا مختلفة تماماً عن مناهج غالبية المؤرخين اليهود.

(4) ينظر: حسين محمد أحمد صالح، تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى منذ العودة من السبي البابلي وحتى الانتهاء من تدوين التلمود، فعاليات ندوة بناء المناهج (الأسس والمنطلقات)، كلية اللغات والترجمة، (السعودية: جامعة الملك سعود، ج2، 1424هـ)، ص 24.

تُذكر للعودة إلى أرض "إسرائيل"، حتى بعد أن صدر وعد بلفور الذي جاءت به بريطانيا، فغالبية اليهود لم يعودوا إليها<sup>(1)</sup>، ولذلك فإن ما يسمّى بدولة (إسرائيل)؛ هو مشروع حمل في أحشائه بذور الصراع والمشاكل المستقبلية، بحجج واهية لا أساس لها من الصحة، فدولة إسرائيل ظهرت نتيجة مشروع سياسي ثقافي، وبخلفية أسطورية، وبقوة عسكرية، وبتهجير الشعب الفلسطيني من أرضه قسراً، وهي بمثابة دولة استدعائية لتحقيق دولة على أرض الميعاد؛ باسم الوعد الإلهي الذي خصّهم به<sup>(2)</sup>. فالصهيونية كانت تستهدف تحقير الجانب العربي وعلت على تفريق الصف العربي وشلّ مجهوداتهم لاستعادة فلسطين وساعدهم على ذلك العملاء من الجانب العربي<sup>(3)</sup>، وكان (التقدمية) في الغرب -ولا يزالون- يقفون بجانب الصهيونية، معلنين أنهم يدعمون كفاحهم العادل، بل إن هيئة الأمم تدين الشعب الفلسطيني وهو الذي طُرد من دياره بوحشية<sup>(4)</sup>.

وسؤال نظرحه -هنا- هل اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها؟! وللإجابة عن السؤال نأتي برأي مالك بن نبي؛ إذ يرى في منهجه قبل أن يُطبقه على تفحصه للظاهرة اليهودية؛ إلى أهمية تجاوز المظاهر السطحية المباشرة، والتعمق السؤال حول البنية العميقة للأحداث الوقائع؛ وهذه اللغة المنهجية نأخذ بها إلى المسألة اليهودية، وكيف قاربها "مالك بن نبي"؛ وأكثر من هذا "العالم الحديث" بمنظومته في القيم وعناوينه، التي تعبر عن هوية هذا العالم وحضارته، فالحضارة الغربية جمعت بين أوروبا والمسيحية و هذا التزاوج بين الثنائية لم يكن سوى عنوان نظري نجده عند

---

(1) ينظر: المؤرخون العرب ودورهم في الكشف عن الخصوصية الإسرائيلية التي تتعارض مع مضمون حوار

الحضارات، في كتاب (التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع) مرجع سابق، ص 234.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 237.

(3) ينظر: بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 108، 119، 120.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 129.

المؤرخين أكثر مما نجده عند عالم الاجتماع أو الفيلسوف، أي ذلك الذي ينصب جهده على تتبع الأسباب ورصدها، و أن هناك إرادة الخفية تختبئ خلف تلك الأحداث، فمستقبل العالم يعتمد على الدروس التي تُؤخذ من الماضي، كما أنه من الجنون أن نتناسى السر الغامض في تكوين العصر الحديث والمعاصر، ويتوقع مالك بن نبي أن دولة الاحتلال التي تسمى بـ"إسرائيل"؛ لن تجد لها مكانًا في العالم القادم بكل اتجاهاته.

ويتضح مما سبق أنه ينبغي أن يكون للعالم العربي والإسلامي دورٌ بارزٌ ومكانةٌ خاصة في النظام الجديد؛ بتبني قيادة مركزية قادرة لمدى بعيد على تجنيد العالم كلِّ أشكال الصراع والصدام<sup>(1)</sup>.

ويؤكد مالك بن نبي أن الأفق الزمني الذي ينتمي إليه هو؛ يُظهر فيه قيمًا متحالفة بين كل من النزعة اليهودية، والرأسمالية والاستعمارية؛ والمسلك الآمن الذي يراه مالك بن نبي هو أن الإسلام رسالة عالمية يمكن أن تساهم في التصدي للمشكلات العالم، فالإسلام دين قادر في تكوينه على تصحيح الرأسمالية وتعدّل مسارها، وكذلك الشيوعية ومحور العنصرية والاستعمار؛ ليأخذ على يد اليهود في إدارة العالم، ودور الإسلام في إدارة العالم الجديد يعتمد على قيمته الداخلية والقيم الروحية في الإسلام، وفعاليتها على استيعاب مخلفات عصر مضى لترسيخ بنیان الحضارة الإنسانية<sup>(2)</sup>. ويكون الهدف من هذا كله هو تحقيق سلام عالمي؛ لأن الروح في مراحل جراحها تبحث عن الفكرة التي تنشلها وتواسيها أكثر من أي شيء آخر، وقد حاول مالك بن نبي أن يربط هذه الغاية بالتخطيط، بقسميه: الداخلي والخارجي، فالداخلي بتقنّت القابلية للاستعمار والعمل على

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم (المسألة اليهودية)، ص 149.

(2) المصدر السابق، ص 130.

إعداد نُخبة مختارة، تحقق جوانب البناء التكاملي: العقائدية في بنية الإيمان، والقيمية في معايير السلوك، والاجتماعية في شبكة التّواصل، ثم بالوصول إلى العالمية في المدى الإنساني، وفيما يخص مسألة الإسلام الخارجي، لا سيّما مع الأوروبي، حيث يُنظر فيه المسلم إلى الأوروبي أنه ذو طبيعة عفوية تمتاز بسرعة المبادرة، "إنّها طبيعة جميلة لولا أن اليهود شوهوها"، من هنا يتّصف المشروع بالسّعي إلى العودة بالمجتمعات الأوروبية إلى أصلتها وعفويتها<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup>المصدر نفسه، ص140.

### المطلب الثالث: تجليات الصراع الحضاري عند مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن الصراع الحضاري لا يكون في الجانبين السياسي العسكري، وإن كانا الأبرز كما سبق توضيحه، ولكن تجليات الصراع تبرز في مظاهر كثيرة في العالم الإسلامي، ومنها:

**أولاً: الصراع الثقافي:** حاول الاستعمار بكل السبل أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الهوان والذل، فيقول: إن من السهل أن تلمح مباني، مثل: السراييب موجودة في المدن العربية، ويستشهد بضواحي الجزائر، فيُشَبِّهه سقف المباني بالقبو أو بظهر الحمار<sup>(1)</sup>. والسائد في الطراز العمراني الإسلامي أن يكون مسطحاً ومستويّاً، فيجعل ذلك مظهرًا من مظاهر الصراع الثقافي، الذي يحاول أن يمحو الطراز الإسلامي الجميل، الذي أدهش العالم في الأندلس وبغداد ودمشق<sup>(2)</sup>.

والاستعمار مسؤول عن تغييرات كثيرة في ذلك، من حيث إشاعة الفوضى في العالم الإسلامي، والقضاء على كثير من العادات والتقاليد، وهو أفضع تخريب أصاب تاريخ الأمة العربية والإسلامية، فقد أدى إلى عرقلة تطور المجتمعات العربية والمسلمة وتأخر تحررها السياسي والثقافي<sup>(3)</sup>. وحتى حينما تحدثت عن الحضارة الغربية رأى أنها تجعل المسلم عندها مثل زبون ومقلد؛ بمعنى: تفتح أبواب متاجرها للشراء دون أن تفتح أبواب مدارسها للتعلّم<sup>(4)</sup>. فقد أنشأوا معامل لهم أخذت صورة بنوك وصحف وسجون والمدارس الاستعمارية<sup>(5)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 113.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 113.

(3) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 41.

(4) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 54.

(5) المصدر السابق، ص 114.

ولعل تجربة مالك بن نبي ساهمت في توضيح صورة الحضارة الغربية بحكم المعاشية:  
"مالك بن نبي أطلّ في باريس على العالم الغربي ولم يدخل لعبته، لقد كان بين ناظره حقل دراسة  
يُسيطر عليه بفكره، ويرقبه بعين الناقد يدرك محاسنه ويحسُّ بأبعاد مساوئه"<sup>(1)</sup>، فالطالب المسلم  
حينما درس فيها كان هدفه أن يدرس اللغة أو يتعلم حرفة دون اكتشاف حقيقة الثقافة ومنابعها،  
ولاحظ أن المدرسة الاستعمارية بوسائلها التربوية قد ساهمت في جعل المسلم عبداً للاقتصاد  
الأوروبي؛ حيث جعلت منه نسخاً وآلات؛ مما نقل الشعوب الإسلامية إلى حالة انبهار لتقوم  
بتقليدها دون أي إبداع، عن طريق الاغتراب الثقافي واللغوي (فرنسا دول المغرب العربي)، وطمس  
الهوية، وحوّلت المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات استهلاكية<sup>(2)</sup>. فرأينا اللباس والوجبات السريعة  
والتسريحات وأشكال الحلاقة والذوق العام، تغير كله بحجة مسايرة الموضة والماركات؛ وأدى  
الإغراق في الاستهلاك إلى الاغتراب الثقافي والفكري واللغوي؛ مما كان له دور سلبي في تأخر  
الاستقلال الثقافي، وتأثير خطير في السيادة الوطنية، ونتج عن ذلك كله -بالإضافة إلى أسباب  
أخرى- ظاهرة هجرة الأدمغة والمفكرين إلى الخارج، مع طمس كل معالم الحضارة الإسلامية،  
ولعل ما حصل للجزائر خير شاهد، فقد حوّلت إلى أراضٍ فرنسية، وطُمت المعالم الأثرية فيها،  
وزورت كل الحقائق التاريخية، فالمثقف لا يكتب شيئاً إلاّ بإذن المستعمر و"كيف يأمر الأوروبي  
(الأنديجين) حتى يطيعه"<sup>(3)</sup>.

وكانت النتيجة جيلاً ممسوخ الهوية وضعيفاً لا يؤمن بالعمل ولا بالعلم، ويسعى إلى

---

(1) عمر كامل مسقاوي: مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر، مرجع سابق، ص 28.

(2) ينظر: أحمد محمد عمار: صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 54.

(3) ينظر: بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 52.

الاستهلاك والطيش واللهو، وسادت الأزمة الثقافية داخل المؤسسات التربوية والتعليمية لجيل المدارس والجامعات، فضعف المجتمع وضاعت القيم والعادات والتقاليد، وحلت محلها القيم الغربية والثقافية والفكرية والأخلاقية، وتوارت قيمه المقدسة؛ فلذلك نرى أن المجتمعات اليوم يسودها الإجماع والجنس والانفتاح اللامحدود واللامبالاة، وانتشر التقليد الأعمى دون قيد أو شرط<sup>(1)</sup>. كما نشهد تأثير الصراع الحضاري وتجلياته في تغيير المناهج التعليمية واعتماد المناهج الغربية بدلاً عنها، وإغلاق كثيرٍ من المراكز العلمية والبحثية والجمعيات الخيرية التي تقوم بدور توعوي؛ بحجة أنها منظمات داعمة للإرهاب، مع تهجير المفكرين وطمس الكثير من معالم الثقافة الإسلامية.

### ثانياً: الصراع الديني:

إن إحساس المستعمر بالعنصر الحيوي الموجود داخل كل مسلم، وإمكانية دوره الفعال في الحياة والوجود، جعله يُعد الإسلام عدوه الأول؛ فلذلك حاول قولبته بنظرة مادية معلمنة، وتحويله إلى ظاهرة اجتماعية تعالجه، وإخضاع منظومته إلى الفلسفات الفكرية الحداثية، دون النظر إلى خطورة انهيار العقائد والقيم، وتقوم هذه الرؤية أساساً على مبدأ فصل الدين عن المجتمع وعن الحياة، وحصره في الجوانب الروحية<sup>(2)</sup>. لذلك برزت تجليات الصراع في الآثار الوخيمة على النفس؛ حيث التشاؤم والقنوط والأزمات الروحية، التي أوصلت بعض المسلمين إلى الارتداد أو إلى التطرف ردّ فعل تجاه هذا الانسلاخ. كما تظهر الصراع الديني في تحويل المساجد (في الجزائر مثلاً) إلى كنائس، بل إلى ثكنات عسكرية، وإلى أماكن للهو وحانات لمقارعة الخمر، ناهيك عن

---

(1) ينظر: أحمد محمد عمار: صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، مصدر سابق، ص

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 58.

تلك التي دمرت بأمر السلطات الاستعمارية؛ ولهذا يرى مالك بن نبي أن هناك ما سهل للاستعمار القيام بكل تلك التعسفات على أماكن العبادة لأدراكهم لقيمتها السامية عند المسلمين، وما ساعده على مهمته هي القابلية للاستعمار التي أعطته تأشيرة مرور؛ إذ قنن حركة المجتمعات المسلمة وفكرها<sup>(1)</sup>.

ويوضح عمق هذا الصراع وآثاره الوخيمة ليس على الجزائر فحسب؛ إذ أشار إلى وجوب تتبعه ومعرفة طرقه وأساليبه، " فنحن نريد أن نبجته بحثاً علمياً في بلادنا، ولكي نتبع المقياس الصحيح نحتاج إلى أن نراه في أعماق التاريخ، وأن نوسع نطاق البحث فيه؛ لأنه ليس بالشيء الذي يخص الجزائر فحسب، لكنه يهم بصفة عامة علاقة الحضارة الغربية بالإنسانية منذ أربعة قرون"<sup>(2)</sup>.

وقد حاولت المنظومات الفكرية المادية الاستعمارية طمس معالم الإسلام بطرق غير مباشرة، فقد بُني بيوت لليتامى، واستغلوا الظروف الاقتصادية والبيئية؛ على غرار مرحلة المجاعة، وأنشأوا جمعية الآباء البيض بقصد تنصير المسلمين، وكان هذا بقيادة الكاردينال (لا فيجيري)، وخطت لنشر الخرافات على نطاق واسع، وتخللت قلوب الناس عقائد غير عقيدتهم لتحل محل الثوابت الدينية؛ بتوجيه من السياسات الاستعمارية وأذنائها<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، 33-34.

(2) المصدر السابق، ص 148.

(3) ينظر: أحمد محمد عمار، صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، مرجع سابق، ص



## ثالثاً: الصراع الاجتماعي:

يرى مالك بن نبي أن الاستعمار هو العنصر الرئيس في كل فوضى العالم الإسلامي التي مرّ -ولا يزال يمرّ- بها؛ فهو لا يتدخل بموجب الحاكم والمحكوم فحسب، وإنما بصورة غير معلنة في علاقة المسلمين بعضهم بعضاً، فيظهر في شكل تمرد للشباب مثلاً على القيم والقيادة الدينية<sup>(1)</sup>، وتمثل الدور التخريبي أيضاً في القضاء على طموحاتهم، وتجنيد مجموعة من المتخلفين والروبيضة ليقفوا في وجه دعاة التجديد والإصلاح، وتهميش كل الأفكار الإيجابية. ويتجلى في أشكال كثيرة، كإنشاء مدرسة استعمارية تدير العقول والأفكار منذ الطفولة، أو مجامع علمية تتبناها دور استعمارية، بوصفها مدارس العلوم الشرقية في باريس، وافتعال مؤتمرات تخفي أغراضها الحقيقية، وكل هذا لمحاصرة أي فكرة إصلاحية بهدف هدمها<sup>(2)</sup>.

كما يعمل على التضليل العلمي ويستعين -في سبيل ذلك- بمدعي التصوف وبعض العلماء والجامعيين المخدوعين والإقطاعيين، فأمام كل مصلح اجتماعي تقف شخوص تمثل الأفكار البالية والخرافات كعوائق ومثبطات أمامه، فيعيق الحياة الفكرية ويُعيق تطورها<sup>(3)</sup>، بعرقلة أي رخصة لمسجد أو نادٍ أو مركز تعليمي ناجح، وتشجيع وتسهيل المرافق المخربة للأخلاق وتسهيلها، مثل: فتح الحانات أو أي مأوى للإفساد والدعارة؛ إذ يقول في كتابه "في مهب المعركة": "استمعت إلى محاضرة في أحد معابد البروتستانت؛ يذكر فيها المحاضر في حديثه عن العالم الإسلامي؛ أنه كان يوجد شخصٌ مسلم له مقهى في إحدى ضواحي باريس، وبحكم أنه مسلم لم يكن يسمح بالقمار

---

(1) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 109.

(2) ينظر: المصدر السابق. بتصرف.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 110.

ولا بالمشروبات المُسكرّة، فوجد نفسه مطارداً من الشرطة كل يوم؛ لأنه رجل خطير، أدرك هذا الشخص أن انتهاج طريق الفضيلة أوصله إلى هذه المضايقات، فتحول عنها إلى طريق الرذيلة، فتركه البوليس (الشرطة) وشأنه، وانتهت خطورته. ويتضح لنا خطة الاستعمار الخفية وترتيباته لإفقار المسلم مادياً ثم يتبعها بتلويثه أخلاقياً؛ وبذلك لا يبلغ هدفاً ولا يصل غايةً<sup>(1)</sup>.

وفي نطاق الأحوال الشخصية؛ فإن المسلم يُعد قاصراً ويحتاج إلى حماية المستعمر الحامي، وفي حالة شدّ القاصر عن الطريق أداه إلى إلغاء عقد الحضانة؛ إذ يعد مخالفاً للشرع والأخلاق، مع عقوبة قانونية محتمة، وربما يتعرض للقتل الشنيع. ولهذا يرى مالك بن نبي أنه إذا وصلت المجتمعات الإسلامية إلى هذه الدرجة من الانحطاط، وعجزت عن القيام بأي نشاط مشترك بشكل فعّال، فتلك أمارات لمرضها وأنها شارفت على نهايتها، وربما كانت هذه الحالة من التمزق والتحلل في المجتمعات نتيجة؛ لأنها أصبحت عاجزة عن أداء أي نشاط مشترك<sup>(2)</sup>، وغالباً ما يركزون على فئة الشباب.

ولا شك في أن الاستعمار أدرك أن الشباب هم عماد الأمة، فجعلهم يلهثون وراء التقليد الأعمى، عبر رسائل في الإعلام المضلل، فأصبحت هناك أشكال اللبس، وقصات الشعر، وتقنن الشباب في وضع العطور والمكياج؛ حتى أصبحوا ليسوا مثل الشباب العاديين؛ فالصراع الاجتماعي بين الشرق والغرب يطول شرحه، وله صور شتى في نظر مالك بن نبي، فهو سبب فساد أخلاق المسلمين، ومصادرة حرياتهم واقتلاعهم من أرضهم بالسجن والتشريد والتقتيل وتدمير البيوت والتهجير الجماعي والتعذيب، كما هو الحال في فلسطين وأيام الاستعمار الأوروبي لمختلف بلدان

---

(1) بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، ص 44.

(2) ينظر: بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 42-43.

العالم الإسلامي، حتى يكاد يتحقق ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي: "نجحت (الحكومة الفرنسية في الجزائر) بهذا الجند العاقل المرتزق الذي جنده واصطادته بشبكة المطامع، من الأئمة، والمفتين، والخطباء، والمؤذنين، والقومة، والحزابيين، واتباع يوسف أجمعين... كورتهم وصورتهم، ونفحتهم، وحورتهم، وعلى المنوال الحكومي دورتهم، حتى أصبحوا جزءاً أصيلاً من أدوات الحكومة"<sup>(1)</sup>. فلا يترك بلدًا دخله إلا وقد قضى على البشر والشجر، بطرق خفية وبأيدي الخونة من أهلها، فنشر الفقر، وهجران الأخلاق، وأفسد الحرث والنسل.

ويعد كل من تصدى للاستعمار إرهابياً ومتمرداً ووجب عقوبته؛ إذ يشترك معهم في هذا الحكم حتى أذنبهم من العرب، وينكر مالك بن نبي الجريمة النكراء في حق شيخ من تبسة، الذي أختطف وشُهر وألصقوا التهم به، ثم إذا تحققت براءته يوضع خبر بشكل لا يكاد يُقرأ في الصحافة، ويكاد يصب في قالب الاتهام نفسه، وفي الوقت نفسه فالصحافة التقدمية نفسها أقامت الدنيا ولم تقعد لها حين اختطف الكاردينال مندزانتني، وهو نوع من أنواع الصراع الفكري بحق المجتمعات العربية<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: الصراع الفكري:

يرى ابن خلدون في كتابه المقدمة أن المغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب<sup>(3)</sup>، فقد كان ينذر بتأثير الصراع العسكري والفكري في كلامه، معتمداً على سياقات تاريخية مهمة تمثلت بسقوط بغداد وبعدها سقوط غرناطة، وهو ما عُرف بمرور الزمن في المصطلحات الجديدة ما يسمى

---

(1) الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1971م)، ص13.

(2) ينظر: بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مصدر سابق، ص 11-12.

(3) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق ص 121.

بالاستعمار، الذي ما كان ليوجد وهو مجرد بذرة صغيرة حقيرة، ما كانت لتنتبت لو لم تغذيها التربة الخصبة في عقول المسلمين ونفوسهم، وهذا ما تنبه إليه رواد الحركة الإسلامية وأدركوه منذ قرون، وظهر جلياً في كتاباتهم<sup>(1)</sup> أن المستعمر ما كان يستطيع إسقاط الخلافة الإسلامية بعظمتها، لو لم تكن متهالكة من الداخل، ولو لم تنتبه لقصور فكري تمخض عنه نفسية المسلم بالقابلية للاستعمار، وهو المصطلح الذي استخدمه مالك بن نبي في دراساته، فالغرب استطاع اختراق الأنظمة السياسية العربية الإسلامية آنذاك، ولا يزال حتى يومنا هذا يفعل الشيء ذاته لتحقيق مآربه، فعندما أصبحت الأنظمة الفكرية والثقافية عاجزة عن الإنتاجية والإنجاز، سنحت الفرصة لخلق مناخاً ملائماً للفراغ الثقافي، الذي عزز القابلية للاستعمار وإيجاد البدائل، لحظة صدمة الحضارة الإسلامية واحتكاكها بالحضارة الأوروبية، نتج عن ذلك صراع فكري طويل المدى بين حضارتي الشرق والغرب؛ مما ولد هو الآخر صراعاً آخر داخل المجتمع الإسلامي الواحد، بل داخل الأسرة الواحدة نتيجة الانقسامات في رؤيتهم إلى الحضارة الأوروبية الغربية، وقد ظل العالم الإسلامي على هذه الحالة قرونًا طويلة، متجمداً وذاهلاً في نواحي عديدة، بسبب وجود القابلية للاستعمار في مجتمع ما بعد الموحدين، وانتهى بوقوع الاستعمار الحقيقي في العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

ومما زاد الأمر سوءاً وضاعف من خطورة الوضع، أنه جعل من الإنسان مجرد شيء من جملة أشياءه، كما جعل السلطة الحاكمة جهة تآتمر بأمر الاستعمار، وبإيصال توجيهاته إلى الشعب، بعد تحويلها إلى توجيهات جديدة مطابقة لدوافعه<sup>(3)</sup>، فالعالم الإسلامي كان -ولا يزال-

---

(1) ينظر: بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 53.

(2) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 181.

(3) ينظر: بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص 24-23.

يعاني ظروفًا قاسيةً تجعل حاله كحالة سفينة مهددة بالغرق، فالمجتمعات الإسلامية في حالة معركة بينها وبين المجتمعات الأخرى، ضمن المعركة الأيديولوجية وتتعرض لتحديات كبرى، ومن أكبر هذه التحديات الحركة الصهيونية العالمية، المتخفية تحت غطاء الرأسمالية العالمية<sup>(1)</sup>.

وهذا لا يعني أن المفكرين العرب والمسلمين في عصرنا الحالي أقل ذكاءً وفطنة، أو أدنى قدرًا في معارفهم ممن سبقهم؛ لأن للواقع الجديد الذي يسود العالم منطقتًا جديدًا غير الذي قامت عليه الحياة خلال القرنين الماضيين، فقد أصبح من الصعب الاعتماد على النظريات والعقائد التي كانت سائدة، والتي شكلت اتجاه معظم المفكرين سابقًا؛ لفهم الواقع الجديد أو التعامل مع المشاكل والأوضاع العصرية، فالأسس التي تقوم عليها المجتمعات الحالية تختلف تمامًا عن الأسس التي قامت عليها المجتمعات البشرية في السابق، فرغم كثرة الدراسات والأبحاث في هذا العصر أنت الحلول غالبًا ناقصة أو فاقدة للفعالية، فلا يوجد اتفاق حول كيفية التعامل مع الواقع الجديد، الذي يخضع إلى التغير السريع بحكم المتغيرات الداخلية والخارجية، فالأفكار المعرفية لا تتراكم بما يسمح بتشكيل رؤية مستقبلية، الأمر الذي يفنقه العالم الإسلامي ويؤثر فيه سلبيًا في كل النواحي، فالخطط المستقبلية الاستشرافية تكاد تكون معدومة في عالمنا الإسلامي.

فالصراع لم يحسم في تاريخ العالم عامة، وفي العالم الإسلامي خاصة، لا سيما في الأيام الراهنة، فمن القضايا الجوهرية التي يواجهها عالمنا الإسلامي اليوم هي من صناعة التاريخ نفسه، لكن عثراته فيها سواء في حياته الداخلية أو في الحياة الدولية هو من صنعها نفسه، وحتى نكون أكثر دقة هي من صناعة أعدائه نتيجة جهله المطبق، وبمساهمة بعض أبنائه بوصفهم مرتزقة<sup>(2)</sup>،

---

(1) ينظر: بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 59.

(2) ينظر: بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 197.

مما أدى إلى توظيف آلية الصراع الفكري في المجتمعات الإسلامية توظيفاً خطيراً في الوقت نفسه، فالأفكار ليست منفصلة عن عالم الأشخاص، بل إن أحداثها تجري كلها على الأرض، ولا يمكن فصل ملحمة الفكرة عن صاحبها فصلاً تاماً، وفكرة الاستعمار تسعى أولاً إلى جعل الفرد خائناً ضد مجتمعه الذي يعيش فيه، فإن لم يستطع يحاول أن يحقق خيانة المجتمع لهذا الفرد على يد بعض أذنابه<sup>(1)</sup>؛ إذ يبدأ بصنع العراقي في طريق إبداعه وإنجازاته، وهو يستخدم " الفكرة المتجسدة في مستوى الطبقة المتقفة، فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسدُّ منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجردة"<sup>(2)</sup>. وقد يشن هجوم كاسح على بعض القطاعات الفكرية بطريقة المال، أو سد منافذ الوعي الفكري تجاه الفكرة بلغة الدين. وهو بذلك يقضي على تلك الجبهة ويعزلها عن ضمير الشعب وعن الضمير العالمي<sup>(3)</sup>.

إن الصراع الفكري كما تجري عليه القاعدة هو عبارة عن مركب من مجموعة من الأشياء، فإذا حُلل هذا التركيب إلى عناصر، وجدنا إحدى هذه العناصر تعود إلى الاستعمار، وأخرى تعود إلى القابلية للاستعمار، فالاستعمار لا يستطيع أن يفعل شيئاً إن لم يكن هناك قابلية للاستعمار، فالنظر للصراع الفكري من الزاوية الأخلاقية يؤكد أنه يحمل معاني كثيرة، منها: المكر، الدهاء، الخداع، النهم، الشراسة، الدناءة، النذالة، النجاسة، والخبث، فهذه العناصر تُعد من فضائل الاستعمار دون منازع<sup>(4)</sup>، والخطر أن الاستعمار يجد سبيله أيضاً في الهيئات الدينية الإسلامية

---

(1) ينظر: بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مصدر سابق، 125.

(2) بن نبي، المصدر السابق، ص 17.

(3) بن نبي، المصدر نفسه، ص 17.

(4) ينظر: بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 198.

ودواوين السلطات العربية، وهذا هو الذي يعمل على تعطيل أنشطة العالم الإسلامي المختلفة<sup>(1)</sup>، وجعلها توسم بالعالم الثالث، وهذا ما يؤكد بن نبي بقوله: "إنّ البلاد المستعمرة تعيش الصراع الفكري، وتسجل نتائج السلبية في حياتها، فحينما ترسل إلى الخارج بعثة من طلبة الدراسات العليا، فقد قامت تلقائياً بعمل يتصل بالصراع الفكري، ولكنها لا تعلم بالضبط مقتضيات هذا الصراع ولا أسلوبه ووسائله وأهدافه" وحينما يتخرج هؤلاء الطلاب تسلم شئونهم للبنك لصرف رواتبهم وتدخل دون أن تشعر في حلبة الصراع ويحاط هؤلاء الطلاب برقابة شديدة أكثر من الجهة أو المصلحة التي أرسلتهم<sup>(2)</sup>.

وفي الأخير يشير مالك بن نبي إلى ضرورة انتشار الفكرة بالإقناع لا بالقوة لجميع الأطراف؛ إذ يقول: "يجب علينا أن نفكر كيف يجب أن تُعطي لأفكارها أقصى ما يمكن من الفعالية، ومن ناحية أخرى أن نعرف الوسائل التي يقوم الاستعمار باستخدامها لينقص ما يمكن من فاعلية أفكارنا"<sup>(3)</sup>، وأن العالم الإسلامي يستطيع أن يحقق الظروف النفسية لظهور الإنسان الجديد بإرادته، وأن عليه أن يوفق بين العلم والضمير<sup>(4)</sup>، وهي مهمة تركز على الجانب الروحي للتخفيف من حدة الفكر المادي والأنانية القومية؛ ليكون للمسلم دورين يقوم بهما في وقت واحد، بوصفه ممثلاً (فاعلاً)، وبوصفه شاهداً؛ وهذا الدور المزدوج يفرض أن يوفق بين حياته المادية والروحية وبين مصيره مع الإنسانية، فحتى يقوم بدور مؤثر في حركة التطور العالمي ينبغي أن يتعرف على العالم، ومعرفة نفسه جيداً، فيشرع في تقويم قيمه الذاتية إلى جانب تقويمه لما تملكه

---

(1) ينظر: المصدر السابق، 198.

(2) المصدر نفسه، ص 33.

(3) المصدر نفسه، ص 19.

(4) ينظر: بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 166.

الإنسانية من قيم؛ فالعالم الإسلامي كان قد احتفظ بمعنى جوهرى للقيم الخلقية في حين أن الحضارة الغربية افتقدتها<sup>(1)</sup>.

ويظهر في الوقت الراهن حرب الأفكار بامتياز، التي هي أبرز أنواع الصراع التي ركز عليها مالك بن نبي، فكثير من الدراسات تعمل على إذكاء الصراع القيمي والفكري، بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، من خلال زرع التناقضات في علاقة الطرفين، فالغرب يرى في العالم الإسلامي العدو الجديد خلفاً للعدو الاشتراكي، ومن أجل ذلك انتهج وسائل خطيرة بتفعيل الأفكار الميتة والقاتلة للقضاء على قيم الإسلام واستبدالها بالعولمة، فالأفكار الميتة هي التي تجول في الفكر والنفس، وهي التي فقدت حياتها بمرور الزمن، وتمثل الموروثات البالية منذ عهد الموحدين، أما الأفكار القاتلة فهي التي تربط الاستعمار بالعالم الإسلامي (القابلية للاستعمار)، فقد قتلت المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، والمجتمع هو من يصنع الأفكار القاتلة<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 165.

(2) ينظر: بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 149-147.



## الفصل الثالث: آفاق الحوار الحضاري وحلول استشرافية في فكر مالك بن نبي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فكرة كومنولث إسلامي.

المبحث الثاني: استلهام الفكرة الأفريقية الآسيوية في مؤتمر باندونج.

## المبحث الأول: فكرة كومنويلث إسلامي

طرح كتاب "فكرة كومنويلث<sup>(1)</sup> إسلامي" بمثابة خطة عملية، وهي الأولى في الفكر الإسلامي الحديث؛ إذ يخرج العالم الإسلامي من الذاكرة التاريخية إلى نطاق المعاصرة، وأنه أن الأون للعالم الإسلامي أن يخلع عن كتفيه لباس السلبية للدخول في صنع عالم جديد وبنائه.

### المطلب الأول: مفهوم فكرة كومنويلث إسلامي

استمّدت خطوط هذه الفكرة من مسوّغات الخريطة السياسية والحضارية؛ حيث تركزت القوة في محور واشنطن -موسكو، وتبع ذلك وحدات جغرافية سياسية، مثل: منطقة الصين الشعبية، والوحدة الهندية، وحلف الأطنطي، وحاليًا الاتحاد الأوروبي، في حين كان العالم الإسلامي في الخمسينيات خارج كل تلك التكتلات؛ يعيش على هامش خريطة العالم، وهو بذلك بين اختيارين، فإما أن يستجيب إلى عوامله الاجتماعية والنفسية، أو أن يستجيب إلى ثورة خارجية ترسم له مساره، وهذا ما كان يشغل المفكر مالك بن نبي في ذلك الوقت الذي كان العالم الإسلامي يضح بثورات وانقسامات وتيارات تُعج بها مرحلة الخمسينيات<sup>(2)</sup>. فالمشروع الحضاري كما يراه مالك بن نبي من خلال هذه الفكرة، التي أعدها ضرورة ملحة بحسب ما تمليه الظروف في الواقع على المستوى الدولي كان أمرًا ملحقًا؛ حيث تركزت القوة بعد الحرب العالمية الثانية على محور واشنطن -

---

(1) الكومنويلث: كومنويلث كلمة إنجليزية بمعنى الخير العام، ويقصد بها اصطلاحاً تنظيم سياسي تتشارك فيه عدة دول أو ولايات إلى تحقيق مصالحها المشتركة، ويطلق عادة في الإشارة إلى الكومنولث البريطاني .. والكومنويلث البريطاني هو سياسية اقتصادية تضم الدول التي خضعت للاستعمار البريطاني، مثل: كندا، استراليا، الهند، وعدد من الدول في آسيا وأفريقيا، وتعقد هذه الدول اجتماعات بشكل دوري لتنسيق سياساتها. ينظر: يحيى النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، (الأردن: دار ياقا، ط1، 2008م)، ص 230.

(2) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، تقديم عمر مسقاوي، مصدر سابق، المقدمة، ص 7-8.

طوكيو<sup>(1)</sup>.

ومن أسس مشروع هذه الفكرة (فكرة كومنويلث إسلامي) التخطيط للعالم الإسلامي في المجال النفسي؛ ليتمكن من تخفيف حدة الشعور بالسلبية، التي تظهر في هيئة إحباط ويأس، وقد أخذ بعين الاعتبار تميز العالم الإسلامي بوحدة عقائدية؛ إذ إن لها دوراً في بنية التماسك والتوفيق بين فئاته المختلفة<sup>(2)</sup>.

ويُظهر مالك بن نبي أسفه على حال العالم الإسلامي؛ إذ يصحو ليجد نفسه مطروداً من المعسكر السوفييتي، ويُنهب من قبيل المعسكر الرأسمالي، تُربكه الطائفية والمذهبية والعرقية، وتسَللت إليه الأصولية المتشددة، أما المشروع الإسرائيلي فهو يتغلغل في جسد الأمة الإسلامية بسهولة ويسر، فقد احتل أجزاء من العالم العربي الإسلامي دون أية عراقيل أو مقاومة. ولا شك أن فكرة (كومنويلث إسلامي) تعيد له مكانته في خريطة العالم الحديث؛ لأن المجتمعات المتخلفة عن الحضارة والتقدم والسلوك الاجتماعي الراقى لا يُعتمد برسالته ولا بشهادتها على العالم؛ لاختلال ميزان العدالة في مسيرتها التاريخية، وهذه من المشاكل التي أثارها مالك بن نبي في كتابه عن هذه الفكرة، بالإضافة إلى مشكلات الحضارة التي هي القضية الرئيسية في مؤلفات مالك بن نبي<sup>(3)</sup>.

ولا يمكن تصور فكرة "كومنويلث إسلامي" حلاً جاهزاً؛ لتنفيذها في ظل وجود ثغرات وعثرات في بنية المجتمعات الإسلامية؛ إذ يجب التنبيه بأن العالم الإسلامي في ذلك الوقت أو حتى الآن، ليس جاهزاً لتبني الفكرة؛ نظراً لوجود هذه الثغرات، سواء كانت نفسية أو سياسية، فلذلك يجب

---

(1) ينظر: بن نبي، مجالس دمشق، مصدر سابق، ص 68.

(2) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، مصدر سابق، ص 42، 43.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 9.

إنشاء هيئات مشتركة من المتخصصين بإشراف مركز للبحوث، فمثل هذه الهيئات والمراكز التي كانت موجودة في العالم الإسلامي تعرضت للهرم وانتهى دورها، أو أنها لا تزال حديثة، ولكن لم تتكيف مع أي عمل علمي واسع النطاق، فرغم بعض المحاولات في دول مثل مصر لكنها تظل متواضعة، فبعض الهيئات والمراكز في العالم الإسلامي قد أصبحت ميتة، وبعضها الآخر لم يجد النور حتى الآن ليُفعّل عمله وأفكاره، فهو يمر بمرحلة اللاتكثيف، فلا بد من اجتياز هذه المرحلة بتواءم الأشياء والأفكار والأشخاص؛ لتستطيع التكيف مع مقتضيات العصر الحديث<sup>(1)</sup>.

فكرة الكومونولث غير مهيأة للتفعيل الآني في العالم الإسلامي، ومن ثم كان لا بد من فحص العوامل التي لها دور في هذا القصور والعطب وعدم التفعيل، ويمكن ردّ ذلك إلى أمور عديدة:

**أولاً: محيط المسلم الجديد مقارنةً بالقديم:** ظل المسلم يعيش في دائرته التي حافظت فيها الحياة على طابعها التقليدي؛ ترعرع فيها؛ وتكونت شخصيته في زمن نشأ فيه، ولم يكن الزمان يقاس إلا بفواصل الصلوات، وتعود فيها على الذكاكين البسيطة، والمقاهي الشعبية، والمتسولين، والمساجد الشامخة؛ فكان ذلك عالمه الذي فُصّل على مقاسه، ولا يكاد ينتبه لأيّ عالم آخر في هذا العالم، حتى إذا قادته المصادفة إلى مكان خارج نطاق بيئته في المدينة الحديثة، رأى فيها ما يبهره، ولا يستطيع أن يستوعبه، فيستوقفه مبنى المجمع والمباني المرتفعة، فيحدث لديه انقلاب واضح في سلم الأشياء، وذلك عرضٌ من عروض التطور في العالم الإسلامي؛ ولذلك فإنه لا بد من وضع المسلم في هذا المستوى من التغيير والتطور المرتبط بضرورات اجتماعية بكل ما فيه من جوانب أخلاقية وعقائدية، لفهم ما يعتريه من الداخل، وما يمر به وعيه في أثناء الانقلاب

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص18-20.

الواضح في سلم الأشياء على مستوى تفكيره<sup>(1)</sup>.

**ثانياً: قطبي المعيار الاجتماعي:** لم يصنع الإنسان المسلم عالمَ الضروريات، وإنما وجد نفسه منضوياً تحته، حيث فرضه عليه الاستعمار في نشاطاته وأذواقه، وهو حينما يتفحص تلك الضروريات لا تبدو من جهة نظره لها أهمية أو ضرورة؛ فوقع المسلم بين خيارين: إما التأخر في الصعيد الاجتماعي، أو إنقاذ التراث الأخلاقي لمعرفته مدى قيمته وأهميته، مما أوصله ذلك إلى تناقض صريح مزق وعيه، ووجد صعوبة في الاندماج في عالم زمني أُجبر عليه، وزاد من حجم الأشياء أكثر من حجم الأفكار، فعاش في عالم غريب عليه، له منه أشياءه وليس أفكاره، وهي حالة صبيانية يبدأ فيها الطفل بوضع يده على الأشياء من غير استعداد لعواقب الفكرة<sup>(2)</sup>.

**ثالثاً: التقليد والفوضى:** المجتمعات المسلمة تمر بمرحلة مؤلمة منذ منتصف القرن التاسع، فقد توالى الضربات الاستعمارية التي لم يستفيقوا منها إلا بنداء النهضة لجمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده؛ إذ تنبه العالم في هذه المرحلة مما هو عليه من التأخر والتخلف، وكان هذا سنة (1958)، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بعصر الانتباه والوعي، بعد سبات طويل استمر لقرون طويلة، ثم الدخول في عصر الفوضى والذنبية، منذ مرحلة اليقظة حتى وقتنا الراهن، وإذا قارنا مجتمعاتنا بما كان في اليابان عام (1868م)، سنلاحظ السرعة التي استطاع فيها الفرد الياباني اجتياز الطور ما قبل الاجتماعي، فقد قام بتقليد الكبار مثل سائر المجتمعات المبتدئة، ثم قَدَّ أوروبا فاشترى الأشياء من غير فهم للأفكار التي مثلتها، كما كان في العالم الإسلامي أيضاً، ولكن يكمن العجبُ في السرعة التي استطاع الياباني أن يتعود فيها على لغة الكبار وإجادة الكلام،

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 22-24.

(2) نظر: المصدر نفسه، ص 24-25.

واعترف له بذلك سنة (1905م)، أما العالم الإسلامي فلم يتعود على لغة الكبار بعد مرور قرن من الزمن، فاليابان كما يعلم الجميع قد تمثّلت (الأفكار) فيه، في حين أن عالمنا الإسلامي يروح تحت نير شراء (الأشياء)، وهو ما أسماه مالك بن نبي الطور الأمومي<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أنّ العالم الإسلامي يظهر تحفظاً حول كلا الاتجاهين الرأسمالي والاشتراكي، فإنه يسقط دون أن يشعر في الاتجاه الرأسمالي البورجوازي؛ لأنه في العصر الراهن يكاد ينحصر في التعلق بالأشياء وليس بالأفكار؛ ولذلك كانت النتائج عكسية لهذا التوجه بمضاعفة الأشياء دون الأفكار.

**رابعاً: الاضطرابات:** ولدت الفوضى بين الأشياء والأفكار بلبلة في الأفكار اضطراباً أخلاقياً، ربما لا يظهر في طبقات المجتمع بالوتيرة نفسها، وقد أشار مالك بن نبي في استشهاده على هذه الفوضى إلى ما حصل لشاب موريتاني، الذي كان دليلاً للضابط الفرنسي "أرنست بيسياري" في صحراء موريتانيا، فقد حاول الضابط الفرنسي أن يضعه في مأزق حتى يشككه في عقيدته، بكلامه عن التفوق الأوروبي الأكيد مقارنة بالعالم الإسلامي، فما كان من الشاب إلا أن انفلت من المأزق، وقال ببساطة: "أنتم لكم الأرض ونحن لنا السماء"<sup>(2)</sup>، فالملاحظ أن إجابة الشاب فيها اضطراب شعوري، ووجود حد فاصل بين واقعه الراهن، وما كان عليه عام (1912م)، مؤكداً أن التطور الصناعي للعالم الإسلامي اليوم قد زاد في الاضطراب، ويتضح الاضطراب الشعوري لدى المسلمين عندما نرى المسلمين يشاهدون فيلماً أجنبياً، أحدهما يضحك والآخر يبكي؛ لتباين في استجابتهما، والنتيجة التي توصل إليها مالك من ذلك كله أنه لا وجود للترابط العضوي بين

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 27-28.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

(الأشياء) وبين (الأفكار)، فالإنسان الذي يبكي في السينما يمثل نظيره الذي يضحك، فهما تمامًا كالذي ينادي بأن الإسلام أصبح من الماضي ووجب استبداله، يناظر من يقول بعودة الإسلام المجتمعي كحل للأزمات، وهذا اللاتناغم يؤدي إلى مزيد من الاضطرابات النفسية والأخلاقية<sup>(1)</sup>. والاضطرابات هي نتيجة لفوضى نفسية وفكرية جعلت المسلم يولد في مجتمعات غير متناسقة، فلا يقدم له الضمانات الضرورية لاكتماله الاجتماعي، وهو يأخذ في اعتباره بأن مصيره كفرد لم يعد هو المشكلة، بل مصيره، بوصفه مسلمًا؛ لأن حظوظه -بوصفه مسلمًا في المنافسة العالمية- ضئيلة نتيجة لوجود عوامل سلبية أثرت في تطور العالم الإسلامي. فالفوضى في الأشياء وفي الأفكار كان من نتائجها انعدام الأمن المجتمعي، فدائمًا ما يكون هناك ارتباط وتبعية مشتركة، بين الحالة الاجتماعية والحالة الأخلاقية في مجتمع ما<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 31-34.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 35-36، بتصريف بسيط.

## المطلب الثاني: مبررات فكرة الكومونولث الإسلامي

أولاً: المبررات السياسية الاقتصادية: إن الأزمة التي تحول دون تحقق فكرة الكومونولث الإسلامي ليست في طبيعة مشكلات المجتمع، بقدر ما هي في مشكلة الإنسان المسلم وموقفه من هذه المشكلات؛ لأن هناك مشكلات ذات صبغة قومية وسياسية، لا يمكن أن يوجد حل ضمن الدولة نفسها التي أثرت فيها، فالتاريخ يحد من طبيعتها بحيث يكون الحل عاماً؛ تُسهم فيه الدول الإسلامية الأخرى، مثل: القاهرة والخرطوم ومشاكل النيل لا بد من حلول أبعد من نطاق كل دولة على حدة، وإنما قانون عام يطبق في جاكرتا وفي الرباط معاً، فالتاريخ حدد وأفاد أن بعض المشكلات مرتبط بحدود جغرافية معينة، فكما أن محور القوة تتمركز على واشنطن - موسكو، فكل ظاهرة مرتبطة (بمساحات مخططة)؛ هي المساحات التي تنطبق مع وحدات جغرافية معينة سياسية وتوافقية، فكتلة شمال الأطلسي والصين الشعبية والوحدة الهندية كلها نماذج مختلفة ومتفاوتة الاكتمال خضعت لـ(مساحات مخططة)<sup>(1)</sup>.

فمالك بن نبي يهدف إلى تأكيد أنه حتى ولو ظلت هذه المساحات المخططة متمركزة ولم تتغير كثيراً، فإنها في طريقها إلى مستويات أكبر، وهذا ما يظهر في الإعدادات الفنية على الأرض، الذي يهم ليس التقسيم الجغرافي بقدر ما يهم المظهر النفسي والفني<sup>(2)</sup>.

فالعالم الإسلامي هو عبارة عن عوالم كثيرة:

- العالم الإسلامي الأسود الأفريقي.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 40.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 40-43.



- العالم الإسلامي الإيراني.

- العالم الإسلامي العربي.

- العالم الإسلامي الماليزي (إندونيسيا والملايو).

- العالم الإسلامي (الصيني - المنغولي)، وما يضيفه العنصر الشيعي من تعقيد آخر<sup>(1)</sup>.

وعالم اليوم؛ هو عالم التكتلات، وقد تحدّث مالك بن نبي عن مشروع حضاري كبير؛ يشمل تكتلاً اقتصادياً وسياسياً بين دول العالم، التي تجمعهم رابطة العقيدة رغم تعدد القوميات فيها؛ مع وجود اللغة العربية لغة العبادة عندهم، ويدعو هذا التكتل المصطلح عليه بـ(الكومنويلث الإسلامي) إلى اتحاد فيدرالي بين العوالم الإسلامية يترأسه مؤتمر إسلامي؛ يقود بدوره الهيئة المنفذة إلى هذا الاتحاد. ويرى مالك بن نبي أن هناك تشابهاً بين الكومنويلث البريطاني والكومنويلث الإسلامي في أمور عديدة، أهمها: المساحة الكبيرة التي يشملها، لكن يتخذ كل منهما صيغة سياسية محددة بمساحة مخصوصة، وهذا التشابه يجعل هناك إمكانية الإحياء بالحلول والتقريب بينهما، فكومنويلث بريطانيا لا يشمل دولة واحدة بل دول عديدة، وكل دولة عضوة في هذا الكومنويلث تمارس سيادتها كاملة في كل المجالات، وتمثل بلادها دبلوماسياً في الخارج، فلا مشكلة أبداً من الناحية السياسية، بعكس الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، التي تكوّن فيدرالية والتمثيل الدبلوماسي فيها واحد.

ولا يمكن تصور الرابطة العضوية للكومنويلث متمثلة في ملك أو رئيس، ولكن في فكرة هي الإسلام، وفي مجّمع يجسد الإرادة الجماعية لكل العالم الإسلامي، ويمثل المصالح العامة

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص42.

للعالم الإسلامي، ولذلك فإن المستجدات في العالم متمثلة في التكتلات الاقتصادية الكبرى فيه. ويمكن لفكرة كومنويلث إسلامي أن تتطور من الجانب الاقتصادي وتستفيد منه لعمل مثل هذه التكتلات، وأساسها تحرير التجارة بينهم.

ومن شأن هذه الفكرة أن تسهم في التقليل من مشكلة التدهور، في شروط التبادل التجاري وتأثيرها في البلاد الإسلامية، ف تحرير التجارة بين الدول الإسلامية سيزيد من حجم التجارة البينية لمختلف السلع، التي يعد بعضها عبارة عن سلع مستوردة من الدول الغربية وبأسعار مرتفعة، وسيكون عندئذ من شأن الأسواق المشتركة العمل على تعزيز التبادل التجاري بين الدول الأعضاء في الكومنويلث، والتقليل من اكتساح العملة الأجنبية لتسديد التزامات الدول الإسلامية، والتقليل من التصدير الخارجي للمواد الخام (الأولية)، وبفعل ذلك التكامل الإنتاجي ستتحسّر قدرة الدول الكبرى فرض شروطها التعسفية على بلدان العالم الإسلامي، وتلقائياً ستوحد التعريفات الجمركية لدول الكومنويلث تجاه العالم الخارجي<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن نقول: إن العالم الإسلامي في المرحلة الراهنة من تطوره وفي عوالمه الخمسة ليس مجهزاً بما يكفي لهذا النوع من العمل، الذي يطرحه في مشروعه تحت عنوان "كومنويلث إسلامي"، فعرضه في هذا النطاق ليس كافياً لأسباب عديدة، منها:

أولاً: الأسباب المادية: وهي ما تشكل مصدراً من مصادر الأفاعلية، وهذه الفكرة تتأثر بتأثير القوّة الفنيّة في محور واشنطن - موسكو، كما شرح ابن نبي في كتابه "الفكرة الأفريقيّة الآسيويّة"، وهناك مناطق مخططة تمثل وحدات جغرافية سياسية؛ تركز في كل منها على القوّة

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 45.

التي تدير العالم، ومن خلال هذا العالم المخطط يشعر المسلم بعدم جدواه، وأن أحداث التاريخ تسجل وتحدث، دون أن يكون له أي تدخل، وأن تطور العالم قد تقدم وتركه.

**ثانياً: أسباب نفسية:** يشعر المسلم في كثير من الأحيان بعدم جدواه في عالم مخطط ومتطور، فهو يشعر بأن التاريخ يُصنع دون أن يكون مكوّنًا له، ولذلك فهو خارج التاريخ وخارج التطور، وأن التاريخ تجاوزه، وبناء عليه فهو أمر طبيعي حينما يسترد وعيه وينتبه لتخلفه الذي يعيشه، ويأخذ بعين ثورته أن عالمه الإسلامي يحمل بداخله بذور ثورة، وتتكون لديه أسئلة عديدة، هي:

(1) هل يستطيع عالمه الإسلامي إنجاز مشروع إسلامي مع الأخذ بعين الاعتبار المشاكل النفسية والاجتماعية في العالم الإسلامي في الوقت الراهن؟

(2) هل يجد العالم الإسلامي نفسه منفذاً لأي مشروع ودون توجيه أو تفكير وبضرورة تصل به إلى تطور يتوافق مع العالم الخارجي في تسارع دائم وبحاجة لثورة لا يكون مُسيطرًا عليها؟

ومن هنا يصل العالم الإسلامي إلى ما يسمى (المأزق)، ولذلك كان لزاماً وجود تخطيط للعالم الإسلامي، لا سيما في المجال الأخلاقي؛ للتمكن من تخفيف الحالة النفسية للأحاسيس السلبية، التي تجري على لسان أفراد المجتمع الإسلامي، والنظرة التشاؤمية كثيرة الانتشار في كتابات المثقفين<sup>(1)</sup>.

**ثالثاً: المظهر الفني:** لا بد عند تناول فكرة الكومونوليث الإسلامية من معرفة العالم الإسلامي بشكل واضح، بقصد وضع تصميم له، مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات (المبدأ المتكامل)،

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة كومونوليث إسلامي، مصدر سابق، ص 40.

فصحيح أن العالم الإسلامي تربطه رابطة روحية؛ وهي عامل أساس في الوجهة النفسية، فالوحدة الإسلامية لا يمكن أن تقوم بدورها الفعلي إلا إذا استطاعت أن توفق بين عناصر في صورة واحدة وإرادة واحدة، تمثل إرادة العالم الإسلامي الجماعية، فمثلاً لا بد من مراجعة مفهوم (الخلافة) في ظل كل المعطيات الراهنة في العالم الإسلامي، والاستعانة بالعلماء والفقهاء والعاملين في القانون لتحديد (الإمامة)، دون إغفال مفهوم (الأمة)، من خلال النظر إلى التنوع السياسي والجغرافي، وهو من معطيات الحياة الضرورية، ومالك بن نبي في مدخل دراسته ذكر أن مشروعته يحدّد إطار دراسته من الوجهة الفنية، لذا فهو لا يقدم حلاً حقيقياً بقدر ما يحدد المعالم الأساسية لفكرة الترابط الفاعل بين أجزاء العالم الإسلامي؛ لأنّ مجرد التفكير في التخطيط من الناحية الفنية سوف يضع عقبات وعراقيل، مردّها أنّ العالم الإسلامي هو في الواقع عبارة عن عوالم إسلامية، ولا يمكن أن يقوم التخطيط إلا على أساس اتحاد ينضم فيه الجميع<sup>(1)</sup>.

**رابعاً: المظهر الديني:** لا بد أن توحّد فكرة الكومنويلث بين المتصارعين من السنّة والشريعة، عن طريق ضبط المذهبية في الإطار التشريعي، دون زرع الكراهية والافتتال والتفرقة، وهكذا فعل السلف الصالح، فعليهم أن يعودوا إلى أنفسهم ويتساءلوا: ماذا جنوا من الاختلاف المذهبي؟ فهو لم يحل مشاكلهم الخطيرة والمميّنة، فقد فرق صفهم، وهذا يتضح في معظم بلدان العالم الإسلامي، من طنجة إلى جاكرتا، وكان ذلك من أسباب التأخر والتخلف الذي يسودهم<sup>(2)</sup>. فخطّة الدراسة التي أعدها بن نبي كأساس لفكرة الكومنويلث تجد مصادرها ربما في سائر ما أنتج منذ الأربعينيات؛ حيث يراها أساساً لفكرة كومنويلث إسلامي، فهناك فجوة كبيرة في النطاق التكنولوجي والإنتاجي،

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 42.

(2) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، مصدر سابق، ص 43.

وأخرى في الرؤى الفكرية.

ومالك بن نبي يرى ضرورة أن تكون هناك نقطة التقاء للعوالم الإسلامية وإرادة داخلية  
جماعية، وتوزيع لجان لدراسة ومتابعة هذا المشروع ووضع حجر الأساس، ولم يتبق إلا دخوله  
لحيز التنفيذ وحقبة التاريخ، وسيكون التيار الفكري الإسلامي هو هدف تلك اللجان، ولعل هذه  
البذرة تترجم فيما بعد وقائع وأحداثٍ جسام<sup>(1)</sup>.

---

(1) المصدر السابق، ص 47-48.

### المطلب الثالث: فكرة الكومنولث الإسلامي ودوره في التعايش العالمي

أولاً: مصاعب فكرة الكومنولث الإسلامي: تتمثل أهم مصاعب تطبيق فكرة الكومنولث

الإسلامي فيما يأتي:

- **ضعف الأساس المفاهيمي:** إن تطور العالم الإسلامي كان في اتجاه (الأشياء)، وقد عمق هذا الاتجاه، العوز الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية، وكذلك الحال في التطور الفكري؛ حيث طغى عليه الاتجاه نحو الشكل المحدد بالأشياء وليس المحدد بالأفكار، فكان التطور الاجتماعي بالاتجاه نحو الحضارة الشيئية، وكذلك الحال في الجانب الجمالي والسياسي. ويرى مالك بن نبي أن المجتمعات الإسلامية فقيرة في الفكرة؛ التي تعد جوهر الفاعلية، فهي مجتمعات هزيلة مفاهيمياً وأيديولوجياً<sup>(1)</sup>، فلقد بات من الضروري أن يُعيد الفكر المسلم تقويم المفاهيم إلى العدالة وإلى الاقتصاد وإلى النظام وإلى المسؤولية من معانيها المألوفة القريبة من الحس الفطري إلى الشعوب<sup>(2)</sup>، فالأكيد أن هناك ضعفاً في الأساس المفاهيمي، وهو يُعزى إلى التطور التاريخي للعالم الإسلامي من ناحية، وإلى التطور النفسي من ناحية أخرى. فهناك أشياء ولدت من تاريخية العالم الإسلامي تفسخت، وأشياء أخرى لم تولد حتى الآن. ولا بد من سد الثغرات التي تحدث في الجهاز المفاهيمي والتي يلجأ الشعب لسدها أما بماله أو بضميره، فالمواطن الملاحق لدفع الضريبة ليس مصاباً في جيبه فقط، بل مصاب في وعيه المفاهيمي بمواطنته<sup>(3)</sup>.

- **ترصد الاستعمار للفكرة:** هناك جهل بقيمة فكرة الكومنولث الإسلامي الاجتماعية، وفي المقابل

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 50-53.

(2) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، ترجمة: عمر مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، ط4، 2005)، ص 18.

(3) المصدر السابق، ص 19.

هناك تنبه من الاستعمار لقيمتها، بل يقوم الاستعمار بترصد حركات الأفكار بدرجة اهتمامه بالثروات الطبيعية، وسخر جهاز ترصد جميع الأفكار الداخلة أو الخارجة من العالم الإسلامي، ويُتخلص من الأفكار الإيجابية والعمل على انحراف مسارها، ومنها: فكرة الكومنويلث، والعمل على تعطيل تفعيلها بكل السبل<sup>(1)</sup>، فالاستعمار يسخر بعض الشركات الوطنية فتعمل كمجسات للخارج، كالأقمار الصناعية التي تعمل لحساب آخر غير صاحب الأرض، كما يرى أن الوقت قد حان لتنظيم هذه الأقمار ومثيلاتها من الشركات الأخرى، وأنها تنظم للتخطيط الوطني، وأن ذلك سيحقق نفعاً مادياً ومعنوياً<sup>(2)</sup>، ثم يؤكد ابن نبي أن الأجنبي لا يمكنه أن يضرنا مهما تتبع خطواتنا، إلا إذا وجد من يحابه ويتجاوب معه من بيننا (الجواسيس)، فالطيران الإسرائيلي في الخامس من حزيران وصلت إلى المطارات العربية بعد أن عطلت الرادارات<sup>(3)</sup>.

- **انعدام الفاعلية:** عندما نقف على كثير من النشاطات اليومية في المجتمعات المسلمة نجد أن التبدد هو السائد أكثر من الإنتاج، وليس المقصود به التبدد للأشياء المادية، فحتى الطاقات يمكن أن تبدد حين لا تقنن، ولا توجه بشكل صحيح، فتكون النتائج ضعيفة، ثم إن الأسوأ من ذلك أننا لا نفسر هذا بسبب نقص الفعالية في الأفكار، وإنما نبحث عن أسباب واهية مثل أن يرد ذلك للفقر مثلاً أو الجهل كقولنا: إن سبب عدم توحيد العالم الإسلامي في تيار فكري واحد كما كان في الشيوعية، يعود إلى الحدود والفواصل بين أجزائه؛ إذ لا بد من ربط كل مظاهر الالفاعلية في المجتمعات الإسلامية بعالم الأفكار، حيث هناك انفصال بين عالم الأفكار وعالم

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، مصدر سابق، ص 57-58.

(2) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 21.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 23.

الأشياء<sup>(1)</sup>.

ويشير مالك بن نبي إلى أنه لا يكون لليقظة مردود إيجابي إذا أدت إلى العدم في إشارة إلى الفاعلية، فهو يرى أن الإهمال والمحابة صور من صور اللافاعلية، "وإذا أردنا أن نترجم تجربتنا في الأفكار بالعمل، فإنه من الواجب أن نحترم أصول الفعالية في هذا العمل"<sup>(2)</sup>. وذلك الواعظ الذي يعلو المنبر وتكون معظم خطبته عن فضائل الرعيل الأول، ثم يغادر المسجد لمنزله ترى أسرته تعيش بخلاف ما دعا له، فوعظه مجرد واقعة لفظية تتجه للماضي أكثر من التوجه للمستقبل، وتفقد للنزعة الغيبية الحقيقية<sup>(3)</sup>

### ثانياً: دور فكرة الكومونولث في المجتمع الإسلامي:

**(1) التخطيط الدقيق:** ينظر مالك بن نبي إلى القرن العشرين على أنه عصر التخطيط للمساحات الكبيرة، وهي إحدى نتائج تسارع خُطأ التاريخ، وهو يعتبر الاستثناءات هي حالات مرضية مرتبطة بمشكلات مجتمعية<sup>(4)</sup>.

وبحسب فكر مالك بن نبي فإن على العالم الإسلامي أن ينتهج تخطيطاً دقيقاً يتضمن الإطار المفاهيمي - كما ذكر سابقاً - يتماشى مع الإطار التنفيذي، وذلك بتوفر كل الشروط المادية والمعنوية؛ بحيث تضمن نجاح الخطة التدرج في الأولويات، وعلى رأس هذه الأولويات أن يُخطط لتفعيل فكرة الكومونولث ضمن كتلة موحدة تضم العالم الإسلامي؛ لضمان نجاح الأهداف المرجوة،

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، مصدر سابق، ص 61-64.

(2) بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 28.

(3) ينظر: بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي ص 64.

(4) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 30.



ولا تكون فسيفساء تضم مشاريع؛ ينفصل كل مشروع عن المشاريع الأخرى، وربما لا يكون هناك تلاؤم، فالمنطق يقول: إن التطور لا يولد من عناصر مفككة حيث تتفاجأ بعدم انسجام أو انسيابيه فيما بين أجزائه، وحتى علم الآلة يلزم بالتوازن والتصورات المسبقة للوصول إلى الوحدة، التي هي شرط أساس في نجاح أداء عمل الآلات عموماً، ولذلك يرى بن نبي ضرورة ألا يكون التخطيط مستوحاً من الخارج، فعندها لا يكون تخطيطاً، وإنما مجرد مهارة، كالتاجر الذي يجلب البضائع لمتجره<sup>(1)</sup>.

وفكرة الكومونيلث هي تلك الفسحة لتمدد المسلم ووعي الإنسان، حيث تمر بعدد من الدوائر: (الدائرة الشخصية)، و(دائرة العلاقات الاجتماعية)، ثم الدائرة الأوسع (دائرة الأفكار). ولذلك يرى مالك بن نبي أنه بقدر ما يستطيع العالم الإسلامي أن يتمثل في أفرادهِ في تخطي دائرة داخلية لدائرة أكبر، يكون مستواه الشخصي قد بلغ الاكتمال والنضج؛ بحيث ينبث حضوره في أنحاء المعمورة، فتحتل فكرة الكومونيلث مكانها في عصر المساحات الكبيرة<sup>(2)</sup>.

وكان مالك بن نبي واعياً بضخامة ما يتحدث عنه، فكان واقعياً عندما جعل مشروعه ينطلق من عالم الأفكار، ووظيفته تحريك الطاقات الكامنة في الأمة وتوظيفها توظيفاً أمثلاً لتؤتي ثمارها، فقد اقترح مركزاً للبحوث ولجاناً للدراسة، حتى يتحول إلى أداة فعالة في التطبيق العملي، والانتقال إلى الوقائع التاريخية، ويرى أن فكرة الكومونيلث الإسلامي تمثل امتداداً في مستوى الإنسان الشخصي، فبقدر ما يعي الفرد مشاكل عالمه باتساع دوائره التي ينتمي إليها، بقدر ما

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 30-31.

(2) ينظر: بن نبي، فكرة كومونيلث إسلامي، مصدر سابق، ص 65-67.

يكتمل نضجه وينمو مستواه الشخصي، لا سيما عندما يصل إلى الدائرة العالمية<sup>(1)</sup>. ويركز مفكرنا على وعي الفرد المسلم، أي: أنه كلما زاد وعي الفرد زاد إدراكه لعوالم أحر، مما يزيد إدراكه لفكرة الكومنويلث الإسلامي.

(2) **نوعية المشكلات:** تعد فكرة الكومنويلث هيئة ممرضة، ولذلك لا بد أن تدرس بعض المشكلات المعينة، ذات الصبغة الفنية الخاصة بالمجتمع الإسلامي، فمشكلة كل مجتمع تمتد إلى (الحيوية - التاريخية)، المتمثلة في العناصر الثلاث: (الإنسان - التراب - الوقت)، فالمعروف -مثلاً- أن الإنسان الرحالة لم يتكامل مع إطراد الحضارة، ويمثل العنصر صفر أو عنصراً محايداً؛ لأنه لا عمل له في الوسط الحضاري، ولا وزن له اقتصادياً ولا ثقافياً، بل يسبب إرباكاً سياسياً عند وجود مؤثرات أجنبية، كما كان في دول إسلامية، وهناك نسبة من الرُّحل من بلاد إسلامية كثيرة لم يحدث تكامل بينهم وبين الحياة الاجتماعية، وكلما زاد نسبة الرحالة في البلاد أثر هذا في المستوى العقلي لتلك البلدان<sup>(2)</sup>.

فنزعة الترحُّل تُؤثر -مثلاً- سلباً في عنصر التراب، الذي هو من عناصر الحضارة عند الأستاذ مالك بن نبي، فواقع الأمر أن جزءاً من السكان غير مستقر في وضعه، ولكن التراب يُؤثر نفسياً في الرحالة، فالتراب انعكاس لنفسية اجتماعية إلى حد ما، إذا فمشكلة التراب تنطبق على مشكلة الإنسان، والواقع يقول: إن لمعظم بلدان العالم الإسلامي في الحقيقة جزءاً مهماً في ممتلكاتها الأرضية، التي هي عبارة عن صحراء أو شبه صحراء، وتختلف النسبة من دولة إلى أخرى، ففي

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 68.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 78-80.

السعودية -مثلا- (90%)، وحوالي (50%) في دول إسلامية أخرى كليبيا ومصر وغيرهما<sup>(1)</sup>.

فحينما يكون الإنسان رحالة والتراب هو عبارة عن صحراء أو شبه صحراء يكون عنصر من عناصر الحضارة الرئيسة مفقوداً، ولذلك فإن قاعدة الحياة الاجتماعية تشكو النقص، والعالم الإسلامي قد تنبه إلى هذه المشكلات، ولا بد أن يبحث عن حل ضمن إطار المنظمات الدولية المختصة بهذا الشأن؛ إذ عُقد مؤتمر علمي تناول مشكلة الصحراء والحلول التي يجب تبنيها وتحويلها إلى طور التطبيق، وذلك في إطار تخطيط إجمالي جنباً إلى جنب مع مشكلات الإنسان والتراب، وضمن رؤية فكرة الكومونوليث الإسلامي فإنه يجب إنشاء مركز للبحوث، أي: للبحوث العلمية والتطبيقية؛ ويكون الأداة الفعالة لخلق روح الكومونوليث الإسلامي، وأداته التي يدير من خلالها مشاكل العالم الإسلامي بعد التنقيب عنها<sup>(2)</sup>.

إن مشكلة التصحر التي تزحف في أراضي الدول المغاربية الثلاث توجب على الجميع التكاتف لإيجاد حل من خلال فكرة الكومونوليث الإسلامي، ومن قابس حتى أغادير يجب وقف زحف الرمال، ولنا في الدول الأوروبية قدوة ومثل كالسويد وروسيا، فالخطط تبدأ على الورق ثم ترى النور في شكل التنفيذ، فالمؤسسات المخططة موجودة لكن تظل المشكلة في عدم التوافق والاتحاد، ولا يُخلق كائن حي يمشي ويعمل بأربعة أطراف ورأس وجذع بجلبها من المشرحة<sup>(3)</sup>.

أما فيما يخص عنصر التراب بحكم قراءتي لمن نقد مالك بن نبي في هذه النقطة، فقد أصبح التراب أحد شروط النهضة بل عنصراً مهماً أيضاً في مشروع ابن نبي لحل مشكلات الأمة

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص80.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص79-80.

(3) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص35.

الإسلامية، فالتراب ليس المقصود به المفلح والزرع فحسب، فهو بحسب ما قرأت في مؤلفات مالك كل مجال يسبح فيه الإنسان في أثناء حياته اليومية، سواء في المجالات الصناعية أو الزراعية أو التجارية أو العلمية أو الأخلاقية أو الدينية، وما قام مالك بن نبي بتحليله أكثر عمقاً من التراب العادي، ويظهر هذا عندما تكلم عن محور (طنجة- جاكرتا)، وتبني حلول يتجاوز بها العالم الإسلامي هذه السلبيات، بتبني فكرة (كومنويلث إسلامي)؛ لإيجاد تكامل اقتصادي بين شعوب هذا العالم الإسلامي، لذلك يمكن تأكيد واقعية نظريته الحضارية حيث تحققت سياسياً في شكل منظمة المؤتمر الإسلامي، واقتصادياً في منظمة الأيبب، وثقافياً في المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة والتربية، كما تحققت نظريته في شكل السد الأخضر بالجزائر رغم أنه كان تنفيذاً لفكرة مالك بن نبي، ولكن هذا التنفيذ أخذ شكل صيغة سياسية، وذهب أدراج الرياح<sup>(1)</sup>.

وفكرة الكومنويلث الإسلامي ضرورة تاريخية تدعو الشعوب الإسلامية إلى دخول حلبة التاريخ، بصورة حضارية وليس بصورة إمبراطورية؛ لأن الغاية من إنشائها تدارك الأمة لتخلفها وتأخرها، ففكرة الكومنويلث الإسلامي تختلف عن نظيرتها في الكومنويلث البريطاني، فالأخيرة هي عبارة عن رابطة تجمع بريطانيا بمستعمراتها السابقة، التي استقلت عنها، والهدف من هذه الكومنويلث هو الإبقاء على التعاون والتشاور بين بريطانيا وبين الدول المتأثرة بها ثقافياً وسياسياً، في حين أن العوامل الأساسية - كما يرى مالك بن نبي - التي تُدعم فكرة الكومنويلث هي وحدة الأمة الإسلامية الروحية. وهذا ما قال به محمد أبو زهرة، الذي يرى أن الوحدة الروحية هي التي تعمل على إرادة العالم الجماعية، كما أنها اللبنة الأساسية لبناء وحدة سياسية إسلامية<sup>(2)</sup>.

---

(1) بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، ص 95-96، بتصرف.

(2) ينظر: حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 110-111.

ولكون وحدة المسلمين تقوم على الدين الإسلامي، والدين يهتم كل البشرية، يرى مالك أن العقيدة الإسلامية، وهي عقيدة اجتماعية، لا بد أن يتعلم العالم الإسلامي كيف يستخدمها كأداة اجتماعية يصل إشعاعها إلى العالم<sup>(1)</sup>، ويمكن تصور فكرة الكومنويلث كهيئة إسلامية شبيهة بما كانت عليه الخلافة الإسلامية، فتجسد الإرادة الجماعية وتدير مصالح العالم الإسلامي، ويكون مقرها الرسمي هي الوحدة والمرتكز التي تتصل بها أجزاء الكومنويلث المتعددة؛ ليكون فيها -ومن خلالها- تبادل الآراء والمشورة؛ ولتقوم فيها دراسات لمشاكل العالم الإسلامي؛ ولتتبنى الحلول وإذاعتها، على أن يرأسه مؤتمر إسلامي يمثل دور الهيئة الشبيه باتحاد فيدرالي<sup>(2)</sup>.

وقد اقتبس مالك بن نبي من محمد أبي زهرة تعريفاً للوحدة الإسلامية المنشودة، فيقول: "إن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين، ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية، فلكل أقاليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه، ويحقق المعاني الإسلامية السامية"<sup>(3)</sup>، ويلتقي الكومنويلث البريطاني مع الإسلامي في أن كل بلاد تمارس تمثيلها الدبلوماسي الخاص بها<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً: الكومنويلث الإسلامي والتعايش العالمي:** يرى مالك بن نبي أنه برغم الاختلافات السياسية واللغوية والأيدولوجية بين شعوب ( واشنطن - موسكو)؛ إلا أنه كان هناك تعايش في الجانبين الفني والعلمي، وهما جانبان مهمان، ويمكن اعتبار دور الكومنويلث الإسلامي هو خلق إمكانيات تواصل وتعاون بين المجتمعات المختلفة؛ بحيث تتمكن أي ثقافة محلية من تخطي

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، مصدر سابق، ص 43.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 44.

(3) مالك بن نبي، نقلا عن عبد الرحمن أبو زهرة، فكرة كومنويلث إسلامي، المصدر السابق، ص 82.

(4) ينظر: حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص 112.

حدودها المحلية، والسماح لشعوبها بمعايشة الشعوب الأخرى؛ معايشة تسمو فوق كل النزاعات والاختلافات، فنقطة الانطلاق تكون عبر محور (جاكرتا - طنجة )، وحل أزمتها الثقافية مع الآخر يبدأ من إنشاء (الكومنويلث الإسلامي) وتجاوز عناصر الجنسية القُطرية؛ بحيث يكون له في كل بلد إسلامي مقرّ معيّن، يمثّل نقطة التقاء المحاور الستة، ولا يهدف إلى الوحدة السياسية والاقتصادية فحسب، بل يسعى إلى إرساء دعائم التعايش العالمي بين محاور العوالم الإسلامية والعالم الخارجي<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم مما يمر به العالم الإسلامي من تشرذم وتفكك، فهو لا يزال يحتفظ بالوحدة الروحية المنطلقة من العقيدة الإسلامية، التي يُعول عليها في وحدته الداخلية، والتي تعد عاملاً جامعاً ورئيساً، ومبدأً لوحدة المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وفي أي محاولة للتخطيط في بناء هذا المشروع يجب الأخذ في الاعتبار أن يطبق تطبيقاً يناسب تجانس العالم الإسلامي من الناحية الروحية والثقافية، فهو متعدد الجوانب يحوي عوالم عديدة؛ فيمكن اعتبار العالم العربي هو مركز العالم الإسلامي، كما ينتمي إليه العالم الأفريقي والآسيوي من ناحية، ويوجد ضمن دائرة عالمية من ناحية أخرى تحوي أقليات إسلامية متنوعة الأعراق<sup>(2)</sup>.

أما عن الرؤية الحضارية في فكرة الكومنويلث فيرى مالك بن نبي أن الحضارة هي قيم كونية، ومسار إنساني موضوعي مفتوح لمختلف الأمم من منطلق خصوصياتها؛ فيقول في هذا المجال: "إن من الواجب ألا توقفنا أخطائنا عن السير الحديث نحو الحضارة الأصلية، أو توقفنا خشبة السخرية أو الكوارث، فإن الحياة تدعونا إلى أن نسير دائماً إلى الأمام ... حتى ترى أن

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي، مصدر سابق، ص 71-74.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 14.

الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملففة، ولا مظاهر خلّابة، وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم فيها جميع أشتائها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية<sup>(1)</sup>. ومن هذا المنظور يرى أن تعليل التخلف والانحطاط بالمسؤولية الاستعمارية، هو مجرد حيل زائفة لتبرير الخلل الذي أدى إلى الاستعمار، فالشعوب المستعمرة هي التي أوصلت أوضاعها الاجتماعية والثقافية إلى مرحلة أصبحت فيها جاهزة للاختراق، ومن ثم الاحتلال وتكبيد الإرادة، ويقول: "إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية، إلا أنه درس أوضاعنا النفسية العميقة، فأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواباً يتحدث فيها، وأقلاماً يكتب بها، إنه يسخرنا له بعلمه وجهلنا"<sup>(2)</sup>.

---

(1) بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 159.

(2) المصدر السابق، ص 155.

## المبحث الثاني: استلهام الفكرة الأفريقية الآسيوية في مؤتمر باندونج

### المطلب الأول: ظروف ميلاد الفكرة

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن توريط شعوب العالم في ويلات حربٍ؛ شارك فيها العديد من الشعوب المستقلة أو المستعمرة؛ مختارة أو مجبرة، هذه الحرب التي حطت رحالها في معظم مناطق العالم وفي أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، وتسببت في خسائر مادية وبشرية نتيجة احتدام الصراع بين الأطراف المتنازعة، بما في ذلك الصراع والتنافس المحموم في مظاهر التطور المذهل في التسليح والتكنولوجيا<sup>(1)</sup>، ومنها امتلاك الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية، وما ظهر من عواقب وآثار فتاكة بعد إلقائها على مدينتي هيروشيما وناكازاكي.

وعلى الرغم من أن الحرب العالمية كانت أوروبية فقد انعكست آثارها على بلدان العالم الثالث، حيث سخّروا إمكانياتهم المادية والبشرية وأراضيهم في خدمة الحرب بحكم أنهم حلفاء، وفي أثناء ذلك كله كان قد ظهر أن الاستعمار يريد الأخذ بالتأثر من العالم الإسلامي، فبلد مثل الجزائر سادته المجاعة -في أثناء سنوات الحرب- والجفاف، وموت عدد كبير من الناس بسبب إرسال المؤنات الغذائية إلى جيوش الحلفاء<sup>(2)</sup>. واستطاعت الحرب العالمية الثانية تغيير موازين القوى لدول الاستعمار الكبرى؛ حيث تراجع نفوذها الاستعماري كبريطانيا وفرنسا، فانتقلت الزعامة لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بعد أن كسبتا قوة مادية ومعنوية من الحرب<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 31-32.

(2) ينظر: سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط4، 1992)، ص 187-188.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 190.



وظهرت فكرة الأفرو آسيوية في العالم مع مؤتمر باندونج، الذي كان فيه اجتماع زعماء الهند وإندونيسيا عام (1972م)، ولم تعتمد على مضمون قومي معين، بل أساسها مضمون اجتماعي ونفسي مشترك ولا يخص بلدا بعينه، فيُعد مؤتمر باندونج هو مقدمة نظرية لنصف الإنسانية؛ لأن ترابط هذه الشعوب سيكون له تأثير فعال لأبعد مدى ممكن<sup>(1)</sup>؛ لأن فكرة الأفرو آسيوية لها تأثير في المحورين الأفريقي والآسيوي، وفي الوقت نفسه لها تأثير عالمي، وهذا بطبيعة الحال سيؤدي إلى تغيير العلاقات الفاسدة التي تقررت بين محوري الإنسانية خلال القرن التاسع عشر<sup>(2)</sup>.

فقد تشكلت بين المعسكرين الشرقي والغربي المتحاربين كتلة عرفت بالكتلة الأفرو-آسيوية، وزادت أواصر التفاهم والتعاون بين دول العالم الثالث المستقلة حديثاً، وعملت على مناصرة الدول التي ما زالت تخضع تحت الاستعمار؛ نظراً لمشكلاتها المشتركة، فالجميع كان يكافح من أجل السيادة التامة ويسعى إلى التحرر الاقتصادي والسياسي، ويبحث عن العون غير المشروط؛ لتحقيق به نموها وتتخلص من تخلفها الصناعي فالفكرة الأفرو-آسيوية دخلت التاريخ<sup>(3)</sup>.

وكان دور حركة عدم الانحياز في مؤتمر الأفرو-آسيوية يتمثل في عدم الانتماء والانحياز لأي من المعسكرين المتصارعين، المعسكر الرأسمالي أو الغربي والمعسكر الاشتراكي أو الشرقي، وهي سياسة تأخذ بها الدول بإرادتها الحرة ومن منبع حقها في سلوكها السياسي، التي تراه مناسباً لمصالحها في علاقاتها بالدول الأخرى، وكانت بوادرها في مؤتمر الصداقة الأفرو-آسيوية في

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 95-96.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 96-97.

(3) ينظر: لعباشي وردة، الثورة الجزائرية والكتلة الأفرو آسيوية في المحافل الدولية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة المسيلة، 2014م)، ص 9.

باندونج عام 1955م. والمعنى القانوني للانحياز هو اتخاذ بعض الدول خيار البقاء خارج نطاق العمليات العسكرية والحروب، وعدم التورط مع الآخرين، هو ما يسمى بـ(الحيادية)<sup>(1)</sup>. ومفهوم عدم الانحياز كان يدعو لتحرير إرادة الشعوب ضد القوتين اللتين كانت تتنازعان السيطرة عليه، وهذا يوضح المسوغ المنطقي والواقعي الذي جعل المفكر بن نبي يهتم بمؤتمر باندونج وما أسفر عنه .

أولاً: مؤتمر باندونج<sup>(2)</sup> **1954 Bandung**م: تحركت دول العالم الثالث<sup>(3)</sup> التي استقلت

مبكراً، مثل: الهند ومصر وإندونيسيا، لعقد مؤتمر دولي يضم الدول الأفريقية والآسيوية معاً؛ لتدارس الوضع العسكري والسياسي لتلك الدول، وكان هذا المؤتمر في سيريلانكا في أبريل (1954م) بمشاركة خمس دول، وعُقد بسبب الحرب التي كانت في الهند الصينية بين فرنسا وفيتنام؛ بهدف الحد من تحولها إلى حرب آسيوية كبرى، وكان قد دعا الوزير الإندونيسي "أحمد سوكارنو" أحد الشخصيات المهمة في المؤتمر، إلى عقد مؤتمر أفريقيا وآسيا، وحضره وزراء خمس دول، هي: سيلان، باكستان، الهند، بوقور برمانيا،<sup>(4)</sup> وأدى هذا الاجتماع إلى تفاهم كبير رغم

---

(1) ينظر: سعيفان أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مرجع سابق، ص 169.

(2) **باندونج**: أحد المدن في إندونيسيا، ويزيد سكانها على المليون وتقع على الهضبة في القسم المرتفع منها، ومناخها جيد للسكان، ازداد أهميتها بانعقاد مؤتمر باندونج حيث كان أول مؤتمر للدول الإفروآسيوية. المصدر: محمود شاکر، **إندونيسيا** (بيروت، مؤسسة الرسالة، 2 ط1974)، ص 107.

(3) **العالم الثالث**: يطلق على الدول النامية، وهي التي لم تصل إلى مرحلة التطور الاقتصادي بسبب السيطرة الاستعمارية عليها، وقد شكلت ظاهرة سياسية اقتصادية واجتماعية، برزت في السياسات الدولية منذ مؤتمر باندونج، باسم مجموعة دول عدم الانحياز في القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. ينظر: عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسية**، (بيروت: دار الهدى، ط1، د.ت)، ج2، ص 702.

(4) **برمانيا (بورما)**: فهي البلاد المجاورة للبنغال، فبعد أن انتشر الإسلام في البنغال، انتقل إليها الإسلام بالتجارة والدعاة في زمن الدولة الخليفة، وبعد أن أصبح إقليم أركان إسلامياً، ومن أرض الإسلام، امتد الإسلام إلى برمانيا وكان مملكة قائمة بذاتها، ومن أشهر الدعاة في برمانيا الداعية المشهور (سيد يوسف الدين) الذي غادر وطنه بغداد إلى بلاد السند لنشر الإسلام، ثم انتقل إلى البنغال، وواصل الدعوة والنجاح، ثم دخل مع قوافل

الخلافات التي كانت بينهم<sup>(1)</sup>، وانهقد مؤتمر "باندونج" في المدة ما بين 18-24 عام 1955م، وقد عقد بمدينة باندونج في إندونيسيا، وضم عددًا من الدول وصل إلى تسع وعشرين دولة<sup>(2)</sup>، وحضره كثيرٌ من الشعوب التي تكافح من أجل استقلالها، وفي مقدمتها الجزائر<sup>(3)</sup>، وهو أول مؤتمر منذ تأسست حركة الأفرو-آسيوية، كما حضرته شخصيات مهمة، مثل: جمال عبد الناصر، وجواهر لال نهرو، أحمد سوكارنو، وقد نُوقشت أمور كثيرة، من أهمها:

- التنمية الاقتصادية في دول الأفرو آسيوية.

- وقضية السلام العالمي<sup>(4)</sup>.

وتكمن أهمية مؤتمر باندونج أنه كان بمثابة صفحات أولى لحضارة جديدة للرجل الأفريقي الآسيوي، كما أن هذا المؤتمر ينظر إلى أهميته بقدر تلك المشكلات التي أزيحت من مناقشتها في ذلك المؤتمر، فقد وُضعت على شكل عبارات مؤجلة حتى قيام حوار بين المحورين، "فأهداف هذا المؤتمر مختلطة وغامضة"<sup>(5)</sup>، فالقوى التي مثلها مؤتمر باندونج كان لها تأثير استراتيجي عالمي<sup>(6)</sup>،

---

التجار إلى برمانيا وسيام. المصدر: حسين مؤنس، كتاب الإسلام الفاتح، (مجلة لسان العرب، العدد 4، 1401هـ)، ص 37.

(1) ينظر: وحشي فايزة، القضية الجزائرية في المؤتمرات الأفرو آسيوية مؤتمر باندونج 1955م أنموذجاً، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة محمد بو ضياف، 2016م)، ص 12.

(2) بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص.100.بتصرف بسيط.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص14-18.بتصرف بسيط.

(4) ينظر: محمد عبد الحق حسونة، مؤتمر الآسيوي الأفريقي الأول، المعقود في باندونج بإندونيسيا (جامعة الدول العربية، 1955)، ص14.

(5) بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، نقلا عن مندوبي الصحف في مؤتمر باندونج، ص98.

(6) ينظر: المصدر السابق، ص98.

فقد كان بمثابة مرحلة جديدة لدخول الكتلة الأفريقية الآسيوية إلى عالم السياسة الدولية "إن دخول الشعوب الإفراسيوية على المسرح الدولي قد أعاد الازدواج الجغرافي السياسي بطريقة معينة، ولكن في الوقت نفسه أتت هذه الشعوب بمبدأ تركيب العالم، وبإمكانية تعايش جديد يحمل بوضوح طابع عبقريتها، أي الشروط الأخلاقية لحضارة جديدة لا تكون تعبيراً عن القوة أو الصناعة...."(1).

ومن أهم أهداف هذا المؤتمر هو السلام والتخلص من كابوس الحرب وتدعيماً لهذا الهدف، فقد أكد جمال عبد الناصر -الذي كان أبرز الزعماء في هذا المؤتمر- "أن إقرار السلام ليس معناه انعدام الحرب، بل معناه التوجيه الرشيد للجهود في سبيل خلق (مجتمع عالمي متعايش)، وهذا يرمي إلى ربط الهدف السياسي بالهدف التاريخي في جعل السلام مطلب محور لدعم حضارة جديدة(2)، ويذكر أن جميع الأديان والعقائد كانت حاضرة في المؤتمر بما في ذلك المسيحية، ممثلة في الأسقف "مكاربوس"، كما أن ثماني عشرة دولة من دول مؤتمر باندونج التسعة والعشرين كانت أعضاء في هيئة الأمم المتحدة(3).

ومارس هذا المؤتمر ضغطاً دولياً؛ لعقد مزيد من المؤتمرات لاحقاً، وتعزيز السياسة الموحدة في هيئة الأمم المتحدة(4)، وحققت تلك الدول إنجازات سياسية بتأييد الشعوب لتقرير مصيرها وتأييد حقوق الشعب الفلسطيني، والمطالبة بانضمام الدول ذات السيادة إلى عضوية الأمم المتحدة. وحققت هذه الدول في المجال الاقتصادي بعض الإنجازات، مثل: إقامة مراكز للتدريب القومي والإقليمي، وتوسيع نطاق التبادل التجاري في الدول الأفرو آسيوية على أساس المصالح المشتركة،

---

(1) المصدر نفسه، ص18.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص101.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص102.

(4) ينظر: فايزة وحشي، القضية الجزائرية في المؤتمرات الأفرو آسيوية، مرجع سابق، ص 12.

واللجوء إلى الاتفاقيات لتحقيق التنمية الاقتصادية<sup>(1)</sup>.

وقد هناك محاولات لإجهاض هذا المؤتمر من جانب الجانب الغربي لأسباب عديدة "وفي هذه الحالة الخاصة بالعقل الغربي يجب أن نبحت عن مبعث هذه الجهود المنحرفة، التي لا يكون عن أن يقفوا بها في وجه الاتجاه الطبيعي للعالم في سبيل التطور السلمي الأفرو آسيوي؛ فإرادة الكبار بما تتمتع به من حق الاعتراض (الفيثو) في المناقشات الدولية لتعتبر في الواقع التيار المضاد لاطراد التاريخ، وهو تياراً مضاداً بكل العناصر السلبية التي تمتلكها حضارة لم تستطع أن تتغلب على مصاعبها الأخلاقية، وهذا الجمود الأخلاقي كله هو الذي يضغط بثقله على المصير الإنساني، معطلاً بذلك التاريخ، تاركاً الأحداث تجري في مكانها"<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: موقف العالم الغربي من فكرة الكتلة الأفرو آسيوية:

كان من الطبيعي أن يصطدم ما يمكن أن نسميه الاستقلال السياسي الأدبي بمؤتمر باندونج في هدفه وسير أعماله مع الضمير الغربي، وأن تكون ردة الفعل سلبية، تجلت في الصحافة؛ حيث كانت الصحف تتحدث عن "الخطر الآسيوي" و"الخطر الأصفر"، وهذا ما أراده وليم الثاني مخاطباً الرأي العام عما يشعر به من قلق، فقد قال: "إن إمبراطوريتنا قائمة على الماء"، وأشاروا إلى "الخطر الإسلامي"، مبررين استخدام القوة ضد الهمج الآسيويين والمتوحشين الأفريقيين، "فقد كانوا ينسبون كل ما لا يرضي الاستعمار إلى تأثير مؤتمر الأفرو آسيوي، ففي البرلمان الفرنسي أعلن المتحدث باسم الحكومة "أن مؤتمر باندونج كان -وسيطل- ذا نتائج خطيرة، مع أننا لم نتوقع أن يحدث

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص15-16.

(2) بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص18.

انقلاباً كهذا في العالم<sup>(1)</sup>.

وسنعرض هنا موقف الاتحاد السوفيتي والأمريكان من الكتلة الأفرو آسيوية فيما يأتي:

### (1) موقف الاتحاد السوفيتي من الكتلة الأفرو آسيوية: اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفاً مماثلاً للكتلة

عبر صحافته في البداية، لكنه اتهم دول عدم الانحياز بأنها تبعية جديدة للاستعمار، ونعى يوغوسلافيا لخروجها من الأفكار الاشتراكية، وذكر إمكانية قيام طرف ثالث خلال حكم ستالين، وقد أعد دول عدم الانحياز بمثابة شبه مستعمرة؛ لأنها تحركها القوى الاستعمارية الكبرى، وكان للانشقاق اليوغسلافي دوراً في تخوف منظمة عدم الانحياز من الاتحاد السوفيتي (النظام الاشتراكي)<sup>(2)</sup>، وقطع العلاقة معها؛ حيث إنه كان قد تبنى التعايش العالمي عام (1955م)، ولكن مواقفه المخالفة لما يتبناه عرضة للإدانة في مؤتمر باندونج، بل وساهم هذا في تعديل مواقفه وسياسته؛ إذ أعترف بدور آسيا وأمريكا اللاتينية، ومنذ ذلك الوقت والاتحاد السوفيتي يؤيد البورجوازية الوطنية، التي كان لها دور في حركات التحرر، وفي عام (1960م) دعم حركات التحرر ضد الاستعمار، فشجرت الدول الجديدة بأنها أكثر قرباً من الاتحاد السوفيتي عن الغرب بعد التفرقة الذي زرعها الاستعمار<sup>(3)</sup>.

### (2) موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الكتلة الأفرو آسيوية: قام وزير خارجية أمريكا في

ذلك الوقت بتوجيه التهم إلى الكتلة الأفرو-آسيوية -وعلى رأسهم جواهر لال نهرو- بأنها

---

(1) ينظر: المصدر السابق، 104-105.

(2) النظام الاشتراكي: هو نظام اقتصادي يتميز بملكية الدولة لعوامل الإنتاج للدولة، وإلغاء الملكية الفردية الخاصة، وقد ساد هذا النظام في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية. ينظر: يحيى محمد النبهان، معجم مصطلحات التاريخ، مرجع سابق، حرف النون، ص 285.

(3) ينظر: حقي سعد، مبادئ في العلاقات الدولية، (بغداد: المكتبة القانونية، ط5، 2010)، ص 324، 323.

خرجت عن ولائها للكومنولث، وأنها وقعت في شباك الشيوعية الدولية، وكان يظن أن بلاده تستطيع أن تحصل على أمنها على حساب الآخرين ومصيرهم، وشارك في هذا الاتجاه الرئيس السابق دافيد أيزنهاور. وقد وصفت الولايات المتحدة الأمريكية دول عدم الانحياز بأنها تمثل قدرة الدول الحديثة على الاستمرار في الحرب الباردة، وحينما جاء الرئيس الأمريكي جون كينيدي أحدث تحولاً في سياسة أمريكا تجاه حركة الانحياز<sup>(1)</sup>، فاعترف بالعطء الإيجابي الذي يمكن أن تسهم به بلدان عدم الانحياز في حل مشاكل عالمية.

وهناك من رأى أنه تغيير شكلي، أما أمريكا فلم تعترف بحق التصرف لدول عدم الانحياز في السياسات الدولية، وكذلك الحال فإن دول عدم الانحياز ظل يساورها الشك في موقف أمريكا، حيث ظلت تحاول ضم دول عدم الانحياز في حلفها لمقاومة عدوها الاتحاد السوفيتي، وظلت تتعامل مع حركة دول عدم الانحياز بحذر وترقب، بوصفها دولاً هشة وضعيفة، وأن تأثيرها الدولي محدود، وما هي إلا مجرد لقاءات لزعماء العالم الثالث، وظل الوضع هكذا حتى ظهر النزاع السوفيتي الصيني، ونتيجة للخوف من انهيار دول عدم الانحياز حاولت تلك الدول أن تعيد تثبيت قواعدها، وأن يصبح لها صوت مسموع في المؤسسات الدولية، وأصررت الدول الجديدة في الاستقلال على عدم المشاركة في تلك الحرب الباردة، وأدى هذا التقدم إلى تغيير في سياسة كل من أمريكا والاتحاد السوفيتي تجاهها<sup>(2)</sup>.

ويرى بن نبي أنه لا يوجد سبب يلزم محور جاكرتا -طنجة بالالتزام باللغة أو بالجنس؛ حيث تصبح فكرة الأفرو آسيوية لا فائدة منها، فتصبح ترفاً عقلياً، فقيام حضارة لا يلزم أساساً

---

(1) ينظر: حقي سعد، مبادئ في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 325-326.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 327.

عنصرياً لغويًا، ولا أهمية له في الواقع الإنساني، فالحضارة الغربية ليست ثمرة لغة أو جنس، وإمكانية الحضارة يتحدد بحامل الثقافة ومحيطه الذي يعيش فيها<sup>(1)</sup>.

أما فيما يتعلق بالمجال الثقافي فقد أشار المؤتمرون إلى أن الاستعمار في أفريقيا وآسيا يعمل على عرقلة ثقافة الشعوب، مثل: التعليم وتثبيط العلاقات الثقافية، ولذلك فقد دعا المؤتمر إلى فتح الجامعات، والمراكز، وتشجيع اللقاءات والزيارات بين الشعوب في الخبرات الثقافية، واعترفت تسع وعشرون دولة في باندونج بحقها في تقرير مصيرها واحترام حقوق الإنسان<sup>(2)</sup>. وكان مالك بن نبي يرى أن هذا الحدث ليس فرصة لتأسيس كتلة ثالثة فحسب، بل هو مشروع لتأسيس حضارة أفرو آسيوية، فقد وجد في هذا الوضع مجالاً لإمكانية تطبيق أفكار العولمة التي اقتبسها من كتابه السابق "وجهة العالم الإسلامي"، فالقفزة التي يجب القيام بها من قبل المجتمعات الإسلامية؛ ينبغي أن تتطلق من الجانب التقني باتجاه الجانب الأخلاقي.

فقد لاحظ مالك بن نبي أنّ عدد البلدان الإسلامية المشاركة في مؤتمر باندونج، هي أربعة عشر بلدًا، فتبادر إلى ذهنه فكرة أنّ الإسلام يمكن أن يؤدي دورا في الوضع الجديد، وكان يعتقد أن الإسلام هو الجسر الذي سيربط بين الأجناس والثقافات، وهو العنصر الأساس لإحداث التوازن في إنشاء حضارة أفرو آسيوية في ذلك الوقت، وإمكانية إنشاء حضارة عالمية مستقبلاً<sup>(3)</sup>.

لقد وجد مالك بن نبي تطبيق هذا الاعتقاد في أحداث تلك الساعة بالذات؛ لأنّ العلاقات الدولية التي أفرزتها الحرب الباردة أعطته فرصة لإثبات الأدلة، على أنه خبير جيو سياسي من الطراز

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مرجع سابق، ص 130.

(2) ينظر: فايزة وحشي، القضية الجزائرية في المؤتمرات الأفرو آسيوية، مرجع سابق، ص 17.

(3) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 226-227.



العالمي، ومن ذلك أنه وجد في عام (1955م) أن التوازنات العالمية كانت قد بدأت تختل؛ إذ تصور أن العالم الإسلامي يجب أن يحقق توران القوى الداخلية والخارجية؛ ليتمكن العالم الثالث من الدخول بقوة في لعبة السياسة العالمية<sup>(1)</sup>، وأن أول تباشيره أنه أنجب مؤتمر "باندونج" بحضور شخصيات مهمة من العالم الثالث، مثل: نهرو، وجمال عبد الناصر، وشوان لاي، وسوكارنو...إلخ. فقد كان الاجتماع في حدّ ذاته حدثاً مهماً ومؤثراً، فلأول مرة في التاريخ تجتمع القارتان، وهما الأكثر كثافة سكانية في العالم، من أجل رسم خارطة طريق لمواجهة تلك القوتين العظيمتين؛ المتصارعتين في أتون الحرب الباردة، فهو بمثابة الانشقاق الأول سياسياً وتاريخياً في قلب العالم الثالث<sup>(2)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص18.

(2) ينظر: بن نبي، من أجل التغيير، مصدر سابق، ص 80-81.

## المطلب الثاني: فكرة الأفرو آسيوية والتعايش

عملت الحضارة الغربية على خلق عالمٍ يترابط الناس فيه، ويعتقدون أنهم شركاء في الخير والشر معاً، فرفعت طاقة الإنسان على درجتها القصوى؛ إذ صوّرت لهم أن مصيرهم واحد، فعهد تحلل المادة هو العهد الذي عمل على تجمع الإنسان، فلا يمكن له أن يعيش بعيداً عن أحداثه المحيطة به، وقد يؤثر عامل القوة في الاتجاهين المتعاكسين؛ حيث حددت القوة بلا ريب العلاقة بين محور جاكرتا-طنجة، بمحور واشنطن-موسكو، وهي علاقة مستعمر ومستعمر، مع أن المفترض أن يكونا متوازين، وكل منهما مسير لما قسم له<sup>(1)</sup>.

وقد كانت نقطة الالتقاء لهذين المحورين في ميادين القوى الاقتصادية، متمثلة من الشمال المُنتج إلى الجنوب المستهلك، فالحضارة الغربية تندفع بقوتها على المحور الآخر (محور القوة)، لكي تفقد قوتها الاستعمارية على مستعمراتها، وهي في الوقت نفسه تحقق انتصارها في اكتشاف الطاقة الذرية، وانتصارها في مجالات الاتصال الإنساني بخلق مناخ نفسي للتعايش المشترك، فقد عملت الانقسامات السياسية داخل المستعمرات على تقارب شعوب كلٍّ من المستعمر والمستعمر، فمثلاً: استقلال كلٍّ من إندونيسيا والهند أنتج في الوقت نفسه حركةً تقاربٍ مع كلٍّ من هولندا وإنجلترا، مبنية على أسس بعيدة عن الاستعمار والقابلية للاستعمار، ولذلك فنحن أمام حركات تحلّ من جهة، وتجمع من جهة أخرى، وتظهر في عالم اليوم، فهي مرحلة ضرورية تدفع باتجاه توحيد العالم على أن تُصيغ تلك الوحدة مقومات مادية وروحية معاً لظهور القرن العشرين، فبين القوة المهيمنة والروح المحرّرة صراعٌ؛ وهذا الصراع سيؤدي إلى ظهور عصر جديد يديره المستعمر

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 177-178.

والمستعمر، وتحرر وتحرير لرجل المستعمرات<sup>(1)</sup>.

وقد كان للدوافع الأخلاقية من المحور الآخر أثر مضاد في ردة فعل تُجاه عامل القوة (الأسلحة الذرية)، وهذا التعارض بين القوة والأثر المضاد الآخر عمل على تطور الحقبة الأخيرة التي قرّبت المحورين، وبشكل أوضح فإن التطور المفاجئ في الحضارة باكتشاف الصناعات الذرية، وما تركته هذه الصناعات من آثار نفسية وحروب وويلات، وحد الاتجاه للبحث عن السلام، وهو ما ساهم في حل الأزمات بين الجانبين؛ لأن الأسلحة الذرية كانت من أكبر دافع لدفع عجلة السلام إلى الأمام للحيلولة دون وقوع حرب عالمية ثالثة، التي كانت مؤكدة بوجود بوادرها المتمثلة في الحرب الباردة، مع التأكيد على أن الإطار المادي لو لم يُدعم بالنظام الأخلاقي، لم يكن ليحقق الفائدة المرجوة في موضوع السلام، فالتعايش هو استجابة إلى الضمير الإنساني ضد القوة والعنف، والذي استلهم من مؤتمر باندونج، بتنازل الكبار وتحقيق مبدأ اللاعنف الذي نادى به غاندي<sup>(2)</sup>.

فمفهوم التعايش لا يمكن أن يُفعل في العالم، وهو جامد دون تغييرات فعلية على أرض الواقع، فينبغي أن يُؤكّد من خلال تحولات واقعية في تلك الموروثات العالمية عن القرن التاسع عشر، فيتجاوز كل التأويلات السياسية والعمل على التفاعل الإيجابي الذي تتبعه حركة التاريخ، وكلما تحولت عناصر القوة إلى عناصر اللاعنف تحولت وسائل الحرب وأدواتها إلى اقتصاد سلام عالمي، فالحياد قد أتاح فرصاً للسلام، وقُلص محاور القوة، وبهذا فتحت المجالات لتدفق فكر جديد، وتدفق فكرة اللاعنف لمحور القوة، ففكر التعايش يدين لمؤتمر باندونج بالشيء الكثير؛ لأن الحياد لم يتمثل في الدافع الروحي والتوجيه الأخلاقي فحسب، وإنما تجسد في صياغة خطوط

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 179-180.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 180-181.

عريضة للمبادئ الخمسة في ميثاق التعايش؛ وهي نقاط خمس: "الاحترام المتبادل لسيادة الدول، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، والمساواة في الحقوق، والتعايش السلمي، والمنفعة المتبادلة"<sup>(1)</sup>. لقد ظهر توجه جديد في العالم، ربما لم يصل في قوته لإنهاء الحرب الباردة، ولكن صداه أحدث شرخاً وصدعاً في حائط مراكز القوة، وظهر موقف جديد يتصدى للاستعمار القديم، وصور لعلاقات الرجل المتحضر مع الشعوب الاستعمارية ما يمكن أن نسميه "الاستعمار المشترك"<sup>(2)(3)</sup>، فالنصر الذي حققه "غاندي" في تاريخ الهند كان باباً في دخول المبادئ الأخلاقية؛ حيث دخل على أثرها المستعمر إلى المسرح الدولي والأحداث العالمية؛ فقد بدأ حوار جديد في التاريخ لم يكن المتحدث الرسمي فيه القوة المدججة بالقنابل الذرية، بل القوانين الأخلاقية والسياسية، التي برهن عليها "غاندي" وكانت كثيرا من الدول تدين للهند بتحررها السياسي، فالحضارة لم تعد وقفا على الدول الاستعمارية، وإنما ستساهم فيها الشعوب الأفرو آسيوية بشروط أخلاقية للحضارة تفرض تعايشاً جديداً<sup>(4)</sup>.

ويرى بن نبي أن لفكرة الأفرو آسيوية فرصة للحوار بين القوة واللاعنف، ومؤتمر باندونج كان هدفه السلام، وهو فرصة لتنفيذ كل من يدعي أنه بداية للصراع، فالصراع كان قائماً بين الرأسمالية والشيوعية، وهذا كان فيه تهديداً للعالم؛ إذ أكد بن نبي أن مصير العالم مرهون بالحوار

---

(1) المصدر نفسه، ص 186-190.

(2) الانتقال من الاستعمار المحلي إلى الاستعمار الدولي. ينظر: المصدر:، كتاب الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق.

(3) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، ص 56-57.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 58-59.

بين القوة واللاعنف<sup>(1)</sup>.

وفكرة التعايش توجب على المسلم ألا يتجاهل قيم الآخرين، وأن يكون يقظاً للأحداث، ويشارك في الأحداث العالمية والمؤتمرات الدولية الكبرى، ولذلك يبنى التعايش على التزامات وحقوق تخرجه من العزلة والمساهمة في حل الأزمات الإنسانية، وفيه تجمع الأديان وجميع الشعوب، فالمسلم ملزم بحسن الجوار، ومن باب أولى ضرورة ذلك في رحلته عبر التاريخ<sup>(2)</sup>. وفكرة التعايش لا يمكن تحقيقها في ظل الشيوعية والرأسمالية على محور واشنطن-موسكو، ولا في ظل الاستعمار والقابلية للاستعمار على محور جاكرتا-طنجة، فقد بات توفير مناخ تحقيقها ضرورياً؛ حيث كل العوامل الروحية والصناعية التي ساهمت في خلق هذه الفكرة ستستمر مع مرور التاريخ، وقد تظهر بأشكال جديدة، وستنمو الفكرة، وتتشعب ميادينها، وسيظل التعايش بنداً حاضراً في كل المؤتمرات والاتفاقيات حول السلام العالمي<sup>(3)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 61-62.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 247.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 199-200.

### المطلب الثالث: فكرة الأفرو آسيوية والعالمية

رغم أن فكرة الأفرو آسيوية لم تنطلق من تنظير فلسفي أو أفق ضيق، ولكنها وليدة حراك سياسي حي؛ كان أبطاله ثلاثة زعماء مشهورين، هم: عبد الناصر ونهرو وسوكارنو، وتكللت الجهود بعقد مؤتمر "باندونج" سنة (1956م)، فالتقط مالك بن نبي هذه القضية، وحولها إلى مشروع سياسي عالمي، وخصص أحد أهم كتبه باسمها، ولم يخرج بها عن نهجه العام في البناء الفكري القويم، والتزامه برسالة النهوض الحضاري، وعلى أثرها بدأت نظرة الغرب تعانٍ وجود قوى غير أوروبية تقف في الساحة التاريخية، وبروز المشاكل الحقيقية، أو قلة الموضوعات الجوهرية مع العاصفة الأخيرة في الضمير الإنساني وفي حلبة السياسة الدولية، وقد أبرزتها بشكل أكبر الحرب العالمية الثانية حين هبّ ثلاثة أرباع العالم يطالبون للمرة الأولى منذ قرنين بحقهم في الحق والسلام، بعد ملحمة بشرية امتزجت فيها دماء الشهداء في الجزائر وفي الكمرون وفي كينيا وفي الهند والصين، والسعي لخلق قوانين تحمي بها شعوب أفريقيا وآسيا نفسها من قانون الغاب الذي فرضته شعوب أوروبا وأمريكا بكل أدوات الحرب والدمار والهيمنة الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

وأصبح التعايش وجوباً بين أقطاب العالم جوهرياً، ويُقرّ به اثنا عشر اتفاقاً دولياً؛ يدعو العالم إلى الاندماج، كما أصبح التعايش السياسي على محور القوة هو المسيطر على الحالة العالمية، بسبب عناصر الصناعة وعوامل القوة؛ ولذلك يجب دخولها في الحساب، فمؤتمر باندونج لا يمكن أن يبرم الحل بمفرده للحالة العالمية ككل، والحل الجزئي -دون الطرف الآخر- هو حل خائب وفاشل سلفاً؛ لأننا نعود إلى الاستعمار والقابلية له من حيث لا نشعر. وفي الحقيقة أن هناك توحداً للمشكلة الإنسانية عن طريق المصير المشترك، فالإنسانية دخلت مرحلة لا يمكن أن تقننها

---

(1) ينظر: بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، مصدر سابق، المقدمة، ص 19، بتصرف بسيط.

دراسة أو يحدّثها توجه<sup>(1)</sup>.

وقد جاء مالك بن نبي بأمثلة للمنطق الإنساني الواحد؛ ومن البداهة أنه لا يمكن تصور حضره في عقلية ديكارت، كما أنه ليس كلّه منطقيًا اجتهاديًا، فالمنطق يكمن في إلهام الشاعر، وفي الوحي المفاجئ للنبي، فهناك من أرشدهم منطقتهم فظهروا بأسمى صورة، وبالمقابل هناك من وجهه إلى القوة والغزو، مثل: هتلر، وهناك من كرّس حياته يدعو الضمير الإنساني إلى السلام واللاعنف، مثل: (غاندي)<sup>(2)</sup>. وعدّ تلك الحروب والاستعمار بمثابة مأساة إنسانية تقوض فكرة الاتحاد العالمي، وقد كان (غاندي) يدرك صعوبة ما يدعو إليه؛ لأنه يتخطى القوميات ويتجاوز العنصريات؛ حيث صاغ المشكلة في صورة عملية في مؤتمر باندونج (1946م) حينما وجه كلامه إلى المندوبين: "وإذا كنتم تريدون تبليغ رسالة الغرب، فيجب أن تكون رسالة الحب والحقيقة... وسيحظى هذا الغزو برضا الغرب نفسه، فهو يتعطش اليوم إلى الحكمة، ويعني مساعدة أوروبا في تغلبها على أزمة الضمير التي تمر بها"<sup>(3)</sup>.

ويؤكد مالك بن نبي أن الاستعمار ساهم في تكوين الوعي النفسي والأخلاقي عند الفرد المسلم، فقد ولدت الحركات الإصلاحية ضد الاستعمار الذي استمر دهرًا طويلًا، فقد كانت حروب أوروبا سببًا في ظهور جروح إنسانية عميقة؛ أدت إلى ثغرات عبر النور من خلالها لكل المجتمعات التي انسحبت من التاريخ، فهناك ثروات روحية ذاتية استمدت من غرين الحضارة الغربية، كالبرلمانات التي ظهرت في الأفرو آسيوية؛ إذ كانت صورة طبق الأصل للبرلمانات الإنجليزية

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 200-202.

(2) المصدر نفسه، ص 258.

(3) المصدر نفسه، ص 257.

والفرنسية، وكذلك الدساتير الديمقراطية هي اقتباس لنموذج غربي بجدارة، ومفهوم الديمقراطية هو مفهوم غربي، فجوهر التبادل الإنساني هو أصل إثراء العبقريات ومخصب للأفكار الحضارية<sup>(1)</sup>، وحقل الحضارة يلزم أن يمتد نطاقه من النطاق العنصري القومي إلى النطاق العالمي الإنساني<sup>(2)</sup>. ويذهب مالك بن نبي إلى أن العالمية والاتحاد العالمي ليسا مفاجأة تاريخية؛ فقد استمدت العالمية عناصرها الفكرية والاجتماعية من النشاط الإنساني منذ القديم؛ رغم أنها تُعد غريزة القرن العشرين، فالبريد، على سبيل المثال، في بدايته كان للأمرء والملوك، ثم تجاوز النطاق المحلي في القرية إلى المدينة، ثم مستوى قومي، وامتد مع امتداد النشاط الصناعي إلى مستوى دولي، ثم عَبَرَ الحدود ليصل إلى العالمية<sup>(3)</sup>.

ويرى أن الصعوبات التي تواجه تحقيق العالمية هي صعوبات ثقافية وسياسية، فالعلماء لا يريدون تعريض أنفسهم إلى أخطار توجيه التاريخ، واكتفوا بكتابة الماضي بفكر الماضي (بما كان وليس بما يجب أن يكون)، وليس بتطلعات المستقبل، وما يكون في مستقبله يكون بتتبع الأضواء التي تكشف توجه التاريخ. ويرى -أيضاً- أن الحدث الرئيس في المرحلة الراهنة، يظهر فيما قاله أحد علماء الاجتماع: "إن الحياة حتى الآن لم تلد إنساناً بعد"<sup>(4)</sup>، فالنموذج الذي سيظهر في سياق التطور الإنساني لن يكون عينة من عينات المجتمع، بل عينة للنوع؛ وهو الإنسان في صورته البسيطة بمعزل عن كل شوائب الانتماءات العنصرية<sup>(5)</sup>.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 260-262.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 264.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 208-209.

(4) المصدر نفسه، ص 217.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص 217.



ويؤكد مالك بن نبي أن الإنسانية تخطو خطوات ثابتة في طريقها الثالث، وهو طريق الخلاص من الأزمات بملازمة طريق الكبار من دعاة السلام واللاعنف، ويجب عليها أن تتبنى سياسة تعايش، تمكنها من أن تمنح الفرصة لمحور جاكرتا- طنجة للمساهمة في إكمال الحل الشامل للمشكلة، فالحل اليوم بيد الشعوب، وما مؤتمر "باندونج" إلا تجسيداً لجهود الشعوب للسمو بالتعايش فكرة وسياسة، والتغلب على العقبات ومساعدة البلدان (الفقيرة) في تجاوز العقبات التي تحول دون ازدهارها وتطورها، ومساعدة البلدان الغنية في قهر أخطار شهوة القوة لديها، وبذلك تتوازى الجوانب الأخلاقية مع الجوانب المادية في المحورين لتحدث تكافؤاً وتوازناً؛ يسهم في السلام العالمي<sup>(1)</sup>.

وهنا يجب أن نقف للرد على فكرة الأفرو آسيوية، وهذا لا ينقص من المكانة المتميزة التي وصل إليها مالك بن نبي في ساحة الفكر والأفكار النيرة في هذه الفكرة، التي ربما تنتشر العالم الإسلامي مما هو فيه إن هي مشت في المسارات الصحيحة، وإنما هي بعض الملحوظات على ما ذهب إليه ابن نبي في قوله: "إن ثقافة الأفرو آسيوية تستلهم التراث الإسلامي الهندي من قبل المسلم"، هو غير مقبول؛ لوجود اختلافات في النظرة إلى الحياة وإلى الكون وإلى الإنسان، فلا يمكن للفكر الهندي والإسلامي أن ينسجما، فمالك بن نبي يؤكد في فكرة الأفرو آسيوية أن لكل حضارة فكرتها الخاصة، واعتقد أن الرد عليه بأن الفكرة الدينية في الحضارة الإسلامية التي طالما حللها ودرسها، فكيف يمكن لفكرة الحضارة الإسلامية، وهي فكرة دينية، أن تتسجم مع أفكار الحضارات الآسيوية، مثل: الوثنية، بكل ما تحويه من تناقضات فكرية وعقدية، (كالبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية...إلخ). كما أظهر مالك بن نبي في الكتاب الأفريقي الآسيوية

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، 219-224.

إعجابه بشخصيات، منها: كاسترو، وجيفارا، والتجارب السوفيتية والشيوعية، وأيضًا أشاد بشخصية جمال عبد الناصر على أنه زعيم كريم، وأنه صاحب نهضة كبرى<sup>(1)</sup>.

---

(1) ينظر: مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 155.

## خاتمة

وفي نهاية هذا البحث الذي هو بعنوان: حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي، أدون بعض الملحوظات على موضوع الحوار الحضاري في فكر مالك بن نبي؛ نظراً لسعة اطلاعه وإلمامه بالتراث، فالذي يتتبع مؤلفاته في الحضارة والإصلاح والتجديد، يكتشف أنه أمام مفكر فريد من نوعه، في منهجه التنظيري للحضارة وشروطها، وما ارتبط بها في وضع استراتيجيات لمشروع التنمية، وتشريح ظاهرة التخلف، وتبيان طرق التقدم والرقى، في سياق الدعوة إلى الارتقاء الفكري والأخلاقي والاجتماعي. ومن خلال دراستي لفكر مالك بن نبي في مجال الحوار الحضاري، سعيثُ إلى إبراز منظوره الفكري وموقفه من الآخر، والوصول إلى ضبط الأسس العامة لهذا الحوار في ظل التصور الإسلامي، دون تقيّد للتوجهات الدينية والعرقية لمفهوم الآخر، ومن ثم استنتاج مفهوم لحوار الحضارات؛ يكون حلقة مكملة للجهود التي تُبذل اليوم للخروج من دائرة التوترات والصراعات، واستيعاب خصائص الحضارات المختلفة، ومكامن الاتفاق والافتراق، والمشارك والمختلف الحضاري؛ مع ضرورة تحييد الخلفية المركزية المتعالية التي تنظر إلى الشعوب بمنطق التفوق العرقي والسمو الحضاري، كما هو حاصل في منطق الحضارة الغربية.

لقد امتاز فكر مالك بن نبي بأنه علمي واقعي، وقام منهجه على فلسفة التغيير المنطلقة من الفرد والمجتمع، ومن التوجيه الأخلاقي والعملية، للاستفادة من خبرات الآخر وتجاربه الحضارية الإيجابية، فقد كان من المؤيدين للحوار الشامل مع مختلف الحضارات، وركّز على ضرورة الحوار مع الغرب؛ بوصفه كيانا حضاريا متنوعا، وليس مجرد فئة معينة ذات امتداد عرقي وديني، ولذلك جاءت نظريته عامة، شملت الحوار الداخلي في العالم الإسلامي، للتأسيس لمفهوم الأمة الواحدة، والوصول إلى التضامن في سياقه، بصرف النظر عن الاختلافات المذهبية والطائفية، ثم يتوسع

ليشمل العالم كله، ويُعد ذلك تجديدًا في نمط فاعلية الإصلاح، الذي كان رهنا لشعارات عامة، دون جوهر وتطبيق عملي ملموس، ومن شأن ذلك أن يرفع تأثير الحوار والتعايش إلى أفق الأحداث الإنسانية الشاملة، ومن ثم إمكانية تغيير التاريخ، واحتلال الأمة الإسلامية لمكانتها اللائقة في إطار التواصل الإنساني الفاعل في إطار حضاري قيمي وواقعي، مع وجوب الانفتاح على التجارب الحضارية المتميزة، لرؤية موقع العالم الإسلامي الحقيقي في مسار التاريخ.

كما تطرق البحث إلى الصراع الحضاري وتجلياته، ووجوب تجاوزه بفتح آفاق للحوار الحضاري؛ وتتبع أفكار مالك بن نبي الاستشرافية في هذا المجال؛ حيث توصلت إلى أنها إرث علمي زاخر، مع بيان الطريق لاستثمار هذه الأفكار، من خلال ما طرحه في مشروعه لتجاوز العولمة وتبني العالمية خيارًا بديلاً، التي تُتيح تعايشًا مشتركًا في إطار معادلة إنسانية ذات بعد تنموي، تكون بمثابة نقطة التقاء وتعاون ملموس بين البلدان الفقيرة والبلدان الصناعية الغنية، سواء في مشروع "الأفرو آسيوية" أو "فكرة القطب الثالث" الناجم من مؤتمر باندونج.

### وأدون هنا أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث، وهي:

- يُعد مالك بن نبي أحد أعلام الفكر الإسلامي، فقد ساهم في مؤلفاته بحلول لمشكلات الحضارة، وفي تكوين فكره الثقافة العربية الإسلامية من البيئة الأسرية، وتأثره بالحركات الإصلاحية، والثقافة الفرنسية الغربية بحكم حياته فيها، وتأثره بأدبائها ومفكريها.
- يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي الركيزة الأساسية لدراسة حركة التاريخ في المجتمعات، وهو ما يمكننا من التعرف على المتغيرات العمرانية والاجتماعية، وفهم السنن التاريخية في إطار حركته ودوراته، والاستفادة من هذا ضمن البحوث والدراسات.
- تعني الحضارة عند مالك بن نبي بأنها توفر مجموعة من الشروط المادية والمعنوية، ويُعد الدين

منشأ كل حضارة، كما يمثل الإنسان في فكر مالك بن نبي المحور الرئيس في عملية التغيير، والفاعلية شرط للارتقاء الحضاري، بوصفها الرابط الذي يربط بين منطق الفكرة ومنطق العمل، من أجل القضاء على السلبية التي تشيع في المجتمعات الإسلامية.

- يأخذ الزمن والتراب عند مالك بن نبي أهمية كبرى، فهو يعدُّهما عاملين مهمين من عوامل بناء الحضارة، ويدعو بن نبي-وضمن أطر كبرى- إلى توظيفهما في الصالح العام، ولا يمكن للعناصر الثلاثة أن تتمازج إلا بوجود العامل الروحي، ويتلخص في الفكرة الدينية، فالحضارات تولد في ظل المعابد.

- يؤكد مالك بن نبي دور عامل الثقافة في تفعيل الحوار الحضاري الإنساني، لهذا أولى الثقافة والمثاقفة أهمية بالغة في المشروع الحضاري، وأن موضوع الثقافة من أهم الموضوعات التي يجدر بالمتقف أن يشتغل بها، وأي إخفاق للمجتمع في موضوع الثقافة ينم عن أزمة ثقافية، وأن الثقافة التي ينشدها الفكر الإسلامي لا بد أن تكون ثقافة إنسانية شاملة.

- يُعد الحوار في فكر بن نبي عبارة عن ظاهرة إنسانية تميز المجتمعات البشرية، فهو ضروري للتعامل بين الشعوب والأمم؛ إذ يقتضي اعتراف المسلم بوجود الآخر والاعتراف بأن غيره لا يقلُّ شأنًا عنه. فالحوار أخذ وعطاء، وطريق للتفاهم والتخاطب بين الناس.

- إن علاقة الشرق بالغرب علاقة صراع حضاري في معظمها؛ إذ كانت نتيجة هذا الصراع هو تفوق الغرب على الشرق وظاهرة الاستعمار، وهناك عوامل عديدة لذلك الصراع تجلت في صور عديدة، وخلف هذا الصراع تبعية ثقافية واقتصادية أدت إلى تخلي المسلم عن تراثه برغم أصالت فكرته الدينية.

- تعدد تصور المسلمين للحضارة الغربية، وأهمه في تصور مالك بن نبي الذي ينطلق من خلفية

سياسية؛ حيث يعد الغرب كياناً يضم دولاً معينة، تختلف في طبيعتها عن آسيا وأفريقيا، وهو أيضاً يختلف جغرافياً عن دول العالم الثالث، فالغرب في الإطار الحضاري قسمه مالك إلى ثلاث تقسيمات: الأول: النموذج الغربي في الحياة والمسالم الأليف، والثاني: الذي يمثل مظاهر الثقافة الغربية ورموزها، أما الثالث فهو مظاهر الوجود الغربي من الأنظمة السياسية والاقتصادية.

- يرى مالك بن نبي أن دراسة تجارب الحضارات الأخرى مهم جداً لتخطي أزمة الحضارة في العالم الإسلامي، فدراسة التجارب الحضارية تفسر لنا الظواهر، والسنن الإلهية، وكيفية التعامل معها، وتجعلنا نتعرف على موقعنا في التاريخ وكيفية الرقي والتقدم مستفيدين من التجارب الحضارية السابقة لإصلاح مشكلات الحضارة وتجاوز كل معوقات الحوار الحضاري.

- يرى مالك بن نبي أنه لا يمكن للمسلم أن يعيش في عزلة عن حركة التطور الحضاري في العالم، وإنما المبادرة في مد جسور الاهتمامات الحضارية بين شعوب العالم، والوسيلة المجدية للوصول إلى ذلك هو حوار الحضارات، ولعل أزمة كورونا من أكثر الأزمات الكارثية التي أثبتت وجوب التواصل والتشارك.

- كانت الصلة بين الغرب والمسلمين من أهم الأزمات التي واجهت جهود الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي، فقد سببت اضطراباً وتعثراً في كل الاتجاهات الإصلاحية، ولذلك رأى مالك بن نبي وجوب التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، تماشياً مع المتغيرات التي يشهدها العالم.

- نظر مالك بن نبي إلى العالمية الإيجابية، وهي التي ترتبط بالمستوى القيمي، والمنفتحة على كل الأمم والشعوب، وجميع التطلعات الإنسانية، بصرف النظر عن العرق والدين

والأيديولوجيات، وتستوعب كل الأطياف الإقليمية والمحلية. وهذه العالمية تتسجم مع قيم القرآن الكريم في التعارف والتآلف.

- كان من نتائج العالمية المركزية صدمة أيقظت شعوب العالم الثالث، وحدة بين أفريقيا وآسيا بسبب مشكلة الاستعمار التي واجهتها شعوبها، ومن نتائجها أيضا وجود العامل الصناعي التقني، الذي أوصل البشرية إلى العالمية ووصل إشعاعه إلى العالم كله، وهذا الإشعاع وإن كان مضمونه سلبيا إلا أنه وحد الشعوب، وشعروا بحجم المشكلة، فتوج ذلك مؤتمر باندونج، ووجد شعوب أفريقيا وآسيا أمام هيمنة الغرب وسيطرته أمام التحديات المشتركة، وأمام التفوق التقني والتكنولوجي الغربي؛ حيث أعطت دفعة إنسانية لتجاوز الوحدات التاريخية المنغلقة.

- اعتمدت الحضارة الغربية على المادية، وهي ركن أصيل ومركزي فيها، ويعتمد عليها في النظرة إلى الإنسان والكون والحياة والتاريخ، وعليها تصاغ الحياة الاجتماعية، والتوجه السياسي، والمادية تتحكم في علاقة الحضارة الغربية مع الحضارات الأخرى؛ ولذلك نلاحظ فصل العلم عن الضمير في الحضارة الغربية، وهذا ما جعل مالك بن نبي يوجه نقده إلى تلك الحضارة؛ بسبب تجاهلها للبعد الإنساني.

- إن الجديد الذي جاء به مالك بن نبي أنه جعل من الحضارة إطاراً كلياً وتفسيرياً لكثير من القضايا التي تبحث في القانون العام، دون أن ينسى القضايا الأخرى، بل جعلها تحت المنظور الحضاري على المستوى الاجتماعي والسياسي، وحتى الاقتصادي الذي رأى أنه يمكن للكتلة الأفريقية والآسيوية وفكرة الكومونوليث من السير في اتجاه العالمية بإعادة صياغتها للبقاء كمصدر ومحور للمواد الأولية مع الاهتمام بالعنصر البشري.

- أوصي بتبني فكرة مالك بن نبي في ضرورة الاستثمار الاجتماعي؛ ووضع قيمة العمل في

طليعة قيم العالم الإسلامي الاجتماعية، وتحقيق الأسس الحضارية، وتحقيق الفاعلية الإنسانية في الفرد المسلم نفسه، ثم في بيئته، وهي ترتبط بالإنسان والزمن والتراب والفكرة الدينية الدافعة.

- أوصي بمزيد من البحث في موقف مالك بن نبي من المسيحية واليهودية؛ لأن فكره في اليهودية يحتاج إلى تحليل أعمق، والأمر نفسه في دراسة المسيحية؛ لإمكانية ربط ذلك في الحوار الحضاري، من منطلق موقف واضح لهما، فاليهودية والمسيحية مكونان رئيسان في الحضارة الغربية.

- أرى أن يستثمر فكر مالك بن نبي في الرد على المستشرقين، وتصنيفه لهم، ففي رده اعتمد البراهين على العقلية التي تستحق الاهتمام أكثر من الجانب الأكاديمي؛ حيث إن لفكر المستشرقين دوراً وتأثيراً في الأحداث العالمية والوقائع في العالم الإسلامي، وأن الأوان ليكون للمسلمين بصمة في الهجوم والاستباقية، ولا يكون دورهم الردود فقط.

- أوصي بتبني فكر مالك بن نبي التربوي والثقافي والحضاري بتربية إنسان ما بعد الحضارة، بمقرر جديد، أو ضمن مادة التاريخ في المدارس، فيؤخذ التاريخ بطريقة تجعل في الفكر الإسلامي قابلية للتجاوز والتواصل والانفتاح على الآخر، والقيم العالمية عموماً، وتوجيه العمل التربوي اجتماعياً ونفسياً لبناء الإنسان والمجتمع، وتتحدد بتشكيل العوامل الثقافية الفاعلة التي تشكل تراث المجتمع وهويته"، فيجب أن تستعيد المدرسة أصالتها العربية لكي تقوم بدورها الثقافي والسياسي، حتى تعبق فيها الوطنية والعالمية، من خلال الانفتاح على الثقافات والتعرف على القيم.

- أوصي بتبادل الأطروحات والرسائل الجامعية التي تناولت هذه الشخصية المهمة، التي كتب عنها في المجالات العديدة والمحكمة، خدمة للحوار الحضاري والحضارة بين الجامعات للإفادة



منها، وكذلك تبادل المعارف وتوجيه طلبة الدراسات العليا على الكتابة في الفكر الموسوعي لعلماء النهضة ومفكريها.

ومرة أخرى إلى كلّ من تسبب في الموافقة على هذا البحث، وفي الإشراف عليه، وفي مساعدتي على إنجازه، ومناقشته، إلى كلّ منهم أتقدم بأجزل الشكر، وأرفع التقدير.

وصلّى الله وسلّم، وبارك على محمد نبينا وحبينا وعلى آله، وصحبه أجمعين، آمين.

## قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الحديث النبوي الشريف.

أ. ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير الكتاب الثاني، (تونس: الدار التونسية للنشر، ج2، 1984م).

ب. البخاري: محمد بن إسماعيل (194 هـ - 256 هـ)، في الجامع المسند الصحيح، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، 139/3، تحقيق: محمد زهير الناصر، (المدينة المنورة: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

ت. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1434-2013).

ث. معروف: نشار عواد والخرساني عصام فارس، تفسير الطبري، الأنفال إلى النحل، (بيروت: دار مؤسسة الرسالة، ج4، ط1، 1994م).

### مؤلفات مالك بن نبي:

- بن نبي: مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، (بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط1، 1388هـ-1969م).

- بن نبي: مالك، بين الرشاد والتهيه، (دمشق: دار الفكر، ط11، 1436هـ-2015م).

- بن نبي: مالك، تأملات، (دمشق: دار الفكر، د.ط، 1423هـ-2002م).

- بن نبي: مالك، حديث في البناء الجديد، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

- بن نبي: مالك، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2018م).
- بن نبي: مالك، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، د.ط، 1986).
- بن نبي: مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ترجمة: عمر مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، د.ط، 1981م).
- بن نبي: مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط4، 2000).
- بن نبي: مالك، العفن، ترجمة: نور الدين خندودي، (الجزائر: دار الأمة، ط1، 2007).
- بن نبي: مالك، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، (دمشق: دار الفكر، ط9، 2009).
- بن نبي: مالك، فكرة كومونيلث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2000).
- بن نبي: مالك، في مهب المعركة إرهابات الثورة، (دمشق: دار الفكر، ط3، 1981م).
- بن نبي: مالك، القضايا الكبرى، (دمشق: دار الفكر، ط6، 2007).
- بن نبي: مالك، كتاب البناء الحديث، ضمن ملاحق الأعمال الكاملة لمالك بن نبي، تقديم: عمر مسقاوي، المجلد الخامس، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2018م).
- بن نبي: مالك، كتاب المسلم في عالم الاقتصاد، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط3، 1987م).
- بن نبي: مالك، مجالس دمشق، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2005).

- بن نبي: مالك، مذكرات شاهد للقرن، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، ط2، 1984).

- بن نبي: مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، (دمشق: دار الفكر، ط9، 2002).

- بن نبي: مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط4، 2000).

- بن نبي: مالك، من أجل التغيير، ترجمة: عمر مسقاوي، (دمشق: دار الفكر، ط4، 2005).

- بن نبي: مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط6، 2006).

- بن نبي: مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط5، 1986م).

- بن نبي: مالك، وجهة العالم الإسلامي، المسألة اليهودية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط5، 1986م).

#### المصادر والمراجع العربية:

- الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1971م).

- الأزدهار: بو عبید صالح، السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري، (القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م).

- إدريس: جعفر شيخ، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، (السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1433هـ).

- إدريس: مقبول، الحوار الحضاري دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، البحث الثاني  
الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (قطر:  
جامعة قطر، 2018).
- إعداد فريق جماعي في المركز للعتبة العباسية المقدسة، هيغل ومقاربات انتقادية لنظامها  
الفلسفي دراسة نقدية في أعلام الغرب، 2، (العراق: المركز الاسلامي للدراسات الفلسفية،  
د.ط، 2020).
- إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيغل، المكتبة الهيجلية للدراسات، (القاهرة: مكتبة  
مدبولي الإسكندرية، د.ط، 1997).
- أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام، (القاهرة: دار الأنصار، ط4، د.ط، د.ت).
- إيناس حسني، التلامس الحضاري الإسلامي - الأوروبي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة  
والفنون والآداب، د.ط، 2009م).
- بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1993).
- البعلبكي، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت: دار المشرق، ط36، 1997).
- البنا: فؤاد عبد الرحمن، العروج الحضاري بين مالك بن نبي.. وفتح الله جولن، ضمن كتاب  
الأمة، (قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،  
العدد 155، السنة الثالثة والثلاثون، 2013).
- البوطي: محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، (دمشق: دار  
الفكر، ط1، 1982م).
- بوخلخال عبدالوهاب: قراءة في فكر مالك بن نبي كتاب الأمة، (قطر: إدارة البحوث والدراسات  
الإسلامية، العدد 152، السنة الثانية والثلاثون، 2012).

- التويجري: عبد العزيز بن عثمان، **خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل**، (المغرب: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2002).
- جودت سعيد، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، تقديم مالك بن نبي، (القاهرة: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط8، 1989).
- ابن الحسن بدران بن مسعود: **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي**، كتاب الأمة، (قطر: سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 73، ط1، 2000).
- حسين يوسف، **نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث**، (الجزائر: دار التنوير، ط2، 2020).
- حسونة محمد عبد الحق، **مؤتمر الآسيوي الأفريقي الأول**، المعقود في باندونج بإندونيسيا (جامعة الدول العربية، 1955).
- حقي سعد، **مبادئ في العلاقات الدولية**، (بغداد: المكتبة القانونية، ط5، 2010).
- الخطيب: سليمان، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993م).
- ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، (الأردن: بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت).
- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: مطبوعات دار الشعب، د.ط، د.ت).
- ابن دويه: شريف الدين، **ومجموعة مؤلفين، تأملات في فكر مالك بن نبي**، (الجزائر: دار

- القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2014).
- زكريا الإبراهيمي، إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحدثة، (د.م: قسم العلوم الإنسانية والفلسفية، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات والأبحاث، 2016).
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط4، 1992).
- سعدي محمد، دور الثقافة في بناء الحوار بين الأمم، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2012).
- سعيد إدوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، (عمان: المؤسسة العربية للنشر، ط1(1961)).
- سيعفان أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 2004م).
- الشريف: محمد موسى، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، ط1، 2003م).
- شاكر محمود: إندونيسيا "مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا" (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1974).
- شلبي أبو زيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، 2012).
- صليبيا جميل، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978م).
- ضيف الله بشير، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، (الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2005، د.ط).
- الضيفاوي الساسي بن محمد، الرد على الاستشراق في الفكر العربي المعاصر (مالك بن

نبي أنموذجاً)، (د.م: مؤمنون بلا حدود، مؤسسة للدراسات والأبحاث: الدراسات الدينية، د.ت).

- الطاهر سعود، التخلّف والتنمية في فكر مالك بن نبي، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ-2006م).

- طرابيشي جورج: معجم الفلاسفة، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 2006م).

- عبد الرزاق عماد الدين إبراهيم، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، (العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية، ط1، د.ت).

- عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منجهاً وسيرة، (القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، د.ط، 1996)

- عبد الله بن محمد بن علي بن الأزرق الحميري الأصبجي، روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، تحقيق وتقديم: سعيدة العلمي، (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، د.ت).

- العلاونة أحمد، نيل الإعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال، (السعودية: دار المنارة، ط1، 1998م).

- عمر أحمد مختار، قاموس معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، ج1، ط1، 2008).



- عمر عيسى، مالك بن نبي في تاريخ الفكر الإسلامي وفي مستقبل المجتمع المسلم، (دمشق: دار الفكر المعاصر، د.ط، 2007م).
- العويسي: عبد الله بن حمد، مالك بن نبي حياته وفكره، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012م).
- أبو غدیر: محمد محمود، ومجموعة مؤلفين، المؤرخون العرب ودورهم في الكشف عن الخصوصية الإسرائيلية التي تتعارض مع مضمون حوار الحضارات، في كتاب (التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع)، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة، د.ت، 2003م).
- فروخ عمر، الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها، (بيروت: مكتبة المهتدين ودار بيروت للطباعة والنشر، ط2، 1980).
- فياض حسام الدين محمود، مؤسس علم الحديث إميل دوركايم: المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء "دراسة في علم الاجتماع البنائي"، (د.م: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري للنشر، ط1، 2018).
- القطب: إسحاق يعقوب، الآثار الاجتماعية والنفسية للتحضر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد السابع، (1404هـ-1984م).
- الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، (بيروت: دار الهدى، ج2، ط1، د.ت).
- مانشستر ولیم: كتاب موت الرئيس، (القاهرة: دار الكتاب الجديدة، د.ط، 1967).
- محمد البنعیادی، أسئلة الفكر والمنهج والفعالية في تراث مالك بن نبي بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده (1905-2005)، (جدة: جمعية النبراس الثقافية، د.ط، 2005).
- مسقاوي: عمر، في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد، (دمشق: دار الفكر،

ج1، ط1، 2016).

- ميلاد زكي، **تعارف الحضارات**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2006).
- المسيري عبد الوهاب: **العلمانية والحداثة والعولمة** تحرير سوزان حرفي، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2013).
- المسيري عبد الوهاب، **من هو اليهودي**، (مصر: دار الشروق، د.ط، 2002).
- معن محمود عثمان ضمرة، **الحوار في القرآن الكريم**، (فلسطين: الدار، د.ط، 2005م).
- مقلد صبري إسماعيل، **الاستراتيجية والسياسية الدولية**، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1985).
- ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط1، 2003م).
- مؤنس حسين: **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، (الكويت: دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد الأول، 1978م).
- مؤنس حسين: **الإسلام الفاتح**، (دم، مجلة لسان العرب، العدد 4، 1401هـ).
- مقدمة الكتاب الجماعي "العقلانية العربية والمشروع الحضاري" (الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1992).
- المطعني عبد العظيم إبراهيم، **مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منجها وسيرة**، (القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، د، ط 1996).
- المودودي أبو الأعلى، **نحن والحضارة الغربية**، (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، د.ط، 1987م).
- النبهان: يحيى، **معجم مصطلحات التاريخ**، (الأردن: دار يافا، ط1، 2008م).
- النبهاني: تقي الدين، **نظام الإسلام**، (دم: منشورات حزب التحرير، ط6، 2001).

- الحسن يوسف: الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات، (أبوظبي: منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1997م).

- النجار جواد هاني كاظم، السياسية الخارجية لإيران في عهد الرئيس محمد خاتمي (1997-2005)، دراسة تاريخية سياسية (إيران: مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، 2018).

- النجار عبد المجيد عمر، فقه التحضر الإسلامي الشهود الحضاري للأمة الإسلامية النادي الشبابي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006م).

- النشار مصطفى، مالك بن نبي من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري، ضمن كتاب (نحن والغرب: مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي)، إعداد وتحرير: عامر عبد زيد الوائلي وهاشم الميلاني، (النجف: المركز الإسلامي للدراسات والاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017م).

- نصري أحمد، آراء المستشرقين في القرآن الكريم، (المغرب: دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009).

- النعيم عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، (الدولة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، د.ت).

- هشام خضر، مذكرات أرنست وتشبي جيفارا، عرض وتحليل هشام خضر، (الجيزة-مصر: دار طيبة، مكتبة النافذة، ط1، 2008).

- وجدي: محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت، دار الفكر، ط3، د.ت).

الرسائل والأطروحات الجامعية:

- بلميمون إيمان، مالك بن نبي أديبا، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، (الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، 2017م).
- حسين محمد أحمد صالح، تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى منذ العودة من السبي البابلي وحتى الانتهاء من تدوين التلمود، رسالة، قسم، كلية اللغات والترجمة، (السعودية: جامعة الملك سعود، 1424هـ).
- سكر ماجد رجب العبد، التواصل الاجتماعي أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومعوقاته، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2011م).
- السندي فهد بن عبد العزيز، حوار الحضارات دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، (السعودية: جامعة الملك سعود، 1430هـ).
- العقبى: حسن موسى محمد، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2005م).
- علي: نسيم، ومحجوبي: أنيسة، الأسس المادية عند هوبز، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2015).
- عمار أحمد محمد: صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات (الجزائر: جامعة تلمسان، 2014).
- ابن كوسه دليّة، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، (الجزائر: جامعة الجزائر 3، 2010).

- لطرش سارة، تأثير النمو السكاني في تغيير مورفولوجية المدينة دراسة ميدانية بمدينة سطيف، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة فرحات عباس، 2014).
- لعباشي وردة، الثورة الجزائرية والكتلة الأفرو آسيوية في المحافل الدولية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة المسيلة، 2014م).
- محمد بغداد باي، تربية إنسان ما بعد الحضارة، رسالة دكتوراه، قسم علم النفس والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، (الجزائر: جامعة وهران، 2016).
- مصطفىاي: مريم، ومجنوب: زبيدة، مفهوم الإصلاح بين مالك بن نبي وزيفريد هونكة، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، (الجزائر: جامعة تلمسان، 2012).
- ابن ناصر سارة، الحضارة في فكر أرنولد توينبي ومالك بن نبي، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، (الجزائر: جامعة تلمسان، 2012).
- وحشي فايزة، القضية الجزائرية في المؤتمرات الأفرو آسيوية مؤتمر باندونغ 1955م أنموذجا، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة محمد بو ضياف، 2016م).
- ابن يحيى رابح، أثر النمو الحضري على المحيط العمراني، دراسة حالة مدينة باتنة من أجل مدينة مستدامة، رسالة ماجستير، شعبة التعمير، قسم الهندسة المعمارية والتعمير، كلية العلوم والجغرافيا، العلوم العمرانية، (الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة، 2006).
- يزير: زهرة، وسرطوط: عائشة، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، 2019م).

## البحوث والمقالات المنشورة في المجالات:

- البوطي: محمد سعيد رمضان، همسات في أذن قادة الرأي والفكر في ديار الإسلام، مجلة المسلمين، المجلد السابع، (1962).
- بوخلخال: عبد الوهاب، قراءة في فكر مالك بن نبي، كتاب الأمة، (قطر: إدارة البحوث الإسلامية والدراسات الإسلامية، العدد 152، السنة الثانية والثلاثون، 2012).
- الريامي: طاهر أحمد محمد، حوار الحضارات، مجلة الأندلس، ماليزيا، مجلد 15، العدد 13، (2016).
- الشارود: علي جابر العبد، الحوار مفهوماً وتأصيلاً وواقعاً، الحولية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإسكندرية، المجلد الثاني، العدد الخامس والثلاثين.
- ابن قويدر: عاشور، نقد عالمية الحضارة الغربية عند مالك بن نبي، مجلة العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، (الجزائر، العدد 26، 2016).
- ملوكي سليمان، النظرية الاقتصادية عند مالك بن نبي من خلال ثلاثية، توجيه رأس المال، وتوجيه العمل، وتوجيه الوقت، (الجزائر: مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد 10، 2013).
- نزاري: سعاد، إشكالية العلاقة بين الحضارات صدام أم حوار أم تعارف، مجلة الحكمة، (لبنان: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع، العدد 87، السنة الثانية والعشرون، 2015م).
- نعيمة إدريس، موقف مالك بن نبي من الحوار الحضاري مع الغرب، مجلة الحكمة، (لبنان: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع، العدد 87، السنة الثانية والعشرون، ربيع 1436هـ-2015م).

## المصادر والمراجع الأجنبية والمترجمة:

- أيزنهاور، كتاب مذكرات أيزنهاور، ترجمة: هوربت يونعمان، (فلسطين: مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ط1، 1969).
- اشبنغر: أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، 1964).
- توينبي: أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل ومحمد سفيق غربال وأحمد عزت عبد الكريم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، د.ط، 2011).
- جارودي: روجيه، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، (القاهرة: دار الشروق، ط3، د.ت).
- جارودي: روجيه، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوا، (لبنان: عويدات للنشر والطباعة، ط4، 1999م).
- جواهر نهرو، لمحات من تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز عتيق، (مصر: دار المعارف، د.ط، 2003).
- ديورانت: ول، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، د.ت).
- راندال جون هرمان، تكوين العقل الحديث، ترجمة: جورج طعمه، تحقيق: حسنين هيكل، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013).
- رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل (بيروت: الدار العربية للموسوعات ط1، 2012).

- شتراوس: ليو، وكروبسي جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ترجمة: محمود سيد أحمد، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2005).
- غريتز: كليفورد، تأويل الثقافات، ترجمة: محمد بدوي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، د.ط، 2009).
- فيربول: جيل، مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 2011).
- ماتلار: أرمان، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة: خليل أحمد خليل، (الإمارات: مؤسسة محمد بن راشد ودار الفارابي، ط1، 2008).
- مارتين: هانس بيتر، وشومان: هارالد، فسخ العولمة.. الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 238، 1998).
- ميتشل: دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، (بيروت: دار الطليعة، د.ط، 1981م).
- نيقولا تيما شيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وآخرون، (مصر: دار المعارف، ط8، 1983).
- هارمان: كريس، كيف تعمل الماركسية، ترجمة: وحدة الترجمة، (د.م: مركز الدراسات الاشتراكية للنشر، ط1، 2003).



- هنتجتون: صامويل، صدام الحضارات إعادة النظام العالمي 1996م، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوة، (د.م: دن، ط2، 1999).

- هيجل: المدخل إلى علم الجمال - فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 1988).

مراجع شبكة الإنترنت:

- حوى سعيد: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة، المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية، غزة. الشيخ سعيد حوى في فيديو نادر له: لا حضارة إلا مع الإسلام، الموقع الإلكتروني، مجلة، محمد رمضان، المجتمع (الكويت، 10 أبريل 2016).  
<https://mugtama.com/ntellectual/item/32451>

- من هو تقي الدين النبھاني: المصدر: <https://www.noor-book.com/tag> الموقع.